For The Sake Of
« Islamic-Christian Dialogue »
3

في سَبيل
« الحِوَار الإِسْلامي المسِيحي »
٣

القُرآنُ وَالمَسيحيَّة

The Qur'an & Christianity

www.muhammadanism.org
October 25, 2006
Arabic

يوسف درّة الحدّاد

Professor Youssef Durrah al-Haddad

في سَبيل « الحوار الإسْلامي المسيحي »

٣

القُرآنُ وَالمَسيحيَّة

الأستاذ الحدّاد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

تمهيد

ما هو موقف القرآن الحقيقي من المسيحية

في القرآن **ثلاث ظواهر** جعلت الناس، من مسلمين ومسيحيين، يتوهمون بأن القرآن يكفّر المسيحية كما نعرفها منذ عصره إلى عصرنا. وهو براء من ذلك.

الظاهرة الأولى إن القرآن لا يذكر على الإطلاق اسم « **مسيحيين** »، إنما يعرف « النصارى ». فنتج عن هذا الواقع الترادف بين اسم نصارى واسم مسيحيين. وهو بخلاف الواقع التاريخي في « عهد الفترة » ما بين الإنجيل والقرآن ــ كما أثبتناه في كتابنا « القرآن دعوة نصرانية ». **والظاهرة المتشابهة** إن القرآن يذكر النصارى ما بين الثناء المحبّب، والحملة عليهم. يقول: « ومن الذين قالوا (إنا نصارى) أخذنا ميثاقهم فنسوا حظّاً مما ذكّروا به: فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة » (المائدة ١٤). ويقول: « ولتجدنَّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا: (إنا نصارى)، ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون. وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق؛ يقولون: ربنا آمنّا فاكتبنا مع الشاهدين... فأثابهم ربهم بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، وذلك جزاء المحسنين » (المائدة ٨٥ ــ ٨٨). وهذا الواقع ما بين المدح والقدح يجعل المؤمن والعالم يتساءلان: ماذا يقصد بتعبير « النصارى »؛ وما هو موقف القرآن الحقيقي منهم؟

الظاهرة الثانية في أسلوب القرآن بالتخصيص في معرض التعميم، أو التعميم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

في معرض التخصيص. فيتمسك الغافلون بظاهر الحرف فيتشابه عليهم المعنى. مثال ذلك قوله: « ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيّئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم » (المائدة ٦٥)، فظاهره يشمل جميع أهل الكتاب؛ مع أنه يقرّر: « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أُنزل إليكم وما أُنزل إليهم خاشعين لله، لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً: أولئك لهم أجرهم عند ربهم، إن الله سريع الحساب » (آل عمران ١٩٩). ويقول: « قل يا أهل الكتاب لِمَ تكفرون بآيات الله، والله شهيد على ما تعملون؟ قل يا أهل الكتاب لِمَ تصدّون عن سبيل الله مَن آمن، تبغونها عوَجاً، وأنتم شهداء، وما الله بغافل عمَّا تعملون » (آل عمران ٨٨ ــ ٨٩) مع أنه يصرّح للحال: « ليسوا سواء: من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون: يؤمنون بالله واليوم الآخر؛ ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؛ ويسارعون في الخيرات؛ وأولئك من الصالحين » (آل عمران ١١٣ ــ ١١٤) ــ أليست هذه الأمة الكتابية على الإسلام الصحيح؟ ونرى التعريف بها كاملاً في (الأعراف ١٥٨، الصف ١٤). فأسلوب التعبير قد يوهم أحياناً التكفير، بخلاف ما تواتر من تمييز في التقرير.

الظاهرة الثالثة، وفيها الطامة الكبرى، من تكفيرات القرآن:

« لقد كفر الذين قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم » (المائدة ١٩ و٧٥).

« لقد كفر الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة » (المائدة ٧٦).

« ولا تقولوا: ثلاثة! انتهوا، خيراً لكم! إنّما الله إله واحد » (النساء ١٧٠).

« إذا قال الله: يا عيسى ابن مريم، أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهيْن من دون الله »؟ (المائدة ١١٩).

فظاهر التعابير يوهم أنه تكفير للمسيحية جمعاء في عقيدة التثليث، وعقيدة إلهية المسيح، من حيث هو « كلمته وروح منه » تعالى. وعليه القوم إلى اليوم.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

مع أن حرف التكفير، مع (أسباب النزول) تشير صراحة بخلاف ما يتوهمون: إنها تكفيرات عقّب بها القرآن على مجادلة وفد نجران؛ وفي إجماع المفسرين أن وفد نجران كان على البدعة اليعقوبية، التي حرمتها المسيحية الرسمية سنة ٤٥١ م في المجمع المسكوني الخلقيدوني. فجدال القرآن كله مع المسيحية محصور ببدعة مسيحية. مع ذلك فهم يطلقون على المسيحية جمعاء ما جاء في القرآن بحق بدعة حرمت الكنيسة المسيحية مقالتها، قبل تكفير القرآن لها. وهذا منتهى الظلم بحق القرآن، وحق المسيحية على السواء.

فتاريخ السيرة النبوية وواقع الدعوة القرآنية يشهدان:

أولاً بأن « القرآن دعوة نصرانية » ــ لا مسيحية ــ كما رأينا في كتابنا السابق؛ فكل ما في القرآن من ثناء ووحدة في الدعوة ينتمي إلى تلك الأمة « النصرانية » التي كانت قائمة في « عهد الفترة » ما بين الإنجيل والقرآن، وذابت في الإسلام.

ثانياً بأن الدعوة القرآنية لم تتصل في جميع أدوارها إلاَّ بأهل البدعة اليعقوبية في المسيحية، من الحبشة، إلى وفد نجران، إلى جماعة الراهب أبي عامر في المدينة، إلى أهل مؤتة وتبوك من مشارف الشام. فكلّ ما جاء في القرآن كله، مع تكفيراته للمقالات الأربع، يقتصر على تلك البدعة في المسيحية، ولا ينطبق إلاَّ عليها.

ثالثاً: فتاريخ السيرة النبوية، وواقع الدعوة القرآنية، هما خير شاهد على **أنهما لم يتّصلا بالمسيحية الرسمية** إطلاقاً، لا في الجزيرة ولا خارجها. فليس إذن في القرآن من موقفٍ سلبي جحودي للمسيحية الرسمية. إنّه لا يخاطبها، ولا يذكرها إلاَّ في آية الروم. لذلك فكل ما في القرآن بشأن المسيحية يقتصر على بدعة، ولا يشمل المسيحية الرسمية كلها.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

هذا هو موقف القرآن الحقيقي من المسيحية، الذي ندرسه في هذا الكتاب. وهو الناحية الثانية[1] في سبيل الحوار الإسلامي المسيحي.

*

على **تاريخ الحوار** بين الإسلام والمسيحية، قامت **شبهة مزدوجة** أفسدته في أصله، وفي تطوّره. الشبهة الأولى أن الحوار القائم في القرآن بين الإسلام والمسيحية **حوار محصور مع بدعة مسيحية** يمثلها وفد نجران إلى النبي، وجماعة الرّاهب أبي عامر في المدينة، وأهل مؤتة وتبوك في مشارف الشام. وحوار مع بدعة مسيحية لا يمثل المسيحية الرسمية على الإطلاق؛ فالحوار القرآني معها مفقود، لا وجود له في القرآن[2]. والشبهة الثانية التي أفسدت الحوار التاريخي حتى اليوم، فجعلته جدالاً وقتالاً، هي ظروف نشأته التاريخية: فقد نشأ الحوار الفعلي، بل الصراع العملي بين الإسلام والمسيحية في ظروف الفتح الإسلامي لديار المسيحية، فتأثر بها التأثر السيّئ الذي عانينا منه إلى اليوم.

لقد بدأ الحوار، بل الصراع، بين الإسلام والمسيحية، لا مع وفد نجران إلى النبي، في عام الوفود ٦٣١ م؛ بل في زمن فتح الشام، مع مدرسة يحيى الدمشقي، التي كانت سبب نشأة الكلام الإسلامي على غرارها. فكان صراعاً في الكلام، لا حواراً في الإيمان. ودام الحال على ذلك المنوال إلى الآن.

فهذا الحوار التاريخي كان **فاسداً** في روحه وغايته، من ظروف نشأته؛ وكان **ناقصاً** في أسلوبه، يعتمد النظريات الكلامية والفلسفية في صراع الملّتين.

---

(١) كانت الناحية الأولى تحديد ماهية الإسلام والدعوة القرآنية له. فرأينا في الكتاب السابق أن (القرآن دعوة « نصرانية »)، مع التمييز الواجب بين « النصرانية » وبين المسيحية. فكانت « النصرانية » قومياً في بني إسرائيل، ودينياً لا تؤمن بإلهية المسيح؛ بينما المسيحية في فرقها كلها قامت بين الامميين وتؤمن بأن « المسيح ابن الله » (براءة ٣١).

(٢) أما تصريحه: « وقالت النصارى: المسيح ابن الله » (براءة ٣١) فهو من التحريض على غزوة تبوك، لا يتخطاها.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وأهل الإنجيل وأهل القرآن **هم أهل الكتاب**، فلا يصح حوار فيما بينهم إلاَّ على أساس الكتابين ـ و« بالتي هي أحسن »، بحسب أمر القرآن (العنكبوت ٤٦)؛ وعلى أساس البحث الاستقرائي، لا البرهان النظري.

هذا هو **الأسلوب الجديد** الذي نعتمده بدورسنا «في سبيل الحوار الإسلامي المسيحي». وهو **فتح جديد** لا نظن، على حدّ علمنا، أنّ أحداً سبقنا إليه عبر التاريخ.

فقبل الجدال الذي قام بين الملتيْن، يجب استنطاق القرآن لمعرفة **موقفه الحقيقي من المسيحية الرسمية** ـ لا من أهل بدعة في المسيحية لجأت إلى الجزيرة العربية إمَّا هرباً من دين الدولة، وإمَّا سعياً وراء دعوة. وكان خطأ الحوار من الجانبيْن حتى اليوم، بتطبيق أحكام القرآن في بدعة مسيحية، على المسيحية الرسمية جمعاء، مع اختلافها إلى بروتستنتية وأرثذكسية وكاثوليكية، قد تختلف في الفروع وتأتلف في الأصول[1]. فآنَ لنا أن ننتقل من الجدال في الكلام، إلى الحوار في الإيمان، لنعرف أنَّ المسيحية والإسلام ملَّتان من « **أمة واحدة** » (الأنبياء ٩١؛ المؤمنون ٥٣)، على **دين واحد**، **وشهادة واحدة** لله وللمسيح، مهما اختلف التأويل لحرف التنزيل.

فما هو موقف القرآن من المسيحية؟

ففي معرفته، على حقيقته، الصراط المستقيم إلى الحوار القويم، بين الإسلام والمسيحية.

***

(١) إنَّ الخلاف بين الارثذكسية والكثلكة هو في محوره خلاف على الخلافة؛ والخلاف بينهما وبين البروتستنتية على الكتاب والسنة، فتقول البروتستنتية بالكتاب من دون السنة. وهو الخلاف نفسه القائم في الإسلام بين السنة والشيعة والخوارج.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفصل الأوّل

القرآن حوار مع بني إسرائيل من يهود ونصارى

توطئة : الهدف الثاني للقرآن دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام.

بحث أول : أهل الكتــاب هم اليهــود والنصارى على العمــوم.

بحث ثانٍ : القرآن يقصد بأهل الكتاب اليهود والنصارى من بنــي إسرائيل.

بحث ثالث : تعبير « أهل الكتاب » بالنسبة للمسيحيين لا يعنــي إلاّ اليعقوبيين.

خاتمــة : يقتصر حوار القرآن على بني إســرائيل مــن يهــود ونصارى.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

توطئة

الهدف الثاني للقرآن هو دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام

إنَّ **الهدف الأول** للقرآن هو دعوة العرب إلى دين الكتاب: « شرع لكم من الــدين مــا وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك ـــ وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الــدين ولا تتفرّقوا فيه »! (الشورى ١٣). ودين الكتاب هو الإسلام الذي يشهد به « أولوا العلم قائمــاً بالقسط... إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ » (آل عمران ١٨ و١٩).

والهدف الثاني هو دعوة أهل الكتاب إلى هذا الإسلام: « يا أهل الكتاب قــد جــاءكم رسولنا يبيّن لكم على فترة من الرسل أن تقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير! فقد جاءكم بشير ونذير، والله على كل شيء قدير » (المائدة ٢١). لذلك فهو يصرخ: « **وقلْ للذين أوتوا الكتاب والأميين:** أأسلمتم؟ فإنْ أسلموا فقد اهتدوا؛ وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعبــاد » (آل عمران ٢٠).

لكن هذا الإسلام تدين به أمة من أهل الكتاب، قبل القرآن: « الذين آتيناهم الكتاب مــن قبله هم به يؤمنون؛ وإذا يُتلى عليهم قالــوا: آمنا به، إنه الحق من ربنا، إنَّــا كنــا مــن قبلــه مسلمين » (القصص ٥٢ ـــ ٥٣).

وتلك الأمة المسلمة من أهل الكتاب يحددها بقوله: « ومن قوم موســى أمــة يهــدون بالحق وبه يعدلون » (الأعراف ١٥٨)؛ وبقوله: « فآمنت **طائفة من**

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بني إسرائيل (بدعوة الحواريين للمسيح)، وكفرت طائفة: « فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤). فالدعوة للقرآن تأييد « للنصارى » على عدوّهم اليهود حتى النصر المبين في الحجاز والجزيرة.

فأهل الكتاب هم اليهود والنصارى على العموم.

والقرآن يقصد بأهل الكتاب اليهود والنصارى من بني إسرائيل على الخصوص: « إن هذا القرآن يقصّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل ٧٦). وما اختلفوا إلاَّ في المسيح والإنجيل.

فالقرآن دعوة لأهل الكتاب إلى الإسلام الذي يؤمن بالمسيح والإنجيل « على شريعة من الأمر » (الجاثية ١٧).

*

بحث أول

أهل الكتاب هم اليهود والنصارى على العموم

في القرآن **ثلاثة تعابير مترادفة:** أهل الكتاب، أهل الذكر، أولوا العلم أو « الذين يعلمون ». فلا يصح أن ننسى ذلك، خصوصاً بالنسبة لاصطلاح « أولي العلم ».

واصطلاح « **أهل الكتاب** » يشمل اليهود والنصارى على العموم؛ والقرائن اللفظية والمعنوية، القريبة والبعيدة هي التي تحدّ هوية الفريق المخاطب، ما بين أساليب القرآن في التعميم والتخصيص.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فأهل الكتاب على العموم فريقان بالنسبة للدعوة القرآنية: **فريق المعارضة** وهم اليهود « أول كافر به » (البقرة ٤٠)، **وفريق الموالاة** وهم النصارى. نكتفي ببعض الاستشهادات: « **ودّ كثير من أهل الكتاب** لو يردونكم، من بعد ايمانكم، كفّاراً، حسداً من عند أنفسهم، من بعد ما تبيّن لهم الحق » (البقرة ١٠٩)؛ « ولما جاءهم رسول من عند الله مصدّق لما معهم، نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون » (البقرة ١٠١). فالفريق الكثير من أهل الكتاب يكفرون بالدعوة القرآنية، بينما الفريق الآخر يؤمن بها.

ونعرف هوية الفريقيْن من خصومتهم تجاه الدعوة القرآنية وانتسابها إلى الكتاب الذي عند أهله من الفريقيْن: « وقالت اليهود: ليست النصارى على شيء! وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء! ــ وهم يتلون الكتاب. كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم. فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » (البقرة ١١٣). إن « **الذين يتلون الكتاب** » هم أهل الكتاب، وهم فريقان: اليهود والنصارى؛ وصفتهم المتواترة أنهم « الذين يعلمون »، « أولوا العلم ». وسيميّز بين اليهود والنصارى، أولي العلم، بصفة « الراسخين في العلم » (آل عمران ٧؛ النساء ١٦١)، أو « أولوا العلم قائماً بالقسط » (آل عمران ١٨)، أو اصطلاح « المحسنين »، « المقسطين »، « المسلمين » من قبله. ونعرف من القرائن والتصاريح العديدة أنهم النصارى. لذلك فصفة المشركين تجاههم أنهم « الذين لا يعلمون » فهم بحسب اصطلاحه أيضاً « الأميون » (آل عمران ٢٠؛ الجمعة ٢).

وفي إطلاق التعميم في موطن التخصيص نعرف من القرائن الفريق المقصود: « ولن ترضى عنك اليهود (ولا النصارى) حتى تتبع ملتهم! قلْ: إن هدى الله هو الهدى! ولئن اتبعت أهواءهم، بعد الذي جاءك من العلم، ما لك من الله

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

من ولي ولا نصير » (البقرة ١٢٠). سنرى أن « ولا النصارى » مقحمة على الآية، بسبب الآية التالية التي تعلن إيمان النصارى بالقرآن: « الذين آتيناهم الكتاب، يتلونه حق تلاوته، أولئك يؤمنون به؛ ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون » (آل عمران ١٢١). فالنصارى « الراسخون في العلم » و« الذين يتلون الكتاب حق تلاوته » بدون تحريف معانيه كما يفعل اليهود، هم بمحمد والقرآن يؤمنون. أمّا اليهود، بعد كفرهم بالمسيح ثم بمحمد، لم يبقوا على ملة إبراهيم: « وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهنّ، قال: إني جاعلك للناس إماماً. قال: ومن ذريتي؟ قال: لا ينال عهدي الظالمين » (١٢٤).

ويجدر **بالملاحظة** أنَّ كل ثناء على أهل الكتاب هو « للنصارى » أهل الموالاة والمودة (المائدة ٨٥)؛ وكل حملة على أهل الكتاب فهي محصورة باليهود. وهذا التخصيص في معرض التعميم، أسلوب مضطرد فيه، لا يصح أن نسهو عنه.

فعلى العموم، فريق المعارضة هم اليهود، وفريق الموالاة للقرآن هم النصارى. وسنرى أنّ وفد نجران المسيحي قد ظلّ على الحياد والموادعة؛ وهو وفد من بدعة مسيحية لا يمثّل المسيحية كلها خارج الجزيرة. فمن هم إذن « النصارى » على التخصيص في عرْفه؟

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بحث ثانٍ

القرآن يقصد بأهل الكتاب اليهود والنصارى، من بني إسرائيل

في نظر القرآن، إنَّ أهل الكتاب الذين سيخاطبهم هم بنو إسرائيل من يهود ونصارى ـ ما عدا حواره مع وفد نجران الذي وزّعوه على سور آل عمران والنساء والمائدة.

والإعلان الصارخ في دعوة أهل الكتاب هو: « **إِن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون** » (النمل ٧٦). فقد اختلف بنو إسرائيل إلى يهود ونصارى في المسيح والإنجيل (الصف ١٤).

ذاك الإعلان يعني أولاً إنَّ دعوة القرآن لأهل الكتاب **محصورة ببني إسرائيل**، من يهود ونصارى ـ فالمسيحيون من الأميين هم خارج صراع الدعوة. وثانياً إن « **النصارى** »، في لغة القرآن، هم على سبيل الحصر والقصر، من بني إسرائيل كما **يعلن في النهاية**: « فآمنت طائفة من بني إسرائيل (بالمسيح)، وكفرت طائفة (اليهود): فأيدنا الذين آمنوا على عدوّهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف). فالدعوة القرآنية انتصار « للنصرانية » على اليهودية، حتى الظهور المبين في الجزيرة. هذا هو القرآن كله دعوة وجهاداً. لذلك فالقرآن دعوة « نصرانية ».

إن القرآن دعوة « نصرانية » موجهة لبني إسرائيل، لأنهم أهل الكتاب

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

والحكمة، التوراة والإنجيل: « ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم[1] (الحكمة) والنبوة، ورزقناهم من الطيبات، وفضلناهم على العالمين؛ وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلاَّ من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم، إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » (الجاثية ١٦ ــ ١٧). ونعرف إن الله قضى بينهم على الأرض، في المدينة، بتصفية اليهود انتصاراً للنصارى من بني إسرائيل ومن تنصّر معهم من العرب (الصف ١٤). فالبينات والعلم جاءتهم مع المسيح بالإنجيل. فلمّا كفروا بالمسيح، لعنهم، وجاء القرآن يصدّق لعنته لليهود (المائدة ٧٨). فالقرآن يقتصر دعوته على بني إسرائيل، من أهل الكتاب، لأنهم هم الذين أوتوا الكتاب والحكمة، التوراة والإنجيل.

يقتصرها على بني إسرائيل، لأن المسيح نفسه جاء « رسولاً إلى بني إسرائيل » (آل عمران ٤٩)، فاختلفوا إلى يهود كافرين ونصارى مؤمنين « بعد ما جاءهم العلم ».

وقد جعل الله السيد المسيح « مثلاً لبني إسرائيل » (الزخرف ٥٣)، ولا يقول للعالمين. فهو يفهم رسالة المسيح ودعوة القرآن محصورتين في نطاق بني إسرائيل.

إن هدى التوراة، وحكمة الإنجيل، محصوريْن ببني إسرائيل: « ولقد آتينا موسى الهدى، وأورثنا بني إسرائيل الكتاب » (غافر ٥٣)؛ « وجعلناه (عيسى) مثلاً لبني إسرائيل... ولمّا جاء عيسى بالبينات قال: **قد جئتكم بالحكمة**، ولأبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون » (الزخرف ٦٣). فتعبير « الحكمة » في اصطلاحه كناية عن الإنجيل.

---

(١) الحكم في هذا التعبير المألوف يعني الحكمة، وقد نقله القرآن بحرفه العبري السرياني.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فالكتاب والحكمة، التوراة والإنجيل، قد أُوتيا بني إسرائيل فهو لذلك يحصر حواره مع بني إسرائيل، من يهود ونصارى ـ ولا يتطلع في دعوته كلها إلى غيرهم.

والقول الفصل إنه يجعل أمته على مثال أنصار المسيح، الحواريين، ويعلن أخيراً بصراحة مطلقة أن دعوته لنصرة « النصرانية » على اليهودية: « فآمنت طائفة من بني إسرائيل، وكفرت طائفة: فأيدنا الذين آمنوا (النصارى) على عدوّهم (اليهود) فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤).

ففي التعبير العام « أهل الكتاب » يقتصر القرآن دعوته على « بني إسرائيل » من يهود ونصارى، بتعبير خاص. فيظل المسيحيون، من غير بني إسرائيل، خارج الصراع، حتى عام الوفود في جدال وفد نجران.

بحث ثالث

تعبير أهل الكتاب، بالنسبة للمسيحيين، لا يعني إلاَّ اليعقوبيين

لم يتصل النبي العربي إلاَّ بالحبشة، بهجرة جماعته الأولى إليها؛ ثم في عام الوفود قبل وفاته بسنة بوفد نجران، مع غزوتيْن في مؤتة وتبوك إلى شمال الحجاز عند مشارف الشام، وبالمناسبة تظهر جماعة الراهب أبي عامر بالمدينة وقصة « مسجد الضرار ». وتلك **الجماعات الأربع** كانت على مذهب اليعقوبية بحسب شهادة التاريخ واجماع المفسرين.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

قصة الاتصال بالحبشة تقتصر على هجرة الجماعة الأولى إليها، وتتمثل بسورة مريم. كذلك قصة « مسجد الضرار » وجماعة الراهب أبي عامر تقتصر على بضع آيات من (التوبة ١٠٨ ــ ١١١).

وجدال وفد نجران هو الذي ترك في مخيلة القوم الصدى البعيد، وشغلت جلساته حيّزاً من القرآن المدني، فوزّعوه على سور (آل عمران والنساء والمائدة). ففي قصص (آل عمران ٣٣ ــ ٦٤) يسرد عقيدته بالمسيح وأمه؛ وهو مقحم من عام الوفود على سورة كلها جدال مع اليهود، وتشريع للجهاد ووصف بعض وقائعه. والجدال نفسه يأتي في سورة النساء (١٧٠ ــ ١٧١) في التعريف الجامع المانع بالمسيح « ابن مريم » و« كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه »؛ وبناءً عليه يستنكر القول « بالثلاثة » (١٧٠) وبإلهية المسيح: « لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله، ولا الملائكة المقربون » (١٧١). وانصرف وفد نجران على « عهد الموادعة ». فعلّق القرآن على جدالهم في عقيدتهم بتكفيرات سورة (المائدة) « لقد كفر الذين قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم » (١٩ و٧٥)؛ « ولقد كفر الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة » (٧٦)؛ وبعد تقويم العقيدة في المسيح وأمه (٧٧ ــ ٧٩) يختم بقوله: « قلْ: يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق » (٨٠). وفي قصص تمثيلي رائع، من « يوم يجمع الله الرسل » للحساب، يجعل المسيح نفسه يستنكر اتخاذ « إلهيْن من دون الله » (١٢٠). ففي تلك الفصول من السور الثلاث، **يقصد القرآن بأهل الكتاب وفد نجران**. وكان بإجماع المفسرين من **أهل البدعة اليعقوبية** في المسيحية، ولا يمثل المسيحية الرسمية في دولة الروم على الإطلاق.

واتصال النبي العربي بالمسيحية العربية أيضاً تمَّ في **غزوتيْ مؤتة وتبوك** في شمال الحجاز على مشارف الشام. ووردت إشارة إلى غزوة مؤتة الفاشلة في آخر سورة (الحديد ٢٩): « لئلا يعلم أهل الكتاب ألاّ يقدرون على شيء من فضل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الله، والفضل بيد الله يؤتيه مَن يشاء، والله ذو الفضل العظيم ». وسورة التوبة كلها (٣٠ ـ ١٢٤) في ملابسات غزوة تبوك الظافرة حيث يشرّع: « قاتلوا... من الذين أوتوا الكتاب، حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون » (٣٠)؛ ويختم بالتصدير نفسه: « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار، وليجدوا فيكم غلظة، واعلموا أنَّ الله مع المتقين » (١٢٤). ففي السورة كلها يقصد بأهل الكتاب أهل تبوك، بإجماع (أسباب النزول)، وكما يدل حرف التبعيض في شرعة جهادهم: « من أهل الكتاب ». وغاية جهادهم، ليست إسلامهم كما في شرعة المشركين (براءة ١ ـ ٢٩)، بل اخضاعهم للجزية أي لسلطان المسلمين، حتى « لا يبقى في جزيرة العرب دينان » كما أوصى محمد على فراش الموت، قبل الانتقال إلى الرفيق الأعلى.

وهكذا يتضح لنا أن « أهل الكتاب »، بالنسبة للمسيحيين، يقتصر على اليعقوبيين العرب منهم، لا يتعداهم إلى غيرهم. هذا واقع أول.

وواقع ثانٍ أن حوار القرآن المتواصل مع أهل الإنجيل ظلّ مقصوراً طوال أدوار الدعوة القرآنية على النصارى من بني إسرائيل، في انتصار القرآن لهم على عدوهم اليهود (النمل ٧٦ والصف ١٤).

وواقع ثالث أن اتصال الدعوة القرآنية بالمسيحية العربية اليعقوبية كان **عابراً** في غزوة تبوك وعام الوفود، **فليس هو موضوع الدعوة القرآنية.**

وواقع رابع أن السيرة النبوية والدعوة القرآنية لم **يتصلا بالمسيحية الرسمية على الإطلاق**. وما آية « الروم » سوى خبر من بعيد عن هزيمة ونصر.

فتعبير « أهل الكتاب » في كل تلك المواطن جاء على **التعميم في معرض التخصيص**، كما يتضح من قرائن النصوص و(أسباب النزول).

*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

خاتمة:

يدور حوار القرآن على بني إسرائيل من يهود ونصارى

تلك هي **النتيجة الحاسمة:** « إن هذا القرآن يقصَّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل ٧٦). وما اختلف بنو إسرائيل إلى يهود ونصارى إلاَّ في المسيح والإنجيل، « فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤). فجهاد القرآن، مثل دعوته، يقتصر على انتصاره « للنصرانية » الإسرائيلية والعربية على اليهودية.

ولم تتصل الدعوة القرآنية إلاَّ بالمسيحية اليعقوبية العربية مع وفد نجران، ومع جماعة الراهب أبي عامر بالمدينة، ومع أهل مؤتة وتبوك.

لذلك تصح **النتيجة المطلقة:** إنَّ الدعوة القرآنية لم تتصل بالمسيحية الرسمية، كما في دولة الروم، ولم تحاورها أبداً؛ **فالقرآن لا يذكر المسيحية الرسمية على الإطلاق.**

فمن الكفر بالقرآن، ومن الظلم للمسيحية الرسمية، **إطلاق خطاب القرآن لبدعة مسيحية**، على المسيحية الرسمية جمعاء.

وهذا الواقع القرآني الضخم يزيل أكبر عقبة وأعظم شبهة من سبيل الحوار الإسلامي المسيحي.

***

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفصل الثاني

إقحام اسم النصارى في غير موضعه
من القرآن، عند جمعه

توطئة : واقع قرآني مذهل.

بحث أوّل : المبادئ الثابتة الشاهدة بصحة إسلام « النصارى ».

بحث ثانٍ : ملابسات جمع القرآن وتدوينه.

بحث ثالث : إقحام اسم النصارى في بعض الآيات المدنية.

خاتمة : هذا الإقحام ليس شبهة على صحة القرآن، بل على فهمه.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

توطئة

واقع قرآني مذهل

في مواقف ومبادئ محكمة، يشهد القرآن بصحة إسلام مَن يســمّيهم « النصــارى ». لكن هناك بعض آيات تلقي على صحة إسلامهم شبهة.

فما هي تلك المبادئ التي تشهد بصحة إسلام النصارى؟

وما هي الآيات التي تلقي شبهة على صحة إسلامهم؟

فهل من تعارض في القرآن؟ أم أن ذكر النصارى أقحم على بعــض الآيــات إقحامــاً ظاهراً عند جمع القرآن، إبان الفتوحات الإسلامية لديار المسيحية؟

هذا هو الواقع القرآني المذهل الذي نبحثه في هذا الفصل.

*

بحث أول

المبادئ الثابتة الشّاهدة بصحة إسلام « النصارى »

خمسة مبادئ تحدّد معنى « النصارى » على التخصيص، في القرآن، نوردها بحسب تاريخ النزول. وهي ترفع التعارض الظاهر في الثناء والذم بحق النصارى.

المبدأ الأول: « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاَّ بالتي هي أحسن ــ إلاَّ الذين ظلموا مــنهم ــ وقولوا: آمنا بالذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ونحن له مسلمون » (العنكبوت ٤٦). بهذا المبدإ يختم الدعوة بمكة. وفيه يظهر أهل الكتاب فريقيْن: فريق « الظالمين » الذين يصح جدالهم بغير الحسنى أي بالسيف، وهم اليهود كما يعلن منذ مطلع العهد المدني: « وإذ ابتلى إبراهيم ربُّه بكلمات فأتمهنّ، قال: إني جاعلك للناس إماماً. قال: ومن ذريتي؟ قال: لا ينال عهدي الظالمين » (البقرة ١٢٤). والتصريح المتواتر بظلمهم يشهد بأنهم كانوا « أول كافر به » (البقرة ٤١). فالظالمون الكافرون من أهل الكتاب هم اليهود، كما يظهر من العهد المدني كله.

والجدال بالحسنى واجب مع « المحسنين » من أهل الكتاب، وهو الأمر بالتسليم معهم **أن الإله واحد، والتنزيل واحد، والإسلام واحد**. وهذه الوحدة المطلقة بين فريق من أهل الكتاب وبين المسلمين، لا نجدها في القرآن إلاَّ مع النصارى من بني إسرائيل ومن « تنصّر » معهم من العرب. فهم « النصارى » على التخصيص (الصف ١٤). فلا تصح شبهة على إسلامهم.

المبدأ الثاني: « شهد الله أنه لا إله إلاَّ هو، والملائكة، وأولوا العلم قائماً بالقسط، ــ لا إله إلاَّ هو العزيز الحكيم ــ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ. وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلاَّ من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم » (آل عمران ١٨ ــ ١٩). ما بين الآيتيْن تعارض ظاهر يمنع منه اصطلاح القرآن وأسلوب خطابه. « أولوا العلم قائماً بالقسط » ليس تعبيراً لغوياً كما يتوهمون إنّما هو اصطلاح: فهو يرادف بين أهل الكتاب وأولي العلم؛ ويقسمهم إلى فريقيْن، الظالمين وهم اليهود، وأولي العلم المقسطين وهم النصارى من بني إسرائيل ومَن « تنصّر » معهم من العرب، كما يشهد قوله للحال في اليهود: « إن الذين يكفرون بآيات الله، ويقتلون النبيين بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، فبشرهم بعذاب أليم » (آل عمران ٢١). وهذه الآية شاهد على أن الذين اختلفوا في الإسلام من أهل الكتاب (آل عمران ١٩) إنما هم اليهود، وجاء التعبير على التعميم في موضع التخصيص. فأولو العلم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المقسطون، أي النصارى من بني إسرائيل هم الذين يشهدون للإسلام، والقرآن يشهد له بشهادتهم، وشهادتهم من شهادة الله وملائكته. يؤيد ذلك قوله: « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحقّ وبه يعدلون » (الأعراف ١٥٨) كما يفسره بقوله في (الصف ١٤). فأهل الكتاب المخالفون المعارضون هم اليهود وحدهم؛ أمَّا الموالون الشاهدون بالإسلام فهم النصارى من بني إسرائيل ومَن تنصّر معهم من العرب؛ لذلك يسميهم « أولي العلم قائماً بالقسط » أو « الراسخين في العلم » (آل عمران ٧). فلا تصح شبهة على إسلامهم.

المبدأ الثالث: « ليسوا سواء: من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون؛ يؤمنون بالله واليوم الآخر؛ ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؛ ويسارعون في الخيرات، وأولئك من الصالحين؛ وما يفعلوا من خير فلن يُكفروه؛ والله عليم بالمتقين » (آل عمران ١١٣ ــ ١١٥). فهو يذكر أمته، « خير أمة أُخرجت للناس » (١١٠)؛ ثم يقول: « ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم: منهم المؤمنون، وأكثرهم الفاسقون » (١١٠). ثم ينــدّد باليهود الفاسقين (١١١ ــ ١١٢)، ويميّز بينهم وبين الأمة الصالحة، النصارى من بني إسرائيل ومن « تنصّر » معهم من العرب، مثل ورقة بن نوفل، قسّ مكة. وصفتهم المتواترة في القرآن، مع إسلامهم (آل عمران ١٨ ــ ١٩)، هي قيام الليل للصلاة وترتيل آيات الله؛ وهي عادة نصرانية، لا يهودية ولا عربية؛ وهي « نافلة » لمحمد من دون أمته (الاسراء ٧٩). وميزتهم الإحسان في الإسلام: « يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؛ ويسارعون في الخيرات ». لذلك فهم « من الصالحين ». أما جماعة محمد فلقبهم المتواتر « المتّقون » أي « مَن تاب معك » (هود ١١٣) من العرب. فالنصارى هم « الصالحون » ومثال « المتقين » من جماعة محمد. لذلك سمّاهم أيضاً « عباد الرّحمان » الذين يطلبون إلى ربهم « واجعلنا للمتقين إماماً » (الفرقان ٧٤). فكل شبهة على إسلام « النصارى » في القرآن، دليل شبهة على إقحام ذكرهم في الآية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المبدأ الرّابع، وهو النصّ التفسيري النهائي لحقيقة « النصارى » في القــرآن: « يــا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين: مَن أنصاري إلــى الله؛ قال الحواريون: نحن أنصار الله. **فآمنت طائفة من بني إسرائيل** وكفرت طائفة: فأيدنا الــذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤). فالنصــارى علــى التخصــيص فــي اصطلاح القرآن هم الطائفة من بني إسرائيل التي آمنت بالمسيح، بدعوة رســله الحــواريين. وكانت الدعوة القرآنية انتصاراً لهؤلاء النصارى على اليهود عدوهم حتى النصر المبين. وهذا التصريح يقطع أيضاً بأن القرآن دعوة « نصرانية »؛ ويقطع بصحة إسلام « النصارى ». فلا تجوز على إسلامهم شبهة في آية من القرآن.

المبدأ الخامس، من آخر العهد بالمدينة: « لتجدنّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا! ولتجدنَّ **أقربهم مودة للذين آمنوا** الذين قالوا إنا نصارى: ذلــك بــأن مــنهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون؛ وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع، ممَّا عرفوا من الحق يقولون: ربنا آمنا **فاكتبنا مع الشاهدين**... فأثابهم الله بمــا قــالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، وذلك جزاء المحســنين » (المائــدة ٨٥ ــ ٨٨). فالنصارى هم أهل المودة لجماعة محمد، والقرآن يعلن كتــابتهم شــاهدين وانضــمامهم إلــى المسلمين « أمة واحدة ». ويرجع الفضل في ذلك إلى قسيسهم ورهبانهم. فالذين يعلن عميــق إسلامهم حتى تفيض أعينهم من الدمع عند تلاوة القرآن؛ والذين يعدهم بالجنات الســماوية؛ لا تصح عليهم شبهة في إسلامهم، في آية من القرآن.

تلك المبادئ القرآنية الخمسة، التي تملأ العهد المدني كله، هي أنــوار كاشــفة لــذكر النصارى المشبوه في السور المدنية. يؤيد ذلك ملابسات جمع القرآن وتدوينه.

***

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بحث ثان

ملابسات جمع القرآن وتدوينه

نرى أولاً رُخَص النبي بقراءة القرآن مدى خمس عشرة سنة قبل الجمع العثماني على حرف واحد وقراءة واحدة؛ ثم طريقة جمع القرآن، توقيفاً أم توفيقاً؛ ثم اختلافهم في طريقة جمعه، بحسب تاريخ النزول أم بحسب مبدإ التنسيق؛ أخيراً قصة الجمع العثماني وتدخل السياسة فيه.

أولاً: الرُخَص بقراءة القرآن مدى خمس عشرة سنة

تمّ جمع القرآن، على حرف واحد، وقراءة واحدة، على زمن الخليفة عثمان بن عفَّان، بعد وفاة النبي بخمس عشرة سنة. في هذه الأثناء قامت رخص النبي بقراءة القرآن، باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني.

الرخصة الأولى، في حديث الأحرف السبعة للقرآن[1]: « أُنزل القرآن على سبعة أحرف، كلها شاف كاف، ما لم يختم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب ». قال السيوطي في تفسيره: « اختُلف في معنى هذا الحديث على أربعين قولاً ». لكنه ينسب تفسير الطبري له « لأكثر العلماء ».

قال الطبري، أمام المفسرين بالحديث: « إنّ اختلاف الأحرف السبعة هو اختلاف الألفاظ، باتفاق المعاني » (١: ٤٨). وأيده الزنجاني: « المراد بالأحرف السبعة أوجه من المعاني المتفقة، بالألفاظ المختلفة ». وقال أبو جعفر النحاس في (الناسخ والمنسوخ): « يفهم من سلف الأمة وخيار الأئمة أن معنى (نزل القرآن على سبعة أحرف) من أنه نزل **بسبع لغات**، وأُمر بقراءته على سبعة ألسن باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني ».

---

(١) قابل السيوطي: الإتقان: حديث الأحرف السبعة ١: ٤٧؛ الطبري ١: ٤٨.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

واستهلّ السيوطي تفسير الحديث بأغرب منه فقال: « ليس المراد بالأحرف السبعة **حقيقة العدد**، بل المراد التيسير والتسهيل والسعة ».

فهذا الحديث المتواتر يشهد بواقع النص القرآني قبل تدوينه، وأنه انتهى إلى **سبعة نصوص**، « باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني ». ومدى الاتفاق في المعاني يحدده نص الحديث نفسه: تبديل آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب. فهذه الرخصة مع توسعتها المنصوص عليها، قد تساعد على إقحام كلمة تفسيرية على النص المنزل.

الرخصة الثانية: بالقراءات المتعددة للحرف الواحد: « فاقرأوا ما تيسّر منه ». قال أبو شامة في معنى هذه القراءات المختلفة قبل الجمع العثماني: « ظنّ قوم أنَّ القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث، **وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة**؛ وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل »[1].

الرخصة الثالثة: بقراءة القرآن بسائر لغات العرب على تعدّدها وتنوّعها. يقول ابن الخطيب[2]: « أما جمع عثمان ر. لم يكن إلاَّ لكثرة اختلافهم في وجوه القراءة، **حتى انهم قرأوا بسائر لغاتهم على اتساع تلك اللغات** ».

الرخصة الرابعة: في **قراءة القرآن بالمعنى** من دون الحرف. وهو مذهب بعض الصحابة كمجاهد وأبي بن كعب. وقد أجاز هذه الطريقة الخلفاء الراشدون. وإنما أجازوا القراءة بالمعنى لأنّها « لم تختلف في شيء، من شرائع الإسلام... ولا يتنافى هذا مع قوله جلّ شأنه (إنا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون) (الحجر ٩) لأنّ المراد بالحفظ **مفهوم الألفاظ، لا منطوقها**[3] »

(١) قابل ابن الخطيب: الفرقان ١٢٣.
(٢) ابن الخطيب: الفرقان ١٢٠.
(٣) ابن الخطيب: الفرقان ١١٤ ــ ١١٥.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فهذه الرخصة تقود حتماً إلى شبهات على صحة حفظ الحرف المنزل، وإلى إمكانية إقحام كلمات تفسيرية على الآيات الكريمة. وإتلاف عثمان للأحرف الستة بالنار، كما سنرى، يشهد بأن الإمكانية تحولت إلى واقع.

لذلك متى ثبت بالبرهان إقحام كلمة على القرآن، من زمن الجمع والتدوين ــ ولم يكن الجامعون بمعصومين ــ فليس القول بذلك كفراً، ولا طعناً بالقرآن. والقول الفصل إن العصمة في التنزيل، لا في التدوين.

*

ثانياً: هل كان الجمع الجمع بتوقيف على النبي، أم بتوفيق من الصحابة؟

عقد السيوطي (الإتقان ١: ٦٢ ــ ٦٣) فصلاً في ذلك فقال:

١) في ترتيب الآيات في السورة: « الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي، وعبارته: ترتيب الآيات في سورها بتوقيفه ص وأمره، من غير خلاف في هذا بين المسلمين »... **فبلغ ذلك مبلغ التواتر.**

« نعم يشكل على ذلك ما أخرجه ابن أبي داود في (المصاحف)... عن عبد الله بن الزبير عن أبيه، قال: أتاني الحارث بن خزيمة بهاتيْن الآيتيْن من آخر سورة (براءة) فقال: أشهد أنّي سمعتهما من رسول الله ص ووعيتهما. فقال عمر: وأنا أشهد لقد سمعتهما. ثم قال: **لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة من القرآن**، فألحقوها في آخرها. قال ابن حجر: ظاهر هذا أنهم **كانوا يؤلفون آيات السور باجتهادهم** ».

وأضاف ما يؤيد الاجتهاد في جمع الآيات بالسورة الواحدة، وجمع السور في القرآن: « **وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة** ».

ونقل (الإتقان ١ ــ ٥٩) أيضاً: « قال ابن سيرين لعكرمة عند جمع مصحفه: « ألفوه كما أُنزل، الأول فالأول. قال: لو اجتمعت الإنس والجن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

على **أن يؤلفوه هذا التأليف ما استطاعوا** ».

فالواقع التاريخي يشهد باستحالة تأليف الآيات في السورة، بالتوقيف على النبـــي؛ وأن ذلك كان باجتهاد الصحابة.

والواقع القرآني يؤيد ذلك: بوجود آيات مدنية في سور مكية، كوجود آيات مكية فـــي سور مدنية. مثال ذلك حديث « النبي الأمي » (الأعراف ١٥٥ ــ ١٥٨) الذي يقطع خطـــاب موسى لربه. ومثال ذلك إقحام جدال وفد نجران، من عام الوفود، في جدال اليهود وهـــو مـــن أول العهد بالمدنية (آل عمران ٣٣ ــ ٦٤). وظاهرة التفكك في السياق بين الآيات، وتشّـــعب المواضيع، في السبع الطوال، يشهد بأن تأليف الآيات في السورة كان حيناً بالحفظ عن النبـــي، وحيناً باجتهاد الصحابة الجامعين.

٢) في ترتيب السور في القرآن، قال الإتقان: « وأمَّا ترتيب السور فهل هـــو تـــوقيفي أيضاً أو هو باجتهاد من الصحابة؟ ــ خلاف: **فجمهور العلماء على الثاني** (أي باجتهاد مـــن الصحابة)... ولذلك اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور: فمنهم مَن رتّبها على النـــزول وهو مصحف عليّ. وكان أوّل مصحف ابن مسعود (البقرة ثم النساء ثـــم آل عمـــران) **علـــى اختلاف شديد**. وكذا مصحف أُبي وغيره ».

وهكذا نرى نزعتيْن عند الصحابة في ترتيب القرآن وتأليفه: النزعة الهاشمية عند أهل البيت بزعامة الإمام علي، تميل إلى الترتيب التاريخي ــ وهو الأصح القـــائم علـــى الواقـــع التاريخي؛ والنزعة الأموية التي انتصرت أخيراً مع الخليفـــة عثمـــان، تميـــل إلـــى الترتيـــب التنسيقي، كما هو الحال في المصحف الحالي. وهذا الترتيب التنســـيقي نفســـه كـــان « علـــى اختلاف شديد » انتصر عليه عثمان بإتلاف المصاحف ما عدا مصحفه الأميـــري، كمـــا روى الطبري في مطلع تفسيره.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وبما أن تأليف الآيات والسور كما هو عليه كان باجتهاد الصحابة ـ ولم تكن معصومة ـ فهذا الواقع يترك مجالاً لإقحام كلمة تفسيرية في آية قرآنية، مثل كلمة « النصارى » في بعض الآيات المدنية.

***

ثالثاً: قصة جمع القرآن

مرّ جمع القرآن بأطوار ومراحل حتى انتهى إلى المصحف العثماني، فمصحف الحجَّاج. قال السيوطي (الإتقان ١: ٥٨ ـ ٥٩) في حديث عن زيد بن ثابت، أوّل مَن كُلف بجمع: « قال: قُبض النبي ص ولم يكن القرآن جُمع في شيء ».

ويلاحظون أن أكثر ما كان عليه الحال عند وفاة النبي، أن جمع الآيات في سور قد بدأ على حياته. وأتمّه الصحابة من بعده.

ثم ظهرت الحاجة، في حروب الردة ثم في الفتوحات، على أيام أبي بكر ثم عمر، لجمع القرآن قبل زوال حفظته. فكانت محاولات فردية، ثم رسمية.

١ ـ **المحاولة الرسمية الأولى**، قام بها أبو بكر الصديق، بإرشاد عمر بن الخطاب، على يد زيد بن ثابت. ولمَّا كُلف بالمهمة قال: « فتتبعت القرآن أجمعه، **فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به** ». هذه الشهادة تفيد استحالة العمل؛ وتبرّر ما جاء على لسان ابن عمر نفسه[١]: « لا يقولن أحدكم (أخذت القرآن كله)، وما يدريه ما كله: **قد ذهب منه قرآن كثير!** ولكن ليقل: قد أخذتُ منه ما ظهر ».

(١) قابل دروزة: القرآن المجيد ٥٩.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

واستحالة جمع القرآن كله تقوم على مصادره. قال زيد بن ثابت: « فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف، وصدور الرجال... فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر ».

في هذه الأثناء اختلى عليّ، وقد آلت الخلافة إلى غيره، يشتغل في جمع القرآن. قال: « **رأيت كتاب الله يُزاد فيه،** فحدثت نفسي أنْ لا ألبس ردائي، إلاَّ لصلاة حتى أجمعه ». وكان الجمع قبله بلا ترتيب، بينما جمْع علي كان على ترتيب النزول، مع ذكر جميع الناسخ والمنسوخ. نلاحظ الشهادة المتواترة عن الإمام عليّ: « **رأيت كتاب الله يُزاد فيه** ».

فكانت المحاولة الرسمية الأولى على جبهتيْن، وعلى أسلوبيْن.

٢ ــ **المحاولات الفردية غير الرسمية.** إلى جانب مصحف زيد الذي ربما كان مصحف الصديق، ومصحف عمر بن الخطاب؛ وإلى جانب مصحف الإمام عليّ؛ كان هناك **مصحف سالم،** مولى حذيفة؛ **ومصحف عائشة** أم المؤمنين، **ومصحف حفصة** أم المؤمنين، جمعه لها مولاها عمر بن رافع؛ **ومصحف أُبي بن كعب؛ ومصحف ابن مسعود،** من أئمة القرّاء[1].

وهكذا يظهر أنه كان للخلفاء مصحفهم، ولأهل البيت مصحفهم، ولأمهات المؤمنين مصافحهن، ولأئمة القرّاء مصاحفهم. هذا واقع الحال عند محاولات الجمع الأولى، واختلاف المصاحف دليل على اختلاف القرآن فيها، بعد تلاوته على سبعة أحرف، بسبع قراءات، وبكل لغات العرب، وأحياناً بالمعنى من دون الحرف.

٣ ــ **المحاولة الرسمية الكبرى،** على يد الخليفة عثمان بن عفَّان.

---

(١) راجع كتابنا: القرآن والكتاب ــ القسم الأول ص ٢٣١ ــ ٢٣٢.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لمَّا آلت الخلافة، مع عثمان، إلى جانب بني أمية، بدأ آل البيت يستشهدون بالقرآن لتأييد حقهم في الخلافة من دون غيرهم. فرأى عثمان ومن معه أن يجعلوا للمسلمين « **إماماً** » **للقرآن**. قال ابن حجر[١]: « **وقد كان ذلك سنة خمس وعشرين** » للهجرة، أي سنة خمس عشرة من وفاة النبي.

في هذه الفترة كانت الفوضى قد عمّت في قراءة القرآن، فتعدّدت أحرفه، وتنوّعت قراءاته، واختلفت مصاحفه: « قرأوه بسائر لغاتهم على اتساع تلك اللغات، **فأدّى ذلك إلى اختلافهم وتخطئة بعضهم بعضاً**. فلمَّا خشي عثمان تفاقم الأمر جمع المصحف، مقتصراً على لغة قريش، محتجّاً بأنه قد نزل بلغتهم[٢] ».

فأنشأ عثمان لجنة ثنائية، ثم رباعية، ثم اثنعشرية من المهاجرين والأنصار لكتابة المصحف « الإمام ». ونسخ على نسخ معدودات بعث بها إلى عواصم الأمصار. وعمد إلى أحرف القرآن الستة الأخر فأتلفها. قال الطبري (١: ٦٢ ــ ٦٦) بعد سرد القصة: « **إن الأحرف الستة الأخر أسقطها عثمان ومنع من تلاوتها** ». وعمد إلى سائر المصاحف فأتلفها بالحديد والنار، حتى مصحف زيد الذي اعتمده الخليفتان الأولان أبو بكر، وعمر: وحتى مصحف الإمام عليّ، أولى الناس بحفظه حقّ حفظه.

وهذه ميزات الجمع العثماني للمصحف « الإمام »:

ــ أسقط عثمان الأحرف الستة التي نزل عليها القرآن، بحسب الحديث الشهير. ولم يحتفظ إلاَّ بالحرف « العثماني ».

ــ أسقط من القرآن أكثر المنسوخ الذي كان مصحف الإمام علي يحتفظ به.

ــ اعتمد الترتيب التنسيقي، من دون التاريخي على حسب النزول.

ــ وتلاحق عثمان تهمة أخرى. تغيير المصاحف. وروي عن حميدة بنت

---

(١) قابل ابن الخطيب: الفرقان ٤٠.
(٢) قابل ابن الخطيب: الفرقان ١٢٠.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أبي أوس قالت: « قرأ عليّ أبي، وهو ابن ثمانين، في مصحف عائشة: (إن الله وملائكته يصلّون على النبي؛ يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً ـ وعلى الذين يصلون في الصفوف الأولى). **وذلك قبل أن يغيّر عثمان المصاحف**[1] ».

ـ وهذا التغيير يشمل اسقاط سور، أو بعض سور، أو آيات: « أورد السيوطي حديثاً عن عائشة، بروايته عن ابن الزبير، جاء فيه: إنّ سورة الأحزاب كانت تقرأ في زمن النبي مئتي آية. فلما كتب عثمان المصاحف لم نقدر منها إلاّ ما هو الآن. وأَورد كذلك حديثاً عن أُبَيّ بن كعب أنه سأل رزّا بن حبيش: كم تعد سورة الأحزاب؟ قال: اثنتين وسبعين، أو ثلاثاً وسبعين. قال: إن كانت لتعدل سورة البقرة. وروى المسوّر بن مخزّمة أن عبد الرحمان بن عوف قال: ألم نجد في ما أُنزل علينا (وجاهدوا كما جاهدتم أول مرة) فإنا لا نجدها. قال: **أُسقطت فيما أسقط من القرآن**[2] ».

والنتيجة الحاسمة أن القرآن طرأ عليه زيادة، بشهادة الإمام عليّ؛ وطرأ عليه نقصان، بشهادة عائشة أم المؤمنين. ولكن تلك الزيادة وذلك النقصان **لا يمسان جوهر الأحكام. فنجزم بتواتر صحة القرآن الجوهرية.**

وهذا ما يسمح لنا أن نرى **زيادة كلمة** « **النصارى** » على بعض الآيات، كما يُثبت ذلك النقد النزيه الذي يلي.

*

رابعاً: هل تدخلت السياسة في جمع القرآن؟

إنَّ القرآن دستور الإسلام، ديناً ودولة وثقافة: فكان لا بدّ للصحافة والأمة من جمعه. فقامت المحاولات الفردية والرسمية التي رأينا.

---

(١) قابل دروزة: القرآن المجيد ٥٩.
(٢) قابل دروزة: القرآن المجيد ٥٧ و٥٩.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ولكن **الشبهة الكبرى** تظل عالقة بالجمع العثماني وتوحيد الأمة على الحرف العثماني. قام الخليفتان أبو بكر وعمر بالجمع الأول على يد زيد بن ثابت. وكانت الصحف المجموعة عند حفصة بنت عمر وأم المؤمنين. فما الذي حدا بعثمان لإتلاف هذا المصحف الرسمي[١]، مع ما أتلف من مصاحف الصحابة وأمهات المؤمنين؟ السبب يظهر من حديث الأحرف السبعة المشهور. لقد أمسى التنزيل **سبعة قرائين** « **باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني** » كما يقول الطبري. والسبب أيضاً هو **مجابهة الإسلام للمسيحية**، في الفتوحات العربية. ولم يكن القرآن يذكر هذه المسيحية الرسمية بشيء. فكان لا بدّ من جمع جديد وإصدار جديد للقرآن تظهر فيه تلك المسيحية، وكأنها معنية في القرآن، منذ زمن تنزيله. وهكذا تدخلت السياسة في جمع القرآن.

ولمَّا تولّى عثمان الخلافة، نَجَمَ التشيّع لآل البيت، بالاستناد إلى القرآن والحديث. فكان لا بدّ من إظهار الخلافة « شورى » بين المسلمين، لا « وصية » من الرسول. ومنذ ذلك الحين ما زالت تهم الشيعة تلاحق عثمان بإسقاطه من القرآن ما يخصّ الإمام عليّاً وآل البيت. ولهم سند من ذلك في شهادات الصحابة التي ذكرناها. وهكذا تدخلت السياسة أيضاً في جمع القرآن على الحرف العثماني.

فذلك الواقع من داخل ومن خارج أدّى إلى جمع القرآن على الحرف الوحيد الباقي على وجه الدهر. ونذكر الآن **بعض المظاهر** التي تعني المسيحية في جمعه، وهي على خلاف واقع التنزيل.

---

(١) نقل السجستاني في (كتاب المصاحف): « أرسل إليها فأبت أنْ تدفعها إليه حتى عاهدها ليردّنها إليها فبعثت بها إليه. فنسخها عثمان في هذه المصاحف ثم ردها إليها. فلم تزل عندها حتى أرسل مروان فأخذها فحرقها » (ص ٩).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فهذا الواقع، تدعمه (أسباب النزول)، يشهد بأن سورة آل عمران كانت من أول العهد بالمدينة، في زمن غزوة بدر الأولى (سنة ٦٢٤ م) وغزوة أحد (٦٢٥ م) وغزوة بدر الثانية (٦٢٦ م). وكان جدال اليهود على أشدّه، لكفرهم بالقرآن ومؤامراتهم المتواصلة مع المشركين بمكة والمنافقين بالمدينة على النبي والإسلام. وبعد غزوة الخندق (٦٢٧ م) تمت تصفية اليهود من المدينة. ولا مجال بعد لتطاولهم على الدعوة. ولمَّا تمّ فتح مكة (رمضان ٨ هـ = كانون الثاني ٦٣٠)، وسيطرَ الإسلام على الحجاز كله، لم يعد فيه لليهود من كلمة، ولا للقرآن معهم من جدال.

وفي عام (٦٣٠ م) تمت غزوة تبوك الناجحة إلى مشارف الشام لإخضاع العرب المسيحيين لسلطان المسلمين. وتلاها عام الوفود (٢٠ آذار ٦٣٠ م ـ ٨ آذار ٦٣١ م)، إذْ « عرفت العرب أنْ لا طاقة لها بحرب رسول الله ص[1]. » في هذا العام كان جدال القرآن لوفد نجران، بينما كانت تنزل سورة المائدة، التي صدّروها بما نزل في حجة الوداع (في آخر ذي القعدة، سنة عشر هجرية، أي في آذار ٦٣٢ م)، قبل وفاة النبي بأشهر (٦٣٢ م): « اليوم أكملت لكم دينكم! وأتممت عليكم نعمتي! ورضيت لكم الإسلام ديناً! » (المائدة ٤). فكأنها آخر ما نزل من القرآن[2].

فالواقع المشاهد أن جدال وفد نجران من عام الوفود (٦٣١ م)، موقعه في سورة المائدة. لكننا نرى:

١ ـ أنهم نقلوا جدال وفد نجران من سورة المائدة، في عام الوفود، إلى سورة آل عمران (٣٣ ـ ٦٤)، وهي كلها في جدال بني إسرائيل، من عام

---

(١) السيرة لابن هشام ٤: ٢٠٥.
(٢) السيوطي: الإتقان ١: ٢٩.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

(٦٢٤ م). جاء في (أسباب النزول) للسيوطي: « لمَّا قدم أهل نجران على رسول الله ص يسألونه عن عيسى ابن مريم **نزلت فيهم فاتحة آل عمران** إلى الثمانين منها. أخرجه البيهقي في الدلائل ». وهو تعميم ينحصر في (آل عمران ٣٣ ــ ٦٤) لا يشمل ما قبلها ولا ما بعدها. وهو جدال في غير موضعه، مقحم على جدال اليهود المتواصل في السورة. والغرض منه إظهار صراع القرآن للمسيحية كصراعه لليهودية، طوال عهده بالمدينة ــ مع أن واقع السيرة وواقع القرآن يشهدان بأن النصارى من بني إسرائيل كانوا على الموالاة الدائمة، والمسيحيون في الحجاز، مثل وفد نجران أيضاً، على الحياد التام حتى عام الوفود، وغزوة تبوك. تكفي شهادة (المائدة ٨٥ ــ ٨٩). فذلك إقحام في غير موضعه لغرض في نفس الجامعين.

٢ ــ وأقحموا أيضاً في جدال القرآن لليهود، **بسورة النساء** من العهد الأول بالمدينة، تكفيرات القرآن لموقف وفد نجران، من آخر العهد الثاني بالمدينة (الآيات ١٧٠ ــ ١٧٣). والإقحام ظاهر لأنه يقطع السياق في الخطاب: « يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق... يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم » (النساء ١٦٩ و١٧٤). وعندما نقول « **بالإقحام** » لا نقصد الزيادة على التنزيل، بل التغيير في ترتيب النزول، بما يخالف الواقع.

فهذا مثل مكشوف لتدخل السياسة في جمع القرآن.

ونرى مثلاً آخر من تأثير الجدال مع وفد نجران، في النص الإضافي المقحم من المدينة على سورة مريم (٣٤ ــ ٤٠) في قصص مريم (١٤ ــ ٣٣)، كما يظهر من تغيير الروي والفاصلة بين شطري السورة على روي واحد، ومن اختلاف النظرة إلى شخصية المسيح.

وهناك إقحام مفضوح من المدينة، في سورة (الأعراف ١٥٥ ــ ١٥٧) وهو حديث « النبي الأمّي » الذي يقطع قصص إبراهيم وبني إسرائيل، بطريقة نافرة مكشوفة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يضاف إليه جدال أهل الكتاب في (الأنعام والأعراف)، وهما في جدال مشركي مكـــة، ولا جدال مع الكتابيين في مكة (العنكبوت ٤٦)، بل دعوة « بالحكمة والموعظـــة الحســـنة » (النمل ١٢٥)، كما ليس من تشريع في مكة.

وهناك ناحية أخرى، إقحام آيات مدنية في سور مكية. فهل كانت تلك الظاهرة الغريبة في إعجاز القرآن، بتوقيف على النبي، أم بتوفيق من الجامعين؟ مثل صارخ على ذلـــك فـــي سورة مريم، حيث يرد ذكر المسيح على رويّ السورة كلها، فأقحموا عليه مـــن زمـــن آخـــر تعديلاً له كما يشهد اختلاف الروي (مريم ١٥ ــ ٣٣ ثم ٣٤ ــ ٤٠).

فإن جمْع جدال الكتابيين في المدينة، إلى جدال المشركين في مكـــة؛ وجمـــع جـــدال المسيحيين من وفد نجران إلى جدال اليهود في سور (آل عمران والنساء والمائـــدة)؛ وإقحـــام ذكر النصارى في جدال اليهود، كما سنرى؛ كل هذا تمّ لهوى في نفس الجامعين. **لقـــد كـــان للسياسية** يد عند جمع القرآن على الحرف العثماني، في زمن الفتوحـــات الإســـلامية للـــديار المسيحية.

وهذا يُلقي شبهة على ترتيب القرآن، في بعض سوره وبعض آياته **ــ لا على صـــحته القائمة التي نشهد لها.** وبعض الشبهة على التدوين عند الجمع كان سبب سوء فهـــم القـــرآن أحياناً على حقيقته، وسبب سوء التفاهم الذي قام بين الإسلام والمسيحية. وخير مثال على ذلك وورد اسم النصارى في غير موضعه، كما يظهر من القرائن اللفظية والمعنوية، القريبة منهـــا والبعيدة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بحث ثالث

إقحام اسم النصارى في سبع آيات مدنية

منذ الدعوة بمكة، اقتصر خطاب القرآن لأهل الكتاب على بني إسرائيل من يهود ونصارى ــ من دون المسيحيين ــ كما يصرّح: « إنّ هذا القرآن يقصّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل ٧٦). وما اختلف بنو إسرائيل إلى نصارى ويهود إلاَّ في المسيح والإنجيل، لا في موسى والتوراة. فتبنّى القرآن تلك « النصرانية » في دعوته (آل عمران ١٨ ــ ١٩) وفي جهاده كما يصرّح بعد فتح شمال الحجاز وتصفية اليهود من الحجاز كله: «... **فآمنت طائفة من بني إسرائيل** (بالمسيح) **وكفرت طائفة:** فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤). فقبل عام الوفود وغزوة تبوك، سنة قبل وفاة النبي، **لم يتعرّض القرآن للمسيحية في شيء**؛ جلّ ما هناك ذكر عابر في إشارة إلى غزوة مؤتة الفاشلة (الحديد ٢٦ ــ ٢٩) في سورة الحمد على الفتح الأعظم لمكة.

والنتيجة الحاسمة لهذا الواقع القرآني، إن القرآن قبل غزوة تبوك وجدال وفد نجران أيْ طوال عهده، لم يتعرّض للمسيحية في شيء (إلاَّ في مخاصمة اليهود على قتل المسيح ــ النساء ١٥٦). فهذا الواقع، مع القرائن الذاتية، **يكشف إقحام ذكر النصارى في سبعة مواضع** من جدال اليهود.

وهذا الإقحام المقصود لذكر النصارى في غير موضعه أضفى ظلاً أسود عشّى على تفسير القرآن، وتلاوته حق تلاوته، كما سمّم منذ البدء صلة الإسلام بالمسيحية؛ والقرآن من ذلك براء.

*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أولاً: إقحام ذكر النصارى في جدال اليهود بسورة البقرة

في سورة البقرة تصريح لواقع تاريخي دائم مشاهد، نقيس عليه أيضاً إقحام اسم النصارى في جدال اليهود: « وقالت اليهود: ليست النصارى على شيء! وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء! (البقرة ١١٣). وهذا الواقع برهان قاطع على أنه لا يصح جمع الفريقيْن في موقف ديني واحد على الإطلاق.

١ ـ « وقالوا: كونوا هوداً ـ أو نصارى ـ تهتدوا » (البقرة ١٣٥)

إن سورة البقرة فيها السلسلة الأولى من جدالات القرآن لليهود. وهذا الفصل (١٣٥ ـ ١٤١) يختم بالآية نفسها التي تختم الفصل السابق (١٣٤)؛ فهو فصل مستقل في موضوع مستقل: الأمة الكتابية التي على الهدى. فيجيب اليهود **بشعار لهم فيه جناس لفظي**، يشتق الهدى من اسمهم: « **كونوا هوداً تهتدوا** ». وهذه هي الآية الأصيلة التي أقحموا عليها ذكر النصارى، فأفسدوا النظم والمعنى، وجعلوا تعارضاً في تفكيره وتعبيره، سواء أخذنا النصارى، بمعنى النصارى من بني إسرائيل، أو بمعنى المسيحيين من غيرهم.

فلا يعقل ـ والعقيدة والتاريخ خير شاهد ـ أنْ يقول اليهود أن الهدى عند النصارى؛ كما لا يعقل أنْ يشهد النصارى بأن الهدى عند اليهود؛ فالإقحام ظاهر مكشوف.

يؤيد ذلك جواب القرآن لهم. ففي جواب أوّل يصرح: « قلْ: بل ملة إبراهيم حنيفاً، وما كان من المشركين » (١٣٥). ونعرف أن صفة « حنيف »، « حنفاء » كان يطلقها المسيحيون في سوريا، باللغة الأرامية، على النصارى من بني إسرائيل، ومعناها « زنادقة » بلغة الفرس، و« هراطقة » بلغة الروم. فأخذوا هم اللقب وأطلقوا على أنفسهم شعاراً لهم للدين الحق. ونقلوه معهم في هجرتهم إلى مكة والحجاز. ثم غالوا على اليهود من بني قومهم وتكنّوا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

باسم « ملة إبراهيم » تأليفاً للعرب. فكانت دعوتهم الأولى في مكة والحجاز إلى «نصرانيتهم» باسم « الحنيفية، ملة إبراهيم »، جد بني إسماعيل، كما هو جد بني إسرائيل. فجواب القرآن لليهود إن الهدى في « الحنيفية، ملة إبراهيم » أي في « النصرانية » ــ وهي غير المسيحية.

يؤيد ذلك الجواب الثاني بأن الإسلام هو الإيمان بما أوتي موسى وعيسى معاً بلا تفريق كما يفعل اليهود: « قولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا... **وما أُوتي موسى وعيسى**، وما أوتي النبيون من ربهم: لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (١٣٦). فالإسلام الحقّ ليس فقط الإيمان بأنبياء التوراة، قبل موسى وبعده! إنما هو الإيمان بموسى وعيسى نبوة واحدة، وكتاباً واحداً وشرعاً واحداً. وهذه هي « النصرانية » عينها، لا اليهودية التي تكفر بالمسيح، ولا المسيحية التي تقتصر على شرع الإنجيل. فالقرآن يجيب اليهود بالعقيدة « النصرانية ». لذلك فقوله « أو نصارى » هو إقحام ظاهر مكشوف.

ويظهر أن جامعي القرآن قصدوا « بالنصارى » هنا (١٣٥) المسيحيين من غير بني إسرائيل كأهل سوريا والعراق ومصر. لكن بهذا المعنى أيضاً، فالإقحام مفضوح تعبيراً وتفكيراً. فلا يُعقل أنْ يقول اليهود بأن الهدى في المسيحية! ولا جدال في سورة البقرة مع المسيحيين على الإطلاق.

وظروف تنزيل سورة البقرة تأبى ذلك الإقحام. فهو يستنتج من وجوب وحدة الإيمان بموسى وعيسى، لصحة الإسلام، التقرير بأن اليهود « هم في شقاق »: « فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ؛ وَّإِن تَوَلَّوْاْ **فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ**. فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » (١٣٧). فهذا الخطاب، في ظروف تنزيله، يقتصر على اليهود وحدهم، فهم أهل الشقاق وأهل المؤامرة على الإسلام ــ لا النصارى من بني إسرائيل وهم « أمة واحدة » مع القرآن؛ ولا المسيحيون الذين لا يخاطبهم في السورة؛ ولا ننسَ أبداً أن القرآن لا يذكر

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

مسيحيي المدينة إلاَّ في آخر سورة منه (التوبة) بمناسبة الراهب أبي عامر و« مسجد الضرار ». وجدال وفد نجران كان بعد غزوة تبوك (التوبة).

وذلك الإقحام المشبوه **المفضوح يخلق تناقضاً** بين قوله: « كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا » (١٣٥)، وبين قوله: « وقالت اليهود: ليست النصارى على شيء! وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء! » (١١٣). وجلّ إعجاز القرآن عن مثل هذا التناقض المكشوف الذي خلقه فيه الجامعون، بذلك الإقحام المفضوح.

والقول الفصل في إعجاز القرآن بالجناس اللفظي في شعارهم: « كونوا هوداً تهتدوا ». (هو مثل قول موسى لربه: « واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة، وفي الآخرة: أنَّا هدْنا إليك » (الأعراف ١٥٥). فالشعار محصور باليهود، ولا محل فيه للنصارى على الإطلاق. فلفظ « أو نصارى » مقحم على الآية (١٣٥)، سواءٌ بمعنى النصارى من بني إسرائيل، أو بمعنى المسيحيين. فالقرآن يأبى عليه إعجازه أن يعاظل في كلامه، مثل المعاظلة الظاهرة في قوله: « وقالوا: كونوا هوداً ــ أو نصارى ــ تهتدوا ».

*

٢ ــ في الفصل نفسه (١٣٥ ــ ١٤١) **إقحام آخر**: « أم تقولون: إنَّ ابراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط **كانوا هوداً ــ أو نصارى!** ــ قلْ: أأنتم أعلم أم الله؟ **ومن أظلم ممّن كتم شهادة عنده من الله**، وما الله بغافل عما تعملون » (البقرة ١٤٠).

هذا القول **استدراك على لسان اليهود**، تعليقاً على شهادة القرآن بإيمانه « بما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط » (١٣٥)،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فنساءل معهم « أم تقولون: كونوا هوداً ــ أو نصارى » (١٤٠). فالسياق في الردّ على اليهود يُظهر بأن « أو نصارى » مقحمة، إذْ لا يُعقل أنْ يعتبر اليهود « إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط » نصارى. وهذا الاستدراك لا يمكن أن يأتي من النصارى، لأن « ما أوتي عيسى » لم يبلغ الآباء والأسباط الماضين حتى يُحسبوا نصارى. إنه استدراك من اليهود وحدهم، وجواب عليهم وحدهم. فإقحام « أو نصارى » ظاهر يأباه السياق.

وجواب القرآن عليهم يشهد بالإقحام: إن الآباء والأسباط لم يكونوا « هوداً » في دينهم، لأن اليهودية في الدين كانت بتوراة موسى من بعدهم.

واعتبار اليهود أن الآباء والأسباط قبل موسى « كانوا هوداً » ينفي أو « نصارى ».

وعلى اعتبار « أو نصارى » ردّاً ضمنيّاً على ادعاء النصارى مثل ادعاء اليهود، فلا يصح الإقحام، لأن الفصل كله (١٣٥ ــ ١٤٠) جدال مع اليهود، لا يشترك فيه النصارى. ولا يُعقل أن يدعي النصارى بأن من جاء قبل يسوع الناصري كان نصرانيّاً.

والقرآن يستشهد على بطلان زعم اليهود بشهادة التوراة نفسها، ويفضح كتمهم لها: « ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله! ».

ويختم بالتقرير أنهم كانوا أمة غير أمة اليهود في الدين، وإن خلط اليهود بين الدين والقومية، ونسبوا لهم دين اليهودية بسبب الوحدة القومية: « تلك أمة قد خلت، لها ما كسبت ولكم ما كسبتم، ولا تسألون عمّا كانوا يعملون » (١٤١).

لذلك كله فظاهرة الإقحام بادية على زيادة « أو نصارى » (١٤٠). وهذا الإقحام في آخر الفصل (١٤٠) فرضه الإقحام الأول في مطلع الفصل (١٣٥).

*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

٣ ــ « وقالوا: **لن يدخل الجنة إلاَّ من كان هوداً** ــ أو نصارى ــ تلك أمانيّهم! قــلْ: هاتوا برهانكم إنْ كنتم صادقين » (البقرة ١١١).

هذا ردّ على شبهة من شبهات اليهود في سلسلة متواصلة. لــذلك فــإن إقحــام « أو نصارى » يجعل الآية متنافرة في ذاتها، ومتناقضة مع ما قبلها ومع ما بعدها.

ففي ذاتها، لا يُعقل أنْ يقبل اليهود أنْ يدخل النصارى الجنة معهم على قدم المســاواة، وهم يعتبرون الجنة لهم « خالصة من دون الناس » (البقرة ٩٤). فالإقحام مفضوح من ذاته.

وهذا القول الدعيّ يقتصر على اليهود وحدهم، فهم وحدهم في جدال مع القــرآن فــي سورة البقرة. ولا دخل فيه للنصارى من بني إسرائيل ولا للمسيحيين من غيرهم.

وجواب القرآن عليهم ينقض هذا الإقحام. ففي جواب أوّل يقول: « بلــى، مــن أســلم وجهه لله، **وهو محسن**، فله أجره عند ربّه، ولا خوف عليهم ولا هـــم يحزنــون » (١١٢). فقوله « **من أسلم وجهه لله وهو محسن** » هــو تعريف النصرانية والنصارى. إنْ اصــطلاح « المحسنين » أو « المقسطين » أو « المسلمين » مترادف في القرآن الــذي هــو « هــدى وبشرى للمحسنين » (٤٦: ١٢) أيْ « هدى وبشــرى للمســلمين » (١٦: ١٠٢) أو « هــدى وبشرى للمؤمنين » (٢: ٢٧؛ ٢٧: ٢). ونعرف أن المحسنين المسلمين موجودون قبل محمــد وهو ينضم إليهم ويدعو بدعوتهم (النمل ٩١)، وهم « أولوا العلم قائماً بالقسط » الذين يشهدون مع الله وملائكته « إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ »، بخلاف اليهود من أهل الكتــاب (آل عمــران ١٨ ــ ١٩). فقيد الحال « وهو محسن » كان لتمييز المسلم « النصراني » من غيره. فالقرآن بهذا الجواب يردّ على اليهود بأن الجنة للنصارى المحسنين، لا لليهود الظالمين.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وفي جواب ثانٍ على اليهود يفتضح التناقض في إقحام « أو نصارى » (١١١) من تصريحه: « وقالت اليهود: ليست النصارى على شيء! وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء! » (١١٣). فإذا كان هذا موقفهم من بعضهم البعض، فكيف يصح أن يُسلم اليهود للنصارى بحق المساواة في دخول الجنة! فالتكفير المتبادل (١١١) ينقض التسليم المتبادل بدخول الجنة (١١٣). ان إقحام « أو نصارى » (١١١) ظاهر مكشوف، سواء عنى النصارى جماعة القس سلمان الفارسي بالمدينة، أم المسيحيين جماعة الراهب أبي عامر بالمدينة.

والإقحام المشبوه يتعارض أيضاً مع ما سبقه. فكيف يقول اليهود: « لن يدخل الجنة إلاَّ من كان هوداً ــ أو نصارى » (١١١)، والقرآن يردّ عليهم لاستئثارهم بالجنة من دون الناس أجمعين: « قلْ: إن كانت الدار الآخرة عند الله **خالصة لكم من دون الناس**، فتمنوا الموت إنْ كنتم صادقين! ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم، والله عليم بالظالمين » (البقرة ٩٤ ــ ٩٥) فما بين الموقفين تناقض مكشوف، فإقحام « أو نصارى » (١١١) مفضوح.

ويدلَّ عليه أيضاً صفتهم المتواترة: « الظالمون »؛ فكيف تكون لهم الجنة « خالصة من دون الناس » « والله عليم بالظالمين »؟ (٩٥)؛ والله يشهد لموسى: « لا ينال عهدي الظالمين » من ذريته (١٢٤)؛ « ولمَّا كتب عليهم (اليهود) القتال تولوا، إلاَّ قليلاً منهم، والله عليم بالظالمين » (٢٤٦). فاليهود « ظالمون » في كل شيء، فلا يقولون: « لن يدخل الجنة إلاَّ من كان هوداً ــ أو نصارى ». إن الإقحام ظاهر.

والفصل كله قبل الآية (١١١) وبعدها هو في جدال اليهود وحدهم، ولا ذكر فيه لجدال النصارى. إنَّ اليهود وحدهم يتبجّحون بالاستئثار بدخول الجنة (٩٥) فلا يرضون بمثل ذلك للنصارى: فالإقحام « أو نصارى » (١١١) ظاهر مكشوف. يكفي تناقض الآية (١١١) مع آية التكفير المتبادل بين اليهود والنصارى (١١٣).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فكلّ القرائن تشهد بأنْ لفظ « أو نصارى » (١١١) مقحم على الآية، يخلق التناقضات الظاهرة في الآية نفسها، ومع ما قبلها، كما مع ما بعدها.

*

٤ ـ « ولن ترضى عنك اليهود ـ ولا النصارى ـ حتى تتبع ملتهم » (١٢٠)

إن إقحام « ولا النصارى » يجعل الآية تتعارض في ذاتها، وتتناقض مع ما قبلها، كما مع ما بعدها. وهذا تناقض يأباه إعجاز القرآن في نظمه وبيانه.

فما هذا التعبير المتناقض في ذاته؟ هل يرضى اليهود أن يتبع محمد ملة النصارى؟ أم هل يرضى النصارى أن يتبع محمد ملة اليهود؟ وهل يكون محمد يهوديّاً ومسيحيّاً على السواء، وفي آن واحد، ليرضي الملتين؟ معاظلة التعبير تشهد إقحام « ولا النصارى ».

وصريح قوله من قبل يأبى هذا الإقحام المشبوه. فالفصل كله في ردّ شبهات اليهود، ولا مكان فيه لحديث النصارى: « ما يودّ الذين كفروا من أهل الكتاب، ولا المشركين، أن يُنزّل عليكم من خير من ربكم » (١٠٥)؛ « وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم، مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً، حَسَداً، مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم، مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ » (١٠٩). فهؤلاء الذين كفروا من أهل الكتاب هم اليهود، الذين أعلن عنهم أنهم « أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ » (٤١). ولا ذكر للنصارى في الجدال فأقحموه.

ويناقض هذا الإقحام التكفير المتبادل بين الفريقيْن: « وقالت اليهود: ليست النصارى على شيء! وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء! » (١١٣). فكيف يرضى اليهود أنْ يتبع محمد ملة النصارى؟ أو يرضى النصارى أنْ يتبع محمد ملة اليهود؟ إنَّ هذا الجمع بين الفريقيْن في رضاهم عن محمد مستحيل ينقضه حالهم.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

والبرهان الأكبر على الإقحام (١٢٠) هو ردّ القرآن المباشر على اليهود. « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به، ومَن يكفر به فأولئك هم الخاسرون » (١٢١). بما أن اليهود « أول كافر به » (٤١) فالذين يتلون الكتاب حق تلاوته ويؤمنون بمحمد والقرآن، هم النصارى. فإذا لم يرضَ اليهود عن محمد، فإن النصارى من بني إسرائيل راضون كل الرضى، لأنهم « يتلون الكتاب حق تلاوته » ـ فالتعارض بين الآيتيْن (١٢٠ و١٢١) ظاهر يفضح إقحام « ولا النصارى » في (١٢٠).

وفي الجواب الثاني يسمّي اليهود باسمهم الذين يفضلون « يا بني إسرائيل » (١٢٢)، ويذكرهم بنعمة الله عليهم، ويدعوهم إلى ذكر يوم الدين، ليرجعوا عن غيّهم (١٢٢ ـ ١٢٣). فهو بتسميتهم « يا بني إسرائيل » يشهد بأن « ولا النصارى » (١٢٠) مقحم على خطابهم.

وفي الجواب الثالث يردّ على عدم رضاهم على النبي، بعدم رضى الله منذ القديم عليهم، في خطاب الله لموسى: « إنّي جاعلك للناس إماماً! ـ قال: ومن ذريتي؟ قال: لا ينال عهدي الظالمين » (١٢٤). فاليهود من بني إسرائيل هم « الظالمون » الذين لا نصيب لهم في عهد الله مع المسيح ومع محمد؛ وهؤلاء « الظالمون » هم وحدهم لا يرضون عن النبي ـ إذْ الخطاب كله (١٢٠ ـ ١٢٤) موجه إليهم ـ أما النّصارى فلا ذكر لهم في خطاب اليهود، فمن الخيانة للتنزيل إقحام ذكرهم فيه. وتفسير الزمخشري لتلك المواطن بأنها أسلوب اللّف، فيه معاظلة وتكلّف، لا يليقان بإعجاز القرآن.

*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

تلك **أربعة مواطن** من سورة (البقرة) يأتي فيها ذكر النصارى مقحماً إقحاماً يرده العقل والنقل. وليس هو فقط من باب « **الاستطراد** » المألوف فيه، كما يحاولون تعليله. يقول الأستاذ دروزة (سيرة الرسول ٢: ١٤٥ و١٥٩): إن ذكر النصارى في تلك الآيات « جاء استطراداً على الأرجح، كما قلنا في مناسبة سابقة... ومن المحتمل أن يكون ذكر النصارى جاء فيها من قبيل **التعميم والاستطراد. غير أنّ مما لا يُحتمل أنْ يكون اليهود قالوا: كونوا نصارى تهتدوا** » ـ إن هذا الاستدراك للأستاذ الكبير هو الذي يجعل تعليله متعارضاً: فإذا لا يُحتمل أنْ يقول اليهود ذلك، فالاستطراد منكر، وهذا ما يأباه اعجاز القرآن. ولا يزول التناقض من تلك الآيات الأربع تعبيراً وتفكيراً، إلاَّ برفع إقحام ذكر النصارى فيها.

وبرفع ذلك الإقحام المشبوه تزول الصورة المشبوهة التي دسّوها في التنزيل، عند الجمع والتدوين، **فغيّرت معالم موقف القرآن من المسيحية**.

والخيانة للأمانة، في حفظ الذكر الحكيم، تصير جناية، لأنَّ تلك الإقحامات الأربعة ترد في أول سورة مدنية، فتطبع العهد كله بطابعها؛ وترد في السورة التي بها صدّروا القرآن في ترتيبه الحالي، فيشمل ظلها القرآن كله؛ فكأن القرآن في كل أطوار التنزيل كان على خلاف مع المسيحية. والواقع القرآني والتاريخي أن القرآن لم يتعرّض **لبدعة مسيحية** إلاَّ في السنة الأخيرة، والنصارى من بني إسرائيل كانوا « أمة واحدة » مع القرآن؛ والمسيحيون أهل المسيحية الرسمية لم يخاطبهم القرآن على الإطلاق، إلاَّ بالتضامن معهم في آية الروم.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ثانياً: إقحام ذكر النصارى والإنجيل في جدال اليهود بسورة آل عمران

سورة آل عمران سلسلة ثانية من جدال القرآن لليهود.

١ ـ لذلك **فقصص آل عمران** (٣٣ ـ ٦٤) مقحم على السورة، من زمن الجمع والتدوين. إن (أسباب النزول) والسير النبوية كلها تشهد بأن قصص آل عمران من جدال القرآن لوفد نجران، في عام الوفود، أي من زمن سورة المائدة، لا من زمن غزوة بدر وتنزيل السورة التي أسموها (آل عمران). **فسرت الشبهة أن السورة كلها في جدال اليهود والنصارى جميعاً**. مع أنه إذا رُفع قصص آل عمران منها إلى موضعه وزمان تاريخه، تظهر السورة كلها حلقات متصلة في جدال اليهود وحدهم. فالإقحام ليس في النص، بل في مكانه وزمانه. وفي ذلك تشويش على موقف القرآن الحقّ من المسيحية.

٢ ـ وفي جدال اليهود على حقهم بالأولوية لإبراهيم جاء:

« يا أهل الكتاب لِمَ تحاجون في إبراهيم، وما أُنزلت التوراة ـ والإنجيل ـ إلاَّ من بعده، أفلا تعقلون... **ما كان إبراهيم يهوديّاً، ـ ولا نصرانيّاً ـ ولكن كان حنيفاً مسلماً**، وما كان من المشركين. إن أولى الناس بإبراهيم لَلَّذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا، والله وليّ المؤمنين. ودّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم... » (٦٥ ـ ٦٩).

إنَّ ظاهر التعبير « يا أهل الكتاب » مطلق، لذلك فهو يوهم صحة ذكر الإنجيل (٦٥)، وصفة « ولا نصرانيّاً » (٦٧). لكن التعبير أسلوب بياني مضطرد فيه، وهو يقصد التخصيص في معرض التعميم، كما تدل عليه القرائن في الفصل نفسه: فأهل الكتاب الذين يحاجّون في ابراهيم هم « طائفة من أهل الكتاب » ودّت لو يضلونكم (٦٩)؛ وهم « طائفة من أهل الكتاب »

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

قالت: « آمنوا بالذي أُنزل على الذين آمنوا وجه النهار، واكفروا آخــره، لعلهــم يرجعــون » (٧٢). فالتعبير « يا أهل الكتاب » خاص، لا عام؛ واستخدام العام في موضع الخاص أســلوب بياني مشهور. فتلك الطائفة المتآمرة على الدعوة القرآنية هم اليهود وحدهم، ولا مجال لــذكر الإنجيل والنصارى في خطابهم، لئلا يزدادوا طغياناً في كفرهم. لذلك فكلمــة « **والإنجيــل** » مقحمة على الآية (٦٥).

وقوله « **ولا نصرانياً** » (٦٧) يتعارض مع الآية التالية: « إن أولى النــاس بــإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا » (٦٨). إن تعبير « **الذين آمنوا** » مختص على التواتر بجماعة محمد، فهو مختلف عن « **الذين اتبعوه** »؛ وهؤلاء ليسوا اليهود الذين يردّ عليهم؛ فهم الجماعة الثالثة أي النصارى. فالنصارى ومحمد وجماعته « الذين آمنوا » هم أولى بــإبراهيم من اليهود. وولاية النصارى من إبراهيم تجعل قوله « ولا نصــرانياً » مقحمــاً علــى الآيــة (٦٧)، لأن الخطاب ردّ على اليهود.

والإقحام ظاهر في الآية نفسها، حيث « **ولا نصرانياً** » صفة تتعارض مــع « **حنيفــاً مسلماً** » (٦٧). فالنصارى من بني إسرائيل، ومن « تنصّر » معهم من العــرب كــانوا فــي اصطلاح القرآن « المسلمين » من قبله (الحج ٧٨)، الذين إذا يُتلى القرآن عليهم « قالوا: إنــا كنَّا من قبله مسلمين » (القصص ٥٣)، والــذين أُمر محمد بأنْ ينضم إليهم ويدعو بــدعوتهم: « وأُمرت أنْ أكــون من المسلمين وأنْ أتلو القرآن » (النمل ٩١). فالنصارى هم المســلمون من قبله بإسلام إبراهيم، فلا يصح أن يضيف « ولا نصرانياً » (٦٧). ونعرف أيضاً أن صفة « حنيف » و« حنفاء » كانت لقب النصارى من بني إسرائيل في ديــار المســيحية بســوريا. فالقرآن، إذ يعلن بأن إبراهيم كان « حنيفاً مسلماً » فهو يشهد من

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

طرف خفي بأنه كان « نصرانياً » لا يهودياً. لذلك فالتعبير « حنيفاً مسلماً » ينقض الصفة « ولا نصرانياً » فهي مقحمة.

فجواب القرآن على زعم اليهود في أولويتهم لإبراهيم يشهد بأن تعبير « والإنجيل » (٦٥)، وصفة « ولا نصرانياً » (٦٧) هما مقحمان على خطابه لليهود. وهذا الإقحام المزدوج شوّه موقف القرآن من النصرانية ومن المسيحية؛ والقرآن من ذلك براء.

***

ثالثاً: إقحام ذكر النصارى في جدال اليهود بسورة المائدة

إن الظاهرة الكبرى على سورة (المائدة) أنها تشمل جدال القرآن متواتراً مع اليهود ومع النصارى. ومن المعروف في السيرة النبوية أن تصفية اليهود من الحجاز قد تمت قبل تنزيل سورة (المائدة)، كما يشهد بذلك في (الصف ١٤). لذلك فجدال اليهود لا مجال له فيها، وقد أقحم على (المائدة) إقحاماً، ومكانه في (آل عمران) يدل قصص آل عمران (٣٣ ــ ٦٤). هذا **تشويش أول** للحقيقة القرآنية.

تشويش ثان هو دمج جدال وفد نجران (١٥ و١٩) بفصل كله في جدال اليهود (١٣ ــ ٣٥)؛ حيث ذكر النصارى العابر يقطع سياق الجدال مع اليهود.

وسورة (المائدة) ــ إذا رفعنا منها جدال اليهود إلى موضعه التاريخي ــ محورها جدال وفد نجران الذي وزعوه على (آل عمران) وعلى (النساء): مع ما نزل فيها على جوانبه. واجماع المفسرين **أن وفد نجران كان مسيحياً على**

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

مذهب اليعــقوبية، كمــا يتضح من التكفير المكرّر (١٩ و٧٥). وتسمية الوفــد النجــــراني « نصرانياً » شبهة أولى لعدم التفريق بين المسيحيين وبين النصارى. وشبهة ثانية في إطــلاق تكفير القرآن لعقيدة وفد نجران اليعقوبي على المسيحية جمعاء، وهي التــي كفــرت البدعــة اليعقوبية عام ٤٥١ م قبل القرآن. وهذا **تشويش ثالث** عام على فهم حقيقة القرآن. ننتقــل الآن إلى الإقحامات بالتفصيل.

١ ــ في فصل أول (المائدة ١٣ ــ ٣٥) يحمل القرآن على بنـــي إســرائيل اليهــود، لنقضهم ميثاقهم مع الله. والخطاب يخصهم وحدهم لأنه يفتتحه ويختتمه بذكرهم نصــاً « بنـــي إسرائيل ». لكن في جدال اليهود أقحموا آيتيْن في جدال وفد نجران تقطعــان الســياق قطعــاً ظاهراً.

ففي الآية (١٥) يقول: « ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم **فنسوا حظّــاً ممــا ذكروا به**، فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، وســوف ينبــئهم الله بمــا كــانوا يصنعون ». إذا أخذنا تصريحه على ظاهره، بحسب التعريف الواحد بهــم فـــي (١٥) وفـــي (٨٥): « الذين قالوا إنا نصارى »، تتعارض آية النسيان لبعض ذكرهم (١٥) مع آية المــودة (٨٥) حيث نراهم مسلمين كاملين، « ترى أعينهم تفيض من الدمع ممَّا عرفــوا مــن الحــق، يقولون: **ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين**.. فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهــار خالدين فيها، وذلك جزاء المحسنين » (٨٥ ــ ٨٨)، فهم قاموا بميثاقهم ولم ينسوا حظــاً ممــا ذكّروا به. وهذا التعارض قائم مع إدخال حرف التبعيض « من » على الذين نسوا حظاً ممــا ذكّروا به، لأن الإطلاق في الآية (٨٥) يشملهم.

لكن التعارض الظاهر يزول متى عرفنا أن آية المودة (٨٥) هي في النصــارى مــن بني إسرائيل ومَن « تنصّر » معهم من العرب، كما يظهر من لقبهم المتواتر

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

« **المحسنين** » (٨٨)؛ وأن تهمة النسيان لبعض ذكرهم (١٥) تقصد وفد نجران المسيحي اليعقوبي. ففي تهمة النسيان لا ذكر للمسيحية الرسمية على الإطلاق.

*

٢ ــ في الفصل نفسه (١٣ ــ ٣٥) يقطع جدال اليهود بتكفير « الذين قالوا: **إن الله هو المسيح ابن مريم** » (١٩). وصيغة التكفير، بإجماع المفسرين، تعني اليعقوبية التي كان عليها وفد نجران. وتكرار التكفير (٧٥) دليل الإقحام في غير موضعه (١٩). ونشعر أن غاية الإقحامين (١٥ و١٩) كانت لتشمل حملة القرآن على اليهود المسيحية نفسها. والقرآن من ذلك براء.

وعلى هامش البحث نقول: إن اتهام الذين « يحرّفون الكَلِم عن مواضعه » (١٤)، « يحرّفون الكَلِم من بعد مواضعه » (٤٤) هو بحق جماعة « **من الذين هادوا** » (٤٤) كما يظهر أيضاً من الفصل كله. فلا ذكر على الإطلاق للنصارى أو للمسيحيين في تهمة التحريف. والتحريف اليهودي المذكور هو تأويل آية الرجم للزاني والزانية بحسب التوراة، بالتحميم والجلد، في اجتهادهم. والانحراف في التأويل ليس تحريفاً في حرف التنزيل. فشبهة تحريف الكتاب، بناءً على ذينك التصريحيْن (١٤ و٤٤) ساقطة لاغية.

*

٣ ــ الإقحام الصحيح الأول هو في قوله: « **وقالت اليهود ــ والنصارى ــ نحن أبناء الله وأحباؤه!** قلْ: فلِم يعذبكم بذنوبكم؟ بل أنتم بشر ممن خلق » (٢٠).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

واقع السورة يشهد بأن الفصل كله (١٣ ــ ٣٥) جدال مع اليهود؛ ولا يغيّر من هذا الواقع إقحام آيتيْن عليه من جدال وفد نجران (١٥ و١٩). فاليهود وحدهم هم الذين يتبجحون في القرآن بادعائهم « نحن أبناء الله وأحباؤه » من دون الناس؛ يدل عليه جواب القرآن: « قلْ: فلِم يعذبكم بذنوبكم »، الذي يشير إلى قتال اليهود وتصفيتهم من المدينة، ثم من الحجاز كله. وقبل الأمر بقتال المسيحيين العرب في شمال الجزيرة (التوبة ٣٠ ــ ٣٥) ليس في القرآن كله من ذكر لتعذيب النصارى أو المسيحيين. لذلك فكلمة « **والنصارى** » مقحمة على الآية.

يؤيد ذلك اللعنة الموجهة إلى اليهود: « لُعِن الذين كفروا من بني إسرائيل، على لسان داود وعيسى ابن مريم » (المائدة ٨١)، فهو يستثني النصارى من بني إسرائيل من هذه اللعنة؛ ولا ذكر للمسيحيين من غير بني إسرائيل.

ويجزم بإقحام كلمة « نصارى » على الآية (٢٠) الشهادة بعذابهم بذنوبهم، التي **تنقضها الشهادة بحسن إسلامهم**، وإثابة الله لهم « بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها، وذلك جزاء المحسنين » (المائدة ٨٥ ــ ٨٨).

فالقرائن القريبة والبعيدة تشهد بأن ذكر « النصارى » في الآية (٢٠) مقحم عليها من زمن الجمع والتدوين، وهو يلائم حال الفتح والاحتلال.

*

٤ ــ والإقحام الأكبر، بل الدسّ الأكبر على القرآن هو في آية الموالاة:

« يا أيها الذين آمنوا، لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء! بعضهم أولياء بعض! ومن يتولّهم منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين » (٥٤).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

هذه الآية سبب **البلاء التاريخي** بين المسلمين والمسيحيين، لكنه ليس من التنزيل في شيء. إنما البلاء في غفلة أو غاية التدوين، لأن إقحام « النصارى » على الآية يتعارض مع السورة كلها، ومع القرآن كله.

فالإقحام ظاهر من تنافر الآية نفسها في قوله: « **بعضهم أولياء بعض!** » ومتى كان النصارى واليهود « بعضهم أولياء بعض »؟ وهو الشاهد عليهم: « وقالت اليهود: ليست النصارى على شيء! وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء! » (البقرة ١١٣). ولا نرى في القرآن كله شيئاً من ذلك الولاء المزعوم.

وكيف يمنع مولاة النصارى وهو يشهد فيهم: « ولتجدنّ أقربهم مودة للذين آمنوا، الذين قالوا إنا نصارى... ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين... وذلك جزاء المحسنين » (المائدة ٨٥ ــ ٨٨). إن النصارى هم المحسنون، أهل المودّة، أمة واحدة مع الشاهدين المسلمين، فلا يعقل أنْ يُناقض القرآن نفسه في السورة عينها فيمنع المولاة مع أهل المودة والإسلام. إنَّ إقحام « والنصارى » (٥٤) ظاهر مفضوح!

والسورة نفسها تنص في آية أخرى على **منع المولاة مع المقصودين بها:** « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء؛ واتقوا الله إنْ كنتم مؤمنين » (٦٠). الكفار هم المشركون؛ والفصل كله بعد الآية (٦٠) يشهد بمن هم المستهزئين من أهل الكتاب: إنهم « مَن لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير » (٦٣)؛ إنهم الذين « لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ » (٦٦)؛ أخيراً يأتي التصريح، « وقالت اليهود: يد الله مغلولة! ــ غُلت أيديهم! ولعنوا بما قالوا » (٦٧)؛ والحكم عليهم بلعنة مزدوجة: « لعن **الذين كفروا من بني إسرائيل،** على لسان داود وعيسى ابن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

مريم » (٨١). فالفصل كله صريح بأنه يمنع المولاة بين المسلمين وبين اليهود والمشركين، لا مع النصارى أو المسيحيين! فتبديل المشركين بالنصارى في الآية (٥٤) يكشفه الفصل كله، والآية المرادفة (٦٠).

أخيراً تأتي الآية (٨٥) فتقطع باليقين: « لتجدنّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا! ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ». فأهل العداوة للإسلام الذين يمنع المسلمين من موالاتهم هم اليهود والمشركون، لا النصارى أهل المودة. فما بين الآية (٥٤) والآية (٨٥) **تناقض مكشوف سببه إبدال المشركين بالنصارى** في حكم تحريم المولاة (٥٤).

فهذا الفصل (٥٤ ــ ٨٩) كله تحذير من اليهود، وحملة على المنافقين الذين يوالونهم ــ بالرغم من إقحام فصل عليه من جدال وفد نجران (٧٥ ــ ٨٠). وهذا الوفد أثناء حواره مع النبي، صلى في مسجده وفي حضرته. ولا نرى في القرآن، ولا في السيرة أن النصارى أو المسيحيين تآمروا مع المشركين أو مع المنافقين على الإسلام وعلى نبيّه. لذلك فالقرائن كلها تشهد بأن كلمة « النصارى » مقحمة على الآية (٥٤) من زمن التدوين والفتوحات الإسلامية.

جاء في (أسباب نزول الآية ٥٤) للسيوطي: « أخرج ابن إسحاق وابن جرير (الطبري) وابن أبي حاتم والبيهقي، عن عباس بن الصامت قال: لمَّا حاربت **بنو قينقاع** تشبّث بأمرهم عبد الله بن أبي سلول (زعيم يثرب) وقام دونهم. ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ص وتبرأ إلى الله ورسوله من حلفهم، وكان أحد بني عوف من الخزرج، وله من حُلفهم مثل الذي لهم من عبد الله بن أُبَي. فخالفهم إلى رسول الله ص وتبرّأ من حلف الكفار وولايتهم. قال: ففيه وفي عبد الله بن أُبَي نزلت القصة في المائدة ». فهذا الحديث يشهد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بأن جدال القرآن لليهود في سورة (المائدة) هو من زمن غــزوة بــدر وتنزيــل ســورة (آل عمران)؛ فإقحامه في سورة (المائدة) تحريف لتاريخية التنزيل. وهو يدل أيضاً على أن تحريم الموالاة كان مع المشركين واليهود ــ لا مع النصارى، وبأولى حجة مع المسيحيين الــذين لــم يخاطبهم القرآن قبل عام الوفود.

وهكذا فالقرآن والحديث والسيرة وأسباب النزول، كلها تشهد بأن حكم منــع المــوالاة (٥٤) لا يقصد النصارى، ولا المسيحيين، على الإطلاق. فإبدال المشــركين بالنصــارى فــي تحريم الموالاة (٥٤) **إقحام مجرم** بحق القرآن وحق المسيحيين. وهذا **الإقحــام المجــرم**، فــي زمن التدوين والفتح، كان **سبب البلاء في تاريخ الإسلام والمسيحية**. والقرآن منه براء.

*

خاتمة

إنَّ النتيجة الحاسمة لهذا الفصل كله إن ذكر « النصارى » ورد في القــرآن المــدني، في **سبعة مواضع**، مقحماً عليه من زمن التدوين، وفــي ظــروف الفــتح الإســلامي لــديار المسيحية، تبريراً له.

وهذا الإقحام المكشوف شوّه صحة موقف القرآن من أهل الإنجيل. فكان القــرآن مــع النصارى من بني إسرائيل ومن « تنصّر » معهم من العرب « أمة واحدة » في وحدة العقيــدة (آل عمران ١٨ ــ ١٩) ووحدة الجهاد (الصف ١٤)؛

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فخلق الإقحام تناقضاً في مواقف القرآن منهم. والقرآن لم يخاطب المسيحية إلاَّ في آخر أمره، مع وفد نجران اليعقوبي؛ فإقحام المسيحيين باسم نصارى في تلك المواطن السبعة تحريف للقرآن وتحريف للتاريخ.

ففي إسقاط اسم النصارى من تلك الآيات السبع تستقيم صحة التنزيل؛ وإسقاطها لا يطعن في صحة القرآن: إنه تنقيح علمي لعمل غير معصوم.

ففي الكشف عن تلك الإقحامات السبعة تسقط **العقبة الثانية** من سبيل الحوار الإسلامي المسيحي.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفصل الثالث

المسيحية ضحية تعبير « أهل الكتاب » في القرآن

توطئة : « أهل الكتاب » تعبير يعني اليهود « والنصارى » والمسيحيين.

بحث أول : « أهل الكتاب » في القرآن المكي.

بحث ثانٍ : « أهل الكتاب » في القرآن المدني.

خاتمة : تعبير « أهل الكتاب » لا يقصد المسيحية الرسمية مطلقاً.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

توطئة:

« أهل الكتاب » تعبير يعني اليهود و« النصارى » والمسيحيين

من يأخذ فهرساً ــ مثل « المرشد إلى آيات القرآن الكريم وكلماته[١] » للسيد محمد فارس بركات؛ وهو على حدّ قوله « أوسع فهرس للكشف عن آي الذكر الحكيم » ــ يجد أن القرآن يستخدم تعبير « **أهل الكتاب** » **نحو ثلاثين مرة**؛ وما يرادفه نحو **أربعين مرة**.

والمعروف أن التعبير القرآني يشمل اليهود والنصارى. ونحن نميّز بين «النصارى» وبين المسيحيين. فالتعبير « أهل الكتاب » يعني اليهود و«النصارى » والمسيحيين.

وبعد استقراء الآيات التي يرد فيها تعبير « أهل الكتاب » سنرى أنّه لا يقصد المسيحية الرسمية على الإطلاق، وإنْ كانت « أهل الكتاب » على الأولوية. فتكون النتيجة الحاسمة لهذا الواقع القرآني أن المسيحية تذهب ضحية تعبير « أهل الكتاب » في القرآن، وفي تكفيراته لأهل الكتاب.

ونعرف أنه أسلوب مضطرد في القرآن، **أسلوب التخصيص في معرض التعميم**؛ وتدل عليه القرائن اللفظية والمعنوية. وهذا ما يفوت أحياناً المفسرين،

(١) دمشق: المطبعة الهاشمية. الطبعة الثانية ١٩٥٧.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وما يفوت خصوصاً الناس في مخاطبة المسيحيين باسم « أهل الكتاب ». فينسبون إليهم تكفيراً قرآنياً هم منه براء، والقرآن أيضاً منه براء.

*

بحث أول

« أهل الكتاب » في القرآن المكي

يرد اسم « أهل الكتاب » ومرادفاته نحو عشرين مرة، في عشر سور، من القرآن المكي. وها نحن نستقرئها لنعرف معناها.

١ ـ في (المدثر) آية مدنية تفسر آية مكية، فيها: « وما جعلنا أصحاب النار إلاّ ملائكة، وما جعلنا عدتهم إلاّ فتنة للذين كفروا، ليستيقن الذين أوتوا الكتاب، ويزداد الذين آمنوا إيماناً؛ ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون » (٣١). هنا يظهر أهل الكتاب والمسلمون في موقف واحد من التصديق بالقرآن. وسنرى أنه موقف يعني « النصارى ».

٢ ـ في (الأنعام) نقرأ: « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » (٢٠)، فالضمير قد يعني محمداً أو القرآن، وهذه المعرفة المصدرية دليل الوحدة بين القرآن وأهل الكتاب. ويقول: « أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة... أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتدهْ » (٩٠)، فعلى النبي أنْ يقتدي بهدى أهل الكتاب والحكمة أيْ التوراة والإنجيل، وهم النصارى. ويضيف: « وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً، والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق » (١١٤)، فأهل الكتاب

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الذين يشهدون للقرآن هم النصارى وحدهم. ويختم بقوله: « إن تقولوا: **إنما أنزل الكتاب على طائفتيْن من قبلنا**، وإنْ كنا عن دراستهم لغافلين؛ أو تقولوا: لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنَّا أهدى منهم » (١٥٦ ــ ١٥٧)؛ فهاتان الطائفتان هما اليهود والنصارى من بني إسرائيل. **فلا يذكر القرآن المسيحيين بمكة على الإطلاق** لأن « هذا القرآن يقصّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل ٧٦)، وما اختلف بنو إسرائيل إلى نصارى ويهود إلاَّ في المسيح، والقرآن ينتصر للنصارى من بني إسرائيل على اليهود بالدعوة لله والمسيح (الصف ١٤).

٣ ــ في (الأعراف) نعرف أن القرآن يدعو المشركين واليهود بالدعوة الإنجيلية من المثل الإنجيلي الذي يستخدمه: « ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط » أي ثقب الإبرة (٣٩). فأهل الكتاب الذي يؤيدهم ليسوا اليهود، بل « النصارى ».

هذا يظهر من قوله: « فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عَرَضَ هذا الأدنى ويقولون: سيُغفَر لنا! وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه. ألم يُؤخذ عليهم ميثاق الكتاب: أن لا يقولوا على الله إلا الحق! ودرسوا ما فيه. والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون؟ **والذين يمسكون بالكتاب** وأقاموا الصلاة، إنا لا نضيع أجر المصلحين » (١٦٨). فالذين ورثوا الكتاب عن أجدادهم هم بنو إسرائيل؛ والذين خالفوا ميثاق الكتاب منهم كانوا اليهود؛ أما الذين أقاموا أحكامه فهم النصارى من بني إسرائيل الذين يقول فيهم: « **ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون** » (١٥٨ ــ قابل الصف ١٤).

٤ ــ يقطع بذلك قوله: « **وأورثنا بني إسرائيل الكتاب** » (المؤمن ــ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

غافر ٥٣) فلا يخاطب القرآن بمكة من أهل الكتاب إلاّ بني إسرائيل، من نصـارى ويهـود ــ **ولا ذكر في القرآن المكي لخطاب المسيحيين.**

٥ ــ هذا ما يؤيده قوله: « ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة.. فما اختلفوا إلاّ من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم... ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعهـا، ولا تتبّـع أهواء الذين لا يعلمون » (الجاثية ١٥ ــ ١٧). إن « الحكم » في هـذا التعبيـر كنايـة عـن الحكمة أي الإنجيل. فقد أنزل الله على بني إسرائيل الكتاب والحكمة، أي التـوراة والإنجيـل. فاختلفوا إلى يهود ونصارى « بعد ما جاءهم العلم » بالإنجيل. ومنذئذ صار « أهـل العلـم » مرادف « لأهل الكتاب »؛ بخلاف المشركين « الذين لا يعلمون ». وقد جعل الله محمداً «على شريعة من الأمر» أيْ على طريقة النصارى من بني إسرائيل، فما عليه أن يتبع أهواء اليهود، ولا أهواء المشركين الذين لا يعلمون. وذلك لأن النصارى من بني إسرائيل هم « الراسـخون في العلم »، « أولوا العلم قائماً بالقسط » الذين يشهدون « إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّـهِ الإِسْـلاَمُ » (آل عمران ٧ و١٨). فالقرآن المكي لا يخاطب المسيحيين على الإطلاق.

٦ ــ أولئك النصارى يسميهم أيضاً « أهل الذكر » مرتيْن، ويحيل إلـيهم أهـل مكـة لمعرفة شؤون الوحي: « فاسألوا أهل الذكر، إنْ كنتم لا تعلمون بالبينـات والزبـر » (النحـل ٤٣؛ الأنبياء ٧). كما يحيل إليهم محمداً نفسه عند الشك من التنزيل: « فإن كنت في شك ممـا أنزلنا إليك **فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك** » (يونس ٩٤). وهذا برهـان قـاطع علـى انتماء محمد إلى النصارى من بني إسرائيل ومَن « تنصّر » معهم من العرب، مثل ورقة بـن نوفل، قس مكة، وأستاذ محمد في « النصرانية » قبل مبعثه.

٧ ــ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب: لتُفسدُنّ في الأرض مرتيْن » (الإسراء ٤). فخطاب القرآن المكي مع بني إسرائيل؛ وهنا يقصد اليهود

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وجلائهم البابلي والروماني، جزاء إفسادهم في الأرض.

٨ ـــ « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ـــ والذي أوحينا إليك ـــ وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى: أنْ أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه؛ كبر على المشركين ما تدعوهم إليه.. وما تفرّقوا إلاَّ من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم.. **وإنّ الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب:** فلذلك فادع واستقم كما أمرت، ولا تتبع أهواءهم. وقلْ: آمنت بما أنزل الله من كتاب **وأمرت لأعدل بينكم** » (الشورى ١٣ ـــ ١٥).

ما شرع الله بنوح وإبراهيم موجود في التوراة. فالقرآن يشرع للعرب دين موسى وعيسى معاً شرعاً واحداً. والذين يقيمون التوراة والإنجيل معاً هم النصارى من بني إسرائيل وحدهم، لا اليهود الكافرين بالمسيح والإنجيل، ولا المسيحيون الذين يقيمون شرع الإنجيل وحده. فالقرآن آمن بالكتاب (١٥) على طريقة « النصرانية ». لذلك كان اليهود « في شك منه مريب »؛ فما على محمد أن يتبع أهواءهم. بل عليه أنْ يستقيم على الدعوة للدين كما شرعه موسى وعيسى معاً. أجل « إن هذا القرآن يقصّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل ٩٤) فيعدل بينهم بالدعوة لدين عيسى وموسى ديناً واحداً. وهذه هي « نصرانية » القرآن. فلا يخاطب القرآن المكي المسيحية على الإطلاق. وقوله: « وإن الذين أورثوا الكتاب لفي شك منه مريب » يعني اليهود وحدهم.

٩ ـــ في سورة (فاطر) **قد نجد الإشارة الوحيدة، في القرآن المكي، إلى المسيحيين.** يقول: « إن الذين يتلون كتاب الله، وأقاموا الصلاة، وأنفقوا ممَّا رزقناكم سراً وعلانية، يرجون تجارة لن تبور.. والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه، إن الله بعباده لخبير بصير. ثم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات » (فاطر ٢٩ ـ ٣٣).

هذا الفصل يفصل في معناه الآية السابقة: « كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء » (٢٨). ومن المؤسف أن يفهمها المفسرون بمعناها اللغوي، مثل الأستاذ دروزة[١]. وتعبير « العلماء » اصطلاح قرآني يعني أهل العلم المنزل، أي أهل الكتاب؛ وهم فريقان، الظالمون منهم وهم اليهود، والمحسنون أو المقسطون أو المسلمون وهم « النصارى ».

فهؤلاء « العلماء » النصارى هم الذين يتلون كتاب الله وينفقون سرّاً وعلانية في سبيل الدعوة القرآنية، لأنها دعوتهم (٢٩ ـ ٣٠). فهم الذين كان القرآن معهم « أمة واحدة » (الأنبياء ٩١؛ المؤمنون ٥٢).

يقول أيضاً دروزة: « وأكثر العلماء على أن جملة (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) تعني أمة محمد ص ». وشُبه لهم في ذلك، لأنها تأتي بعد قوله: « والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق » (٣١). ولكن فاتهم جميعاً أن سورة (فاطر) من زمن كان فيه جماعة محمد مهاجرين في الحبشة: فلا يعقل أن يقول القرآن فيهم: « **فمنهم ظالم لنفسه** »، وهو تعبير لا نجده في القرآن المكي بحق المسلمين أبداً. فلا تعني الآية (٣٢) وراثة الكتاب إلى أمة محمد، ولم ينزل بعد من القرآن إلاّ القليل. والتعبير « أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » يقابله مثله ويفسّره: « وأورثنا بني إسرائيل الكتاب » (غافر ـ المؤمن ٥٣).

---

(١) التفسير الحديث: الجزء الثالث ص ١٦ و١٨.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فقوله: « **فمنهم ظالم لنفسه** » يعني اليهود، والظلم في الدين صفتهم المتواترة، مثل قوله فيهم: « وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه (محمد) مريب » (الشورى ١٤) وفي السورة عينها (فاطر ٤٢) إشارة إلى اليهود الظالمين: « واقسموا بالله جَهْد أيمانهم: لئن جاءهم نذير ليكونُنَّ أهدى من إحدى الأمم ». بناءً عليه يكون الذين « **منهم سابق بالخيرات** » أولئك « العلماء » (٢٨) الذين يتلون كتاب الله وينفقون في سبيل الدعوة القرآنية (٢٩). فما يعني حينئذ قوله: « **ومنهم مقتصد** »؟ في رأينا أنه يعني مَن وقف من أهل الكتاب **على الحياد من الدعوة القرآنية أي المسيحيون في مكة**. يؤيد ذلك أن القرآن المكي يقتصر في خطاب أهل الكتاب على بني إسرائيل من يهود ونصارى، ولا يخاطب المسيحيين على الإطلاق (النمل ٧٦).

١ ــ وفي سورة (العنكبوت) **القول الفصل في موقف القرآن من « أهل الكتاب » بمكة:** « ووهبنا له (إبراهيم) إسحاق ويعقوب، وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب » (٢٧). «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالتي هي أحسن ــ إلاّ الذين ظلموا منهم ــ وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون. وكذلك أنزلنا إليك الكتاب، **فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به**؛ ومن هؤلاء مَن يؤمن به؛ وما يجحد بآياتنا **إلا الكافرون**... بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، وما يجحد بآياتنا إلاّ الظالمون» (٤٦ ــ ٤٩).

هذا هو التصريح النهائي بمكة: إن وراثة الكتاب هي في ذرية إبراهيم من إسحاق ويعقوب أي في بني إسرائيل، لا في غيرهم. **وأهل الكتاب هم « الذين أوتوا العلم » المنزل**، فيهم « العلماء » حصراً، بحسب اصطلاحه. والقرآن يقسم أهل الكتاب إلى فريقيْن: اليهود ويلقبهم الظالمين؛ والنصارى من بني إسرائيل ويلقبهم المحسنين أو المقسطين، أو « الذين أوتوا العلم » على الاختصاص. ويفصل موقف الناس من الدعوة القرآنية: **فالذين آتيناهم**

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الكتاب يؤمنون به » بالقرآن؛ وهو تعميم في موطن التخصيص، لأن بين أهل الكتاب، الـذين أوتوا العلم، « ما يجحد بآياتنا إلاّ الظالمون » أي اليهود؛ « ومن هؤلاء (العرب) مـن يـؤمن به، وما يجحد بآياتنـا إلاّ الكافرون » من العرب. لاحظ دقة التعبير في صفة « الظـالمين » و« الكافرين ». فيبقى أن النصارى من بني إسرائيل، ذرية إبراهيم مـن إسـحاق ويعقـوب، المصطفاة على العالمين بوراثة الكتاب، هم الذين يؤمنون بالدعوة القرآنية؛ لذلك يمنع الجـدال معهم إلاَّ بالتي هي أحسن، **أي الأمر بالتسليم معهم أن الإله واحد، والتنزيل واحد، والإسـلام واحد بينهم وبين جماعة محمد** ـ ويصح الجدال مع اليهود الظالمين بغيـر الحسـنى ـ ولا يشهد لهم بوحدة الإسلام والكتاب فقط، بل القرآن نفسه « **هو آيات بينات في صـدور الـذين أوتوا العلم** » أيْ « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » (الأنعام ٢٠)، معرفة مصدرية. فـالقرآن يشهد بآخر العهد المكي أن الدعوة القرآنية « نصرانية »؛ ولا ذكر على الإطلاق من خطـاب فيه للمسيحية، فقد كانت على الحياد طوال العهد بمكة.

فليس في القرآن المكي كله من موقف سلبي من المسيحية. وقوله: « وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب » (الشورى ١٤)، يقابله قوله: « فالذين آتيناهم الكتـاب يؤمنون به » (العنكبوت ٤٨)؛ وكلاهما في اليهود والنصارى من بني إسرائيل: **فلـيس مـن خطاب للمسيحية في القرآن المكي**، سوى إعلان التضامن معهم في آية الروم.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بحث ثانٍ

« أهل الكتاب » في القرآن المدني

في القرآن المدني يرد اسم « أهل الكتاب » حيناً في ثناء على ايمانهم، وحيناً في التنديد بكفرهم. والقرائن هي التي تحدد المقصودين « بأهل الكتاب »، ومرادفاته.

١ ـ في سورة البقرة

(البقرة) سلسلة أولى من جدال القرآن لليهود، الذين يسميهم على سبيل التعميم « أهل الكتاب » أو « الذين أوتوا الكتاب » لكن الخطاب محصور فيهم. وإن أسلوب التعبير بالتعميم في موطن التخصيص هو ما يحمل القوم على إطلاق التعميم على المسيحيين، وهذا ظلم للقرآن، وعدوان على المسيحية.

يفتتح جدالهم بتسميتهم « يا بني إسرائيل » (٤٠ و٤٧) ونعرف أنه يقصد اليهود لا النصارى منهم، من قصص موسى وفرعون (٤٩) ويناشدهم: « **ولا تكونوا أول كافر به** » (٤١). **لذلك فكل تكفير لأهل الكتاب يأتي في القرآن المدني فهو لليهود**. وهم الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض (٨٥): « ولما جاءهم رسول من عند الله، مصدق لما معهم، نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون » (١٠١).

فقوله: « ما يودّ الذين كفروا من أهل الكتاب، ولا المشركين، أن ينزّل عليكم من خير » (١٠٥)، لا يشمل أهل الكتاب كلهم، وهو يصرّح

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بالتبعيض؛ والمقصود بالجمع المتواتر في القرآن المدني كله اليهود والمشركين (البينة ١؛ المائدة ٨٥).

وقوله: « ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم كفَّاراً حسداً من عند أنفسهم » (١٠٩) ظاهره قد يشمل بعض النصارى وبعض المسيحيين؛ لكن تسلسل الجدال كله في السورة يعني اليهود. فمن الظلم إطلاق مثل هذه الآيات على غير اليهود.

كذلك قوله: « الذين آتيناهم الكتاب، يتلونه حق تلاوته، أولئك يؤمنون به » (١٢١) لا يعني إيمان أهل الكتاب كلهم بمحمد والقرآن، فهو مقيد بصفة « **يتلونه حق تلاوته** » وهم النصارى من بني إسرائيل ــ ولا ذكر على الإطلاق للمسيحيين في جدال (البقرة).

وفي فصل تحويل القبلة ترد الآيات متعارضة ظاهرياً بحق أهل الكتاب: « وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم » (١٤٤): « ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك، وما أنت بتابع قبلتهم، وما بعضهم بتابع قبلة بعض، ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم، **إنك إذاً لمن الظالمين** » (١٤٥)؛ « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وإن **فريقاً منهم** ليكتمون الحق وهم يعلمون » (١٤٦). إطلاق التعبير يشمل جميع أهل الكتاب ظاهريّاً ــ وفي إطلاق هذا الشمول الظاهري ظلم لهم ــ فليس جميع أهل الكتاب به يؤمنون ولا جميعهم به يكفرون. والتنويه « **بفريق منهم** » يرفع الشمول، وتهديد النبي إذا تبع أهواء ذلك الفريق « إنك إذاً لمن الظالمين » فيه إشارة صريحة إلى اليهود لأن صفة « الظالمين » كناية متواترة عنهم. فالخطاب كله في السورة ما بين المؤمنين والكافرين من أهل الكتاب محصور « ببني إسرائيل » الذي به يفتتح كل جدال (٤٠ و٤٧ و١٢٢): فالمؤمنون بالنبي والقرآن هم النصارى من بني إسرائيل، والكافرون هم اليهود

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المتحزبين مع المشركين ـ **ولا دخل للمسيحيين في الجدال على الإطلاق**. فالخلاف والجدال محصور باليهود والنصارى من بني إسرائيل، مهما جاء التعبير مطلقاً، كقوله: « ذلك بأن الله نزّل الكتاب بالحق، وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد » (١٧٦).

*

٢ ـ في سورة آل عمران

(آل عمران) سلسلة ثانية من جدال القرآن لليهود، أقحموا عليها قصص آل عمران لوفد نجران (٣٣ ـ ٦٤) الذي يختمه بهذه الآية: « قلْ **يا أهل الكتاب** تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم » (٦٤) وهذه هي المرّة الوحيدة في السورة حيث تعبير « أهل الكتاب » يطلق على المسيحيين. ولكن بما أن جدال وفد نجران من عام الوفود، نقدر أن نجزم بأن السورة الأصلية ليس فيها من خطاب مع المسيحيين.

واقع ثان إن الشهادة للإسلام يشهد بها الله وملائكته « وأولوا العلم قائماً بالقسط » (١٨ ـ ١٩). ونعرف أن لقب « أولي العلم » مرادف للقب « أهل الكتاب »؛ وهم فريقان: الظالمون بعلمهم وهم اليهود، والمقسطون بعلمهم أو « الراسخون في العلم » (٧) وهم النصارى من بني إسرائيل ومَن « تنصّر » معهم من العرب، مثل ورقة بن نوفل قس مكة. فالنصارى هم الذين يشهدون « إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ » (١٩)؛ لذلك فكل إعلان بإيمان أهل الكتاب يعني هؤلاء النصارى؛ وكل تكفير لأهل الكتاب يعني اليهود وحدهم دون سواهم ـ ولا دخْل للمسيحيين في الجدال على الإطلاق.

فقوله: « وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلاَّ من بعد ما جاءهم العلم » (١٩) يظهر أن إطلاقه يشمل جميع أهل الكتاب تجاه الإسلام؛ والآية

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

السابقة (١٨) تشهد بأن النصارى « أولي العلم قائماً بالقسط » هم الذين يشـــهدون للإســـلام، والقرآن يشهد بشهادتهم.

وقوله: « وقل للذين أوتوا الكتاب والأميّين: أأسلمتم؟ فإنْ أسلموا فقد اهتدوا، وإنْ تولوا فإنما عليك البلاغ، والله بصير بالعباد » (٢٠)، يشمل ظاهره جميع أهل الكتاب. لكـــن الآيـــة التالية (٢١) تشهد بأنه يعني اليهود وحدهم « الذين يكفرون بآيات الله، ويقتلون النبيـــين بغيـــر حق ». فهم « الذين أوتوا نصيباً من الكتاب، يدعون إلى كتاب الله ليحكم بيـــنهم، ثـــم يتـــولى **فريق منهم**، وهم معرضون » (٢٣). إن القرآن يُحكّم الكتاب بين اليهـــود والنصـــارى مـــن إسرائيل، فيتولى اليهود معرضين ــ فلا دخل للمسيحيين في الجدال كله.

وقوله: « يا أهل الكتاب لِمَ تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة (والإنجيل) إلاّ مـــن بعده أفلا تعقلون » (٦٥). ظاهر النداء شامل؛ لكن الآيات التاليات تقصره على اليهود؛ وهـــي تحوي تعميمْين بين تخصيصيْن: « ودّت **طائفة من أهل الكتاب** لو يضلونكم (٦٩). يـــا أهـــل الكتاب لِمَ تكفرون بآيات والله وأنتم تشهدون (٧٠). يا أهل الكتاب لِمَ تلبسون الحـــق بالباطـــل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون (٧١). وقالت **طائفة من أهل الكتاب:** آمنوا بالـــذي أنـــزل علـــى الذين آمنوا وجه النهار، واكفروا آخره لعلهم يرجعون (٧٢). ولا تؤمنوا إلاَّ لمن تبع ديـــنكم... (٧٣)... ذلك بأنّهم قالوا: ليس علينا في الأميين سبيل » (٧٥). فالفصل كله يشهد بأن التعمـــيم في إطلاق اسم « أهل الكتاب » يقتصر على اليهود، ويكشف موآمرتهم. فلـــيس جميـــع أهـــل الكتاب يكفرون بآيات الله (٧٠)، ولا جميعهم يلبسون الحق بالباطل، ويكتمـــون الحـــق وهـــم يعلمون؛ إنما يقصد « **طائفة من أهل الكتاب** » (٦٩ و٧٢) الـــذين فـــي **تلمـــودهم** شـــرعوا لأنفسهم: « ولا تؤمنوا إلاّ لمن تبع دينكم » (٧٣)، « ليس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

علينا في الأميين سبيل » (٧٥). فترى كم من الظلم يقترفون بحق القرآن، وبحق المسيحيين، أولئك الذين يأخذون ظاهر التعميم في التعبير على حرفه، دون الالتفات إلى القرائن القريبة والبعيدة.

وقوله: « قلْ يا أهل الكتاب لِمَ تكفرون بآيات الله؟ والله شهيد على ما تعملون! قلْ: يا أهل الكتاب لِمَ تصدّون عن سبيل الله مَن آمن، تبغونها عوجاً وأنتم شهداء؟ وما الله بغافل عمَّا تعملون! » (٩٨ و٩٩) ظاهر التعميم. لكن الآية التالية تقيّده بفريق: « يا أيها الذين آمنوا إنْ تطيعوا **فريقاً من الذين أوتوا الكتاب** يردوكم بعد ايمانكم كافرين » (١٠٠)، وهذا الفريق هو الذي يحمل عليه في السورة كلها، وهم اليهود. فكم من ظلم للقرآن وللمسيحية إطلاق مثل تلك الآيات، مع ظاهر شمولها، على المسيحيين!

وقوله: « لتبلَوُنّ في أموالكم وفي أنفسكم، ولتسمعنّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن المشركين أذى كثيراً، وإنْ تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور! وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب: لتبيّننّهُ للناس، ولا تكتمونه؛ فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً، فبئس ما يشترون! » (١٨٦ و١٨٧) هو أيضاً ظاهر التعميم بحرفه. لكن المقصودين بأهل الكتاب هم اليهود وحدهم، **لاشتراكهم مع المشركين** (١٨٦) في المعارضة والمؤامرة، في القرآن المدني كله (البينة ١؛ المائدة ٨٥)، والسورة كلها خير شاهد.

وهكذا نرى أن التعميم في إطلاق اسم « أهل الكتاب » إنما هو حرفي، تقيده وتحده القرائن القريبة والبعيدة؛ **وهو في السورة كلها كناية عن اليهود وحدهم**. والجناية في إقحام قصص آل عمران (٣٣ ــ ٦٤) على السورة، ممَّا يوهم أن التعميم يشمل المسيحيين. وهذا ما قصده الجامعون في أثناء الفتح الإسلامي لديار المسيحية. والقرآن منه براء كما تشهد القرائن القريبة والبعيدة، كشهادة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الآية (١١٣) للأمة الكتابية المثالية وهي في نظره « النصرانية » ففيها يقول أيضاً: « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله » (١٩٩). وهذه الآية (١١٠) تفصل ما بين التعميم والتخصيص في السورة: « ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم: **منهم المؤمنون، وأكثرهم الفاسقون** »، وهم النصارى واليهود من بني إسرائيل. فلا خطاب في السورة مع المسيحيين، ما عدا قصص آل عمران (٣٣ ــ ٦٤) المقحم عليها.

*

٣ ــ من سورة النساء

في (النساء) سلسلة ثالثة من جدال اليهود، يأتي بأسلوب التعميم، فيخلق شبهة على موقف جميع أهل الكتاب؛ والقرائن كلها تدل على التخصيص باليهود.

يقول: « ألم ترَ إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة، ويريدون أن تضلوا السبيل » (٤٣). وقوله للحال: « والله أعلم بأعدائكم » (٤٤) يدل عليهم. ويوضحه بقوله للحال: « من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه، ويقولون: سمعنا وعصينا، واسمع غير مسْمَعٍ، وراعنا، ليّاً بألسنتهم وطعناً في الدين... (٤٥). **يا أيها الذين أوتوا الكتاب** آمنوا بما أنزلنا مصدقاً لما معكم، من قبل أنْ نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها، أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت » (٤٦). إن التعميم في الآية (٤٦) يفسّره التخصيص الذي قبله، فالفصل واحد: إنهم اليهود، فبعضهم يحرّفون كلِمَ القرآن أو كلِم محمد عن مواضعه ــ لا كلم التوراة (الجلالان) ــ من قولهم لمحمد: « راعنا »، وهي كلمة سب بلغتهم » (الجلالان) أي «رَعْنا» بالسريانية:

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

« يا أرعن ». فالفصل كله في اليهود، لذلك يذكر بلعْنة أصحاب السبت من أجدادهم.

ويقول: « ألم تَرَ إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت (صنمان لقريش)، ويقولون للذين كفروا: هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً » (٥٠). إن الفئة من أهل الكتاب التي تتآمر مع المشركين معروفة من القرآن المدني كله: إنهم اليهود. هذا ما يكشفه قوله: « **فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة**، وآتيناهم ملكاً عظيماً: فمنهم من آمن به، ومنهم مَن صدّ عنه » (٥٣ ــ ٥٤). هذا التصريح يكشف عن هوية المخاطبين: إنهم آل إبراهيم الذين آتاهم الله « الكتاب والحكمة » أيْ التوراة والإنجيل: فالذين آمنوا منهم بمحمد هم النصارى من بني إسرائيل؛ ومن صدّ عنه هم اليهود. فخطاب القرآن مع أهل الكتاب محصور دائماً ببني إسرائيل من نصارى ويهود؛ ولا يخاطب المسيحيين على الإطلاق قبل وفد نجران بعام الوفود.

ويقول: « يسألك أهل الكتاب أن تنزّل عليهم كتاباً من السماء! ــ فقد سألوا موسى أكبر من ذلك، فقالوا: أرنا الله جهرةً! » (١٥٢). فالفصل كله، مع الآية نفسها، يدلاّن على أن المقصود بالتعميم « أهل الكتاب » اليهود وحدهم، كما في قوله أيضاً بعد تكفير اليهود «لقولهم على مريم بهتاناً عظيماً، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم »: « وإنّ من أهل الكتاب إلاَّ ليؤمننّ به قبل موته» (١٥٨). فالإيمان بالمسيح ضرورة لليهودي. وهذا ما يجعل القرآن، الذي هو دعوة لليهود للإيمان بالمسيح، دعوة « نصرانية ». فلا مجال فيه حتى الآن لخطاب المسيحيين، **ما عدا الفصل المقحم على السورة** من جدال وفد نجران (١٧٠ ــ ١٧١)، حيث يطلق على مسيحيي نجران اليعقوبيين اسم أهل الكتاب، بأسلوب التعميم في موطن التخصيص: « قلْ: يا أهل الكتاب لا تغلّوا في دينكم، ولا تقولوا على الله إلاَّ الحق ». فلا ذكر للمسيحية الرسمية.

*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

٤ ــ من سورة الحشر

نرى فيها أن « **الذين كفروا من أهل الكتاب** » هم اليهود وحدهم: « هو الذي أخـرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم » (٢)، « هم بنو النضير من اليهـود » (الجـلالان). كذلك « ألم ترَ إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب: لـئن أُخـرجتم، لنخرجنّ معكم... » (١١) « وهم بنو النضير وإخوانهم في الكفر » (الجلالان). فتكفير القرآن لأهل الكتاب ينصب كله على اليهود، والمسيحيون منه براء قبل جدال وفد نجران اليعقـوبي؛ فتظل المسيحية الرسمية بعيداً عن خطاب القرآن كله.

*

٥ ــ في سورة البيّنة

يجمع القرآن أهل الكفر به، ويصرح بهم: « لم يكن الذين كفروا مـن أهـل الكتـاب والمشركين منفكّين حتى تأتيهم البينة: رسول من الله يتلو **صحفاً مطهرة، فيها كتب قيمـة**. وما تفرّق الذين أوتوا الكتاب إلاَّ من بعد ما جاءتهم البينة... إنّ الذين كفـروا مـن أهـل الكتـاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها، أولئك هم شر البرية » (١ ــ ٦).

حرف التبعيض في « الذين كفروا من أهل الكتاب » يُظهرهم. وإن الجمـع والتكفيـر بين « الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين » تفصح عنه آية المائدة: « ولتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » (٨٥). هذا هو حزب الكفر بـالقرآن. فـلا ذكـر للمسيحية معه.

وعلى الهامش نقول: إن اليهـود كانوا يطـالبون النبي العربي بالبيـنة، وهي عندهم « رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة، فيها كتب قيمة »؛ فيجيب: إن اليهود ما تفرّقـوا إلاَّ مـن بعد ما جاءتهم البينة التي يطلبون. وهذا التصريح

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

شهادة **بأن محمداً كان يتلو الكتاب المقدس، بكل أسفاره**. وهذه الحقيقة الظاهرة يحاولون طمسها بتفسيرهم: « فيها كتب قيمة: أحكام مكتوبة مستقيمة، أي **يتلو مضمون ذلك وهو القرآن** »! (الجلالان): « يتلو صحفاً مطهرة: والرسول وإنْ كان أمياً، لكنه لمَّا تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي لها. وقيل المراد جبريل » (البيضاوي). القول بأنه جبريل يرفع جواب القرآن عليهم. وقول البيضاوي: « لما تلا **مثل ما في الصحف** كان كالتالي لها » فيه حذلقة ينقضها صريح القرآن. وصريح القرآن أن تلاوة محمد للصحف المطهّرة التي فيها كتب قيمة بحوزتهم هي البينة التي يطلبون والتي يعلنها لهم. وهذه الشهادة القرآنية تقضي على أسطورة أمية محمد، وتشهد بدرسه الكتاب المقدس (الأنعام ١٠٥).

يقول دروزة[١]: « والعبارة القرآنية تتحمل أن يكون المقصود في الآيتيْن (٤ و٥) **رسالات الأنبياء السابقين وكتبهم**، كما تتحمل أن يكون المقصود هو الرسالة المحمدية. ووصف أهل الكتاب (بالذين كفروا) قد يكون قرينة على رجحان الاحتمال الثاني ».

سامح الله الأستاذ: إن القرآن لا يصف أهل الكتاب « بالذين كفروا ». فكيف فاته حرف التبعيض « من »؟ وكيف فاته مقابلة الآية مع (المائدة ٨٥)؟ ولا يمكن أن يكون المقصود في (٤ و٥) الرسالة المحمدية لأنها هي موضوع الخلاف، فلا تصح رداً على اليهود الذين عندهم البينة المطلوبة « رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة، فيها كتب قيمة » أي صحفهم وكتبهم المقدسة. فالإعلان

---

(١) التفسير الحديث، الجزء التاسع ص ٢٥٥.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بأن البينة المطلوبة أتاهم بها محمد، هو شهادة قرآنية محكمة بأن محمداً تلا الكتاب المقدس بأسفاره كلها.

*

٦ ــ في سورة الحديد

تأتي الإشارة الأولى في القرآن المدني إلى مسيحيين من أهل الكتاب. فالسورة نشيد الحمد على فتح مكة، يختمه بالاستعلاء منه على غزوة مؤتة الفاشلة ضد المسيحيين العرب فيها (٢٦ ــ ٢٩).

يقول أولاً: « ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب: فمنهم مهتد، وكثير منهم فاسقون » (٢٦). إن النبوة والكتاب في ذرية إبراهيم من إسرائيل أيْ يعقوب كما يصرح في (العنكبوت ٢٧). فمن بني إسرائيل « منهم مهتد » وهم النصارى من بني إسرائيل (الأعراف ١٥٨؛ الصف ١٤)، و« كثير منهم فاسقون » وهم اليهود، الذين يقول فيهم أيضاً: « ولا يكونوا (الذين آمنوا) كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون » (١٦).

ويقول ثانياً في أمة عيسى: « فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم، وكثير منهم فاسقون » (٢٧). فالذين آمنوا من أمة عيسى هم في نظره النصارى، والفاسقون هم المسيحيون. بما أنها نزلت بمناسبة غزوة مؤتة، فهو يقصد العرب المسيحيين الذين كانوا على مذهب اليعقوبية؛ ويستعلي عليهم بفتح مكة « **لئلا يعلم أهل الكتاب** ألا يقدرون على شيء من فضل الله، والفضل بيد الله يعطيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم » (٢٩). فتعميم « أهل الكتاب » في موطن التخصيص. وكثيراً ما يسهى الناس عن هذا الأسلوب القرآني.

*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

٧ ــ من سورة المائدة

في (المائدة) سلسلة رابعة من جدال اليهود. وبما أنّه في زمن تنزيل (المائدة) كانت تصفيته اليهود من الحجاز تامة منذ (الصف ١٤)؛ فجدال اليهود مقحم على السورة من زمن (آل عمران والنساء). والتحريف في معنى القرآن هو في دمج جدال وفد نجران بجدال اليهود، فيقوم الوهم في القرآن المدني أنه كان طوال عهده في جدال مع المسيحيين، كما كان في جدال مع اليهود. والاجماع في الأخبار والآثار أن القرآن لم يخاطب المسيحية إلاَّ مع وفد نجران ــ وما جاء في (الحديد ٢٦ ــ ٢٩) هو على سبيل الخبر.

ففي الآية (٦) يحلل الطعام والنكاح بين المسلمين وأهل الكتاب؛ وهذا دليل وحدة دينية بينهم.

ويقول: « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب، ويعفو عن كثير » (١٦)؛ « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل » (٢١). يأتي التعبير بأسلوب التعميم؛ وهو في موطن التخصيص، كما يظهر من الفصل كله الذي يستفتحه بقوله: « ولقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل » (١٣) ويختمه بقصة موسى (٢٢ ــ ٢٩). فمن الظلم تطبيقه على المسيحية.

ويقول: « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء » (٦٠). ظاهر التعبير فيه تعميم يكشف تخصيصه قوله: « ولتجدن أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » (٨٥). فمن الظلم تطبيق الآية (٦٠) على المسيحية، وهي من ذلك براء؛ لأنه يكشفهم بقوله: « قل: هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله؟ ــ مَنْ لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير...

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الأثم وأكلهم السحت (الحرام) لبئس ما كانوا يصنعون! **وقالت اليهود:** يد الله مغلولة ــ غُلت أيديهم ولعنوا بما قالوا » (٦٣ ــ ٦٧). فالتخصيص في معرض التعميم واضح مكشوف، كما في قوله أيضاً: « قل: يا أهل الكتاب هل تنقمون منّا إلا أن آمنا بالله وما أُنزل إلينا، وما أُنزل من قبل، وإن أكثركم فاسقون » (٦٢): فهذا التعميم تكشفه آية عداوة اليهود ومودة النصارى (٨٥). فمن الظلم أيضاً تطبيق الآية (٦٢) على المسيحية.

ويقول: « ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا، لكفرنا عنهم سيئآتهم، ولأدخلناهم جنات النعيم! ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم: منهم أمة مقتصدة، وكثير منهم ساء ما يعملون... قلْ: يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليكم من ربكم! وليزيدَنَّ كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً، فلا تأسَ على القوم الكافرين » (٦٨ و٦٩ ــ ٧١). فظاهر التعبير، خصوصاً مع ذكر التوراة والإنجيل، يبدو أنه يشمل جميع أهل الكتاب؛ مع أن هذا الفصل كله ردّ على اليهود (٦٧) الذين « ألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة: **كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله**، ويسعون فساداً في الأرض، والله لا يحب المفسدين » (٦٧). ويختم الفصل بقوله: « لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلنا: كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا، وفريقاً يقتلون » (٧٣). فالتعريض باليهود وحدهم صريح، تجزم به آية مودة النصارى واسلامهم (٨٥).

ودعوة اليهود إلى إقامة التوراة والإنجيل معاً شرعاً واحداً هي « النصرانية » عينها، لأن اليهود يكفرون بالإنجيل؛ والمسيحيون لا يقيمون شريعة التوراة؛ أن النصارى من بني إسرائيل وحدهم كانوا يقيمون التوراة والإنجيل ديناً واحداً. لذلك يصح الجزم بأن « القرآن دعوة نصرانية ».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

إنَّ التعبير الوحيد الذي به يكني عن المسيحية بأهل الكتاب هو قوله: « قلْ: يـا أهـل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل، وأضلوا كثيـراً، وضلوا عن سواء السبيل » (٨٠). وهي الآية التي بها يختم الفصل المقحم على جدال اليهـود، من خطاب وفد نجران (٧٥ ــ ٨٠). فقوله « يا أهل الكتاب لا تغلّوا في دينكم غير الحـق » مختص بوفد نجران من اليعقوبيين. فلا يخاطب المسيحية الرسمية على الإطلاق.

*

خاتمة:

تعبير « أهل الكتاب » لا يقصد المسيحية الرسمية مطلقاً

وهكذا فقد رأينا أن تعبير « أهل الكتاب » في القرآن كله يقتصر على بنـي إسـرائيل من يهود ونصارى، في نحو سبعين موضعاً. ولا يأتي كناية عن المسيحيين إلاَّ في حوار وفـد نجران وحده. وبما أن وفد نجران كان على المذهب اليعقوبي؛ فيصح **الجـزم النهـائي بـأن القرآن كله لا يخاطب المسيحية الرسمية على الإطلاق.**

وبما أن آية المائدة (٨٥) هي من آخر القرآن نزولاً، فهي تكشف سره كله في جداله: المعارضون للدعوة القرآنية، وأهل العداوة لها، هم اليهود والمشركون؛ والموالون وأهل المودة هم النصارى من بني إسرائيل ومن « تنصّر » معهم من العرب. أما المسيحيون العرب فـي مكة والمدينة فقد ظلوا على الحياد، في حوار القرآن لبني إسرائيل من يهود ونصـارى. ولـم يخاطب القرآن من المسيحية، في آخر أمره بعام الوفود، إلاَّ وفد نجران. وقد وزّعوا جـدالهم على سور (آل عمران والنساء والمائدة). هذا هو موقف القرآن من المسيحية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ينتج عن هذا الواقع القرآني نتيجتان. الأولى أن جامعي القرآن على الحرف العثماني قد دمجوا جدال وفد نجران بسور (آل عمران والنساء والمائدة) التي هي مع (البقرة) أربع سلاسل من جدال القرآن لليهود، بجدال النصارى من بني إسرائيل لهم. وهذا الدمج عند الجمع **تحريف لمعنى القرآن** الذي لم يخاطب المسيحية إلاَّ في عام الوفود: فكأن القرآن كان طوال العهد المدني في جدال مع المسيحية، كما كان في جدال وخصام مع اليهودية. لكن التحريف لمعنى القرآن بطريقة جمعه **لم يمس حرفه**، إلاَّ في سبعة مواضع بإقحام لفظ « النصارى » في غير موضعها، كما رأينا.

والنتيجة الثانية الحاسمة أن خطاب القرآن للمسيحية يقتصر على **وفد نجران اليعقوبي**: فالقرآن كله لم يخاطب المسيحية الرسمية على الإطلاق. وهكذا تذهب المسيحية الرسمية ضحية بدعة، وضحية تعبير « أهل الكتاب ».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفصل الرابع

القرآن ينتسب انتساباً مطلقاً إلى الإنجيل وأهله، في « أمة واحدة »

توطئة : انتساب القرآن إلى الكتاب والإنجيل.

بحث أوّل : انتساب القرآن إلى الكتاب وأهله على العموم.

بحث ثان : انتساب القرآن إلى الإنجيل وأهله على الخصوص.

بحث ثالث : انتساب القرآن إلى « النصرانية » تلك « الأمة الوسط » بين اليهودية والمسيحية.

خاتمة : الإسلام دين إنجيلي مبني على الشهادة لله وللمسيح.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

توطئة

انتساب القرآن إلى الكتاب والإنجيل

ليس القرآن دعوة مستقلة؛ إنّما هو **دعوة كتابية إنجيلية**، لأنّه ينتسب انتساباً مطلقاً إلى الكتاب والإنجيل، ويدعو بدعوتهما.

فهذا الواقع القرآني المشهود في كل سورة، يُملي بأنه **ليس في القرآن من نبوّة جديدة، ولا من كتاب جديد**؛ إنّما هو « تصديق الذي بين يديه، وتفصيل الكتاب، لا ريب فيه، من رب العالمين » (يونس ٣٦)؛ فالله تعالى « أنزل إليكم الكتاب مفصّلاً » (الأنعام ١١٤)؛ فالقرآن « شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله » (الأحقاف ١٠)؛ ومحمد « أمرت أن أكون من المسلمين، وأن أتلو القرآن » معهم، أيْ قرآن الكتاب بلسان عربي مبين (النمل ٩١).

فيقوم القرآن ونبوّته على تبليغ العرب **دين إبراهيم وموسى وعيسى** الذي شرعه لهم بواسطة هؤلاء الأئمة ومن تابعهم من المرسلين (الشورى ١٣).

وليس للقرآن من **إيمان** سوى الإيمان « بالله وما أُنزل إلينا، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أُوتي موسى وعيسى، وما أُوتي النبيون من ربهم، لا نفرّق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون » (البقرة ١٣٦، قابل ٢٨٥؛ آل عمران ٨٤).

وليس في القرآن من **إسلام** سوى الإسلام الذي يشهد به الله وملائكته « وأولوا العلم قائماً بالقسط.. إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ » (آل عمران ١٨ ــ ١٩). وتعبير « أولوا العلم » مرادف لأهل الكتاب؛ فانتساب القرآن إلى الكتاب والإنجيل وأهله مطلق.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لذلك **فشعاره الدائم:** « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالتي هي أحسن ــ إلاّ الذين ظلموا منهم ــ وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مســلمون » (العنكبوت ٤٦). فالحسنى المفروضة على أمة محمد هي التسليم مع أهل الكتاب المحسنين بأن **الإله واحد والتنزيل واحد والإسلام واحد في ما بينهم**؛ أي وحدة الدين التامة.

فهذا الواقع القرآني المشهود يفرض الحوار المنشود بين الإسلام والمسيحية، ليســتبين الجميع أنَّ **المسيحية والإسلام فرعان لدين واحد**، مهما اختلفوا في التأويل والتعبير عن العقيدة الواحدة، في الدين الواحد.

ثلاث ظواهر تبيّن حقيقة القرآن وإسلامه.

***

بحث أول

انتساب القرآن إلى الكتاب وأهله على العموم

الظاهرة الكبرى الأولى هي انتساب القرآن المطلق إلى الكتاب وأهله على العموم. فهو **دعوة كتابية** كاملة، لا دعوة جديدة مستقلة.

هذا هو القرآن، وهذا هو تنزيله، وهذا هو إيمانه، وهذا هو إسلامه.

أولاً: القرآن هو « الكتاب مفصلاً » إلى العربية.

١ ــ تصاريح تبين ماهية القرآن

يقول: « أفغير الله أبتغي حَكماً، وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً؛

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزّل من ربك بالحق، فلا تكونَنَّ من الممترين. وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً، لا مبدّل لكلماته، وهو السميع العليم » (الأنعام ١١٤ و١١٥). فصفة القرآن الذاتية أنه « الكتاب مفصّلاً »، يشهد بذلك أهل الكتاب أنفسهم، فما على محمد قبل غيره أن يشك في ذلك: فقد تم التفصيل أي التعريب صدقاً وعدلاً، لا تغيير لكلماته؛ ويستشهد الله السميع العليم على ذلك. فالواقع، وشهادة أهل الكتاب، والقسم بالله، كلها تشهد أنه « الكتاب مفصّلاً ». وليس الكتاب الذي في السماء، ولا يقدر أن يشهد له أهل الأرض، إنما هو الكتاب الذي نزل من قبله.

يقول: « وما كان هذا القرآن أن يُفترى من دون الله! ولكن تصديق الذي بين يديه، وتفصيل الكتاب، لا ريب فيه، من رب العالمين » (يونس ٣٦). إن الانتساب إلى ما « بين يديه » أي قبله (الجلالان) صريح؛ فهو إذن « تفصيل الكتاب » الذي قبله. وهذا أمر « لا ريب فيه ». وكان التفصيل أي التعريب بأمر « من رب العالمين ».

يقول: « أوَلم يكفهم إنا أنزلنا عليك الكتاب يُتلى عليهم؟ إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » (العنكبوت ٥١). فهو تنزيل من التنزيل السابق له لأن الله جعل في ذرية إبراهيم من إسحاق ويعقوب « النبوة والكتاب » (العنكبوت ٢٧)، فلا نبوة ولا كتاب خارجاً عن بني إسرائيل، إلاَّ بالتفصيل أي التعريب.

فالقرآن هو « الكتاب مفصلاً » إلى العربية.

٢ ـ تصاريح تبين مصدر القرآن العربي:

يعلن: « وإنه لتنزيل رب العالمين... وإنه لفي زبر الأولين: أَوَلم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل » (الشعراء ١٩٣ ـ ١٩٧). فتنزيل رب

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

العالمين في القرآن هو مِن وفي زبر الأولين أيْ « كتبهم كالتوراة والإنجيل » (الجلالان). والبرهان أنَّ علماء بني إسرائيل يعلمون ذلك: فلو كان تنزيلاً من السماء لما أمكنهم الاطلاع على ذلك؛ فهو إذن تنزيل من « زبر الأولين »، أي **تنزيل من التنزيل**، أي « تفصيل الكتاب ».

يعلن: « وقالوا: لولا يأتينا بآية من ربه! ـ **أوَلم تأتهم بيّنة ما في الصحف الأولى** » (طه ١٣٣). وهو كقوله: « أوَلم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يُتلى عليهم » (العنكبوت ٥٠). فالقرآن هو بيّنة ما في صحف الكتاب المنزل من قبله، من إبراهيم إلى موسى إلى عيسى: « وإنَّ هذا (القرآن) لفي الصحف الأولى » (الأعلى ١٨)، التي ترتقي إلى « صحف موسى، وإبراهيم الذي وفّى » (النجم ٣٦ ـ ٣٧).

يعلن ويؤكد أنه يتلو صحفاً مطهرة من الكتاب الذي بين أيدي أهل الكتاب، كما يشترطون لصحة النبوة: « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب (اليهود) والمشركين منفكين حتى تأتيهم **البينة**: رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة، فيها كتب قيمة! وما تفرّق الذين أوتوا الكتاب (اليهود) إلاَّ من بعد ما جاءتهم البينة » (البينة ١ ـ ٤). فهو يصرح بأنه البينة التي يطلبون: فهو « رسول من الله يتلو صحفاً مطهّرة فيها كتب قيمة ». وهذه هي على الأرض، لا في السماء، وإلاَّ لما جاز التحدّي لامتناع وصولهم إلى السماء. لذلك فاليهود مثل المشركين هم « **شرّ البرية** » (٦)، بينما النصارى « الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم **خير البرية** » (٧). وبما أن محمداً « يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة » **فقد عرف الكتاب المقدس بكل أسفاره**؛ والقرآن تنزيل فنها.

٣ ـ فتلك التصاريح الصريحة تبيّن معنى **تعابيره الثلاثة عن مصدر القرآن**:

« بل هو قرآن مجيد في **لوح محفوظ** » (البروج ٢١ ـ ٢٢).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

« إنّه لقرآن كريم، في **كتاب مكنون**، لا يمسه إلا المطهّرون، تنزيل من رب العالمين » (الواقعة ٧٧ ـ ٨٠).

« حم. والكتاب المبين، إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون، وإنه في **أمّ الكتاب** لدينا لعلي حكيم » (الزخرف ١ ـ ٤).

فالقرآن العربي مصدره كتاب مكنون، في لوح محفوظ، اسمه « أم الكتاب »؛ وبما أنه « **تنزيل من رب العالمين** » (الواقعة ٨٠) فهو على الأرض، لا في السماء. يدل على ذلك قوله: « فمن شاء ذكره، في صحف مكرمة، مرفوعة مطهّرة، بأيدي سفرة كرام بررة » (عبس ١٢ ـ ١٦). والسفرة اسم كتبة الكتاب عند أهل الكتاب؛ والكتاب هو « صحف مكرمة مرفوعة مطهّرة » عن مسّ المشركين، ولا يمسّها إلا المطهّرون، فلا تعني الملائكة على الإطلاق، لأن الملائكة لا جسد لها يحتاج إلى طهارة.

وذلك لأن الكتاب لم يعد في السماء، بل أنزله الله بواسطة أنبيائه: « كان الناس أمة واحدة، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، **وأَنزل معهم الكتاب بالحق**، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه » (البقرة ٢١٢). لاحظ إطلاق التعبير: « وأنزل معهم الكتاب بالحق »: فكتاب الله نزل من السماء وهو في لوح محفوظ مع أهل الكتاب، بأيدي سفرة بررة. لذلك فإن كان القرآن العربي « تنزيل رب العالمين » فهو « في زبر الأولين »، كما يشهد على ذلك علماء بني إسرائيل، فإنا « أورثنا بني إسرائيل الكتاب » (غافر ٥٣).

٤ ـ فالقرآن العربي هو « تفصيل الكتاب » أيْ تعريبه.

فكتاب الله هو « كتاب أحكمت آياته، ثم فصلت من لدن حكيم خبير » (هود ١). لقد أحكمت في الكتاب الأصلي الذي مع أهل الكتاب، « ثم فُصلت » إلى القرآن العربي. وهذا **التفصيل يعني في اصطلاحه التعريب:** « ولو

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا: لولا فصلت آياته: أأعجمي وعربي! » (فصلت ٤٤). فالتفصيل في لغة القرآن هو التعريب.

لذلك « تنزيلٌ من الرحمان الرحيم، كتاب فُصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون » (فصلت ٢ ــ ٣). فالتنزيل قد عُرب قرآناً عربياً؛ أيْ بحسب قراءة عربية له.

وهو يقسم بالكتاب نفسه أن هذا الكتاب صار قرآناً عربياً: « والكتاب المبين **إنا جعلناه قرآناً عربياً** لعلكم تعقلون » (الزخرف ٢ ــ ٣).

فالقرآن تنزيل لأنه « تفصيل الكتاب » أي تعريب التنزيل: فهو يرادف بين قوله: « إنا **أنزلناه** قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » (يوسف ٢) وبين قوله: « انا **جعلناه** قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » (الزخرف ٣).

إن التنزيل هو في الكتاب الإمام والكتاب المنير؛ يستفتح بذلك ثلاث مرات: « تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم » (٣٩: ١؛ ٤٥: ٢؛ ٤٦: ٢). ثم يعلن تعريب التنزيل في القرآن العربي: « تنزيل من الرحمان الرحيم: كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون » (فصلت ٢ ــ ٣)؛ أي « كتاب أُحكمت آياته، ثم فصلت » (هود ١).

والنتيجة الحاسمة أن القرآن هو « الكتاب مفصلاً » إلى العربية (الأنعام ١١٤)، بتعريب « المثل » النصراني، فقد « شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله » (الأحقاف ١٠)، وهذا الشاهد نصراني من بني إسرائيل لا يهودي.

ثانياً: تنزيل القرآن هو تعريب التنزيل الكتابي

١ ــ هذا هو تعريفه: « تنزيل من الرحمان الرحيم، كتاب فُصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون » (فصلت ٢ ــ ٣). فالقرآن العربي هو تفصيل التنزيل في الكتاب أيْ تعريبه.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ويصور تعريب التنزيل بقوله: « وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين، **بلسان عربي مبين**، وإنه لفي زبر الأولين » (الشعراء ١٩٣ ـ ١٩٧). فالقرآن إنما هو تنزيل رب العالمين، لأنه من زبر الأولين، لكن بلسان عربي مبين: إنه يصرح بتعريب التنزيل الكتابي، في القرآن العربي.

وهو يعلن ذلك بقوله: « وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نُزّل إليهم ولعلهم يتفكرون » (النحل ٤٤). فالذكر القرآني هو بيان ما نزّل إلى الناس من قبل في الكتاب.

٢ ـ وعلة ذلك أن **التنزيل محصور في الكتاب من قبله:** « ذلك بأن الله نزّل الكتاب بالحق، وأن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد » (البقرة ١٧٦). لذلك فالبر إنما هو الإيمان بالكتاب (البقرة ١٧٧) مع سائر أركان الإسلام المنقولة منه: « لتبيّن للناس ما نزّل إليهم ».

والقرآن العربي إنما هو تنزيل الكتاب نفسه إلى محمد، فليس من تنزيل جديد بعد التوراة والإنجيل: « آلم. الله لا إله إلاَّ هو الحي القيوم نزّل عليك الكتاب بالحق مصدّقاً لما بين يديه، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس، وأنزل الفرقان » (آل عمران ١ ـ ٣). فيقتصر تنزيل القرآن على التصديق والتفصيل: « تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب » (يونس ٣٧)؛ لأنه يشرع لهم دين إبراهيم وموسى وعيسى (الشورى ١٣).

فيظل الكتاب المنزل قبل القرآن هدى للمتقين من العرب يؤمنون به وبتفصيله في القرآن العربي: « آلم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين... الذين يؤمنون بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك » (البقرة ١ ـ ٤)؛ كما أنّ على النبي نفسه أنْ يقتدي بهداه وهدى أهله في دعوته: « فبهداهم اقتدهْ » (الأنعام ٩٠).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

٣ ــ **يُرد على هذا التحليل الصادق**، بإعلان القرآن: « قلْ مَن كان عدواً لجبريل فإنه نزّله على قلبك بإذن الله، مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين » (البقرة ٩٧)؛ « قلْ نزّله روح القدس من ربك بالحق، ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين » (النحل ١٠٢).

ولكن فاتهم أن روح القدس، جبريل، إنما أَنزل عليه **الإيمان بالكتاب وضرورة** الدعوة له (الشورى ٥٢ و١٥)، عندما يحصر هذا التنزيل برؤيا غار حراء، في ليلة مباركة، هي ليلة القدر، من شهر رمضان: « أنزلناه في ليلة مباركة » (٤٤: ٣)، « أنزلناه في ليلة القدر » (٩٧: ١)، في « شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن » (البقرة ١٨٥). أما القرآن العربي نفسه فقد تمّ تفصيله مدى عشرين سنة ونيف، كما يصرح في الآية نفسها (البقرة ١٨٥) بأنه « **بينات من الهدى والفرقان** » أيْ من الكتاب وفرقانه، تفسيره في السُنّة، المسماة عندهم « المشنة ».

٤ ــ **والشبهة الكبرى على القول بالتنزيل المطلق** في القرآن العربي، هو **تعبير** « **التنزيل** » **نفسه**. وفاتهم أنه تعبير متشابه فيه لا يقطع بيقين؛ فهو يطلقه على سائر المخلوقات: « أنزل من السماء ماء » (١٣: ١٩؛ ١٤: ٣٢؛ ١٦: ٦٥؛ ٢٠: ٥٣؛ ٢٢: ٦٣؛ ٣٥: ٢٧؛ ٣٩: ٢١)؛ « وأنزل لكم الأنعام » (٣٩: ٦)؛ « ثم أنزل الله سكينته، وأنزل جنوداً لم تروها » (٩: ٢٧).

وهو أيضاً يرادف بين التنزيل، والتصريف، والتيسير، والتبيين، أي أنه « تفصيل الكتاب » (يونس ٣٧)، فهو «الكتاب مفصلاً » (الأنعام ١١٤)، **والتفصيل في اصطلاحه يعني التعريب**: « ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا: لولا فُصلت آياته، أعجمي وعربي » (فصلت ٤٤). فهو ليس تعريب الكتاب مباشرة، بل تعريب « المثْل » النصراني (الأحقاف ١٠).

يجزم بذلك أن محمداً بالقرآن العربي: « **يعلمهم الكتاب والحكمة** » أي التوراة والإنجيل (٢: ١٢٩ و١٥١؛ ٣: ١٦٤؛ ٦٢: ٢).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فتنزيل القرآن يعني « تفصيل الكتاب » أيْ تعريبه، لكـي يعلّم العرب « الكتاب والحكمة »، التوراة والإنجيل، «الكتاب كله ». فتنزيل القرآن هو تعريب التنزيل الكتابي والإنجيلي؛ أي تنزيل من التنزيل قبله، « تفصيل الكتاب ».

*

ثالثاً: إيمان القرآن هو إيمان الكتاب نفسه

١ ــ هذا هو إيمان القرآن يعلنه مراراً:

فأمره لأمته: « قوولا: آمنا بالله وما أنزل إلينا، وما أنزل إلى إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم، لا نفرّق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون » (البقرة ١٣٦). فالإيمان يقتصر على تنزيل الكتاب.

وأمره للنبي نفسه: « قلْ: آمنا بالله، وما أنزل علينا، وأُنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم، لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (آل عمران ٨٤). هذا هو الإسلام، لا دين غيره، وهو الإيمان بالكتاب الذي يفصّله القرآن، بلسان عربي مبين (آل عمران ٨٥).

فالإيمان « بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين » (البقرة ١٧٧) هو البرّ عينه. لاحظ التعريف المطلق في قوله: « الكتاب ».

فإيمان النبي وأمته هو عدم التفريق بين كتب الله ورسله: « آمن الرسول بما أُنزل إليه، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرّق بين أحد من رسله » (البقرة ٢٨٥). وعدم التفريق بين موسى وعيسى، بين التوراة والإنجيل، هو « النصرانية » عينها.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

٢ ـــ وحدة الإيمان تقتضي وحدة الكتاب.

هذا ما يعلنه بقوله: « يا أيها الذين آمنوا، آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزّل على رسوله، والكتاب الذي أنزل من قبل: ومَن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً » (النساء ١٣٥). فالإيمان بالكتابيْن واحد، لأن القرآن « تفصيل الكتاب ».

فالكتاب الأول هو «هدى للمتقين » من العرب الذين لأجل ذلك يؤمنون بالكتابيْن: « ذلك الكتاب، لا ريب فيه، هدى للمتقين... الذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، وبالآخرة هم يوقنون. أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » (البقرة ١ ـــ ٥). ففي التنزيليْن، الكتاب واحد، والهدى واحد، لأنَّ الكتاب « هدى للمتقين » من العرب.

ويؤكد ذلك خصوصاً بالنسبة للإنجيل: « وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور... هدى وموعظة للمتقين » (المائدة ٤٩). فالإنجيل هدى لجماعة محمد، المتقين من العرب، فهو « فيه هدى ونور » كما أن « التوراة فيها هدى ونور » (المائدة ٤٧). فما في القرآن من « هدى ونور » هو من التوراة والإنجيل، لأنّ القرآن « يعلمهم الكتاب والحكمة »، أيْ التوراة والإنجيل. لكن الإنجيل وحده هو « هدى وموعظة للمتقين » من العرب (المائدة ٤٩).

لذلك على أمة محمد أن يؤمنوا « بالكتاب الذي نزّل على رسوله، والكتاب الذي أنزل من قبل » (النساء ١٣٥): فالاقتصار على الإيمان بالقرآن وحده هو خيانة للقرآن نفسه.

*

رابعاً: إسلام القرآن هو إسلام الكتاب نفسه

يعلن ذلك بمنع الجدل فيه مع أهل الكتاب: « ولا تجادلوا أهل الكتاب

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

إلاّ بالتي هي أحسن ـ إلاّ الذين ظلموا منهم (اليهود) ـ وقولوا: آمنا بالذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون » (العنكبوت ٤٦). فلا جدال مع أهل الكتاب إلاَّ بالحسنى، وهذه الحسنى هي الأمر بالتسليم معهم أن الإله واحد والتنزيل واحد والإسلام واحد.

فإسلام القرآن ليس منه، إنّما هو إسلام الكتاب عينه من قبل: « هو سمّاكم المسلمين من قبل وفي هذا » القرآن (الحج ٧٨).

وأهل الكتاب هم المسلمون الحقيقيون من قبل القرآن، كما يشهد لهم هو نفسه: « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به (بالقرآن) يؤمنون؛ وإذا يُتلى عليهم قالوا: آمنا به إنه الحق من ربنا: **إنا كنا من قبله مسلمين** » (القصص ٥٣). فالإسلام والمسلمون قائمون قبل القرآن.

لذلك جاء محمداً الأمر في رؤيا الغار بأن ينضم إلى هؤلاء المسلمين من قبله، وأن يتلو معهم قرآن الكتاب: « وأمرت أن أكون من المسلمين، وان أتلو القرآن » (النمل ٩٠ ـ ٩١). فالقرآن يدعو للإسلام، بإسلام مَن سبقه، وقد انضم إليهم « أمة واحدة » (الأنبياء ٩٢؛ المؤمنون ٥٣).

وهو يشهد للإسلام بشهادة أولي العلم المقسطين، أيْ أهل الكتاب « المسلمين »: « شهد الله أن لا إله إلاَّ هو، والملائكة، وأولوا العلم قائماً بالقسط، لا إله إلاَّ هو العزيز الحكيم: إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ » (آل عمران ١٨ ـ ١٩). نعرف أن أولي العلم، مثل أهل الذكر، مرادف لأهل الكتاب في اصطلاحه. وسنرى أن صفة « قائماً بالقسط » أيْ مقسطين، هي كناية عن « النصارى »، لذلك يخالف أهل الكتاب من اليهود تلك الشهادة (آل عمران ١٩). فبنصّ القرآن القاطع هو يشهد للإسلام بشهادة أهل الكتاب والإنجيل له، « المسلمين » من قبله.

فإسلام القرآن هو إسلام الكتاب والإنجيل نفسه، « ما أوتي موسى وعيسى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

والنبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون: ومن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين » (آل عمران ٨٤ ــ ٨٥). فليس في القرآن من إسلام سوى إسلام الكتاب والإنجيل، عند أهله.

لذلك « من أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً، وقال: إنني من المسلمين » (فصلت ٣٣) كما أمر محمد نفسه: « وأُمرت أن أكون من المسلمين » (النمل ٩٠). فالمسلمون موجودون قبله، وهو ينضم إليهم ويدعو بدعوتهم.

فليس من إسلام صحيح بدون إسلام الكتاب والإنجيل. لذلك انضم محمد إلى « المسلمين » من قبله وأخذ بالقرآن يشهد للإسلام الكتابي والإنجيلي.

وهذا الإسلام الكتابي الإنجيلي هو الإسلام الذي ارتضاه القرآن لأمته في آخر أمره، يوم حجة الوداع: « اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام ديناً » (المائدة ٣)، أي الإسلام الذي يشهد له القرآن بشهادة أولي العلم المقسطين، أي أهل الكتاب النصارى من بني إسرائيل ومن « تنصّر » معهم من العرب (آل عمران ١٨).

فهذا الواقع القرآني يحتم على أمة محمد، كما على أمة عيسى، المباشرة بالحوار الإسلامي المسيحي، ليتحقّقوا ويُحقّقوا أنهم « أمة واحدة » **على دين واحد، وإنْ افترقوا إلى فرعيْن**، إسلام ومسيحية.

***

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بحث ثان

انتساب القرآن إلى الإنجيل وأهله على الخصوص

هدف الدعوة القرآنية ثنائي:

فرْض التوحيد الكتابي على العرب، بصورته « النصرانيّة » التي تجعل دين موسى ودين عيسى ديناً واحداً (الشورى ١٣)، والتوراة والإنجيل شرعاً واحداً (المائدة ٧١).

وهذه الصورة « النصرانية » للتوحيد الكتابي المفروض على العرب تجعل **الدعوة القرآنية للمسيح والإنجيل** محور تعليمه وجهاده (الصف ١٤)، وذلك بنصه القاطع: « إن هذا القرآن يقصّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل ٧٦)، وما اختلفوا إلى يهود ونصارى من بني إسرائيل إلاَّ في المسيح والإنجيل، لا في التوحيد والكتاب. فالقرآن ينتسب انتساباً مطلقاً إلى الإنجيل وأهله على الخصوص. وهذه هي **الظاهرة القرآنية الكبرى الثانية.**

أولاً: كمال النبوة والكتاب بالمسيح والإنجيل

لا يرد ذكر « **المسيح** » والإنجيل في القرآن، كحلقة بين رسل الله وكتبه؛ إنّما ينصّ على أنه « قفّى » بالمسيح والإنجيل على « ما أوتي النبيون من ربهم »، ولا ينص على أنه « قفّى » على المسيح والإنجيل بأحد. وهذه ظاهرة فريدة فيه تسترعي الانتباه والاقتصار.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يصرح: « ولقد آتينا موسى الكتاب، وقفينا من بعده بالرسل، وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس: فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم، وفريقاً تقتلون... ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدّق لما معهم... كفروا به، فلعنة الله على الكافرين » (البقرة ٨٧ ــ ٨٩). فالرسل من بعد موسى على شريعته، لذلك فالكتاب هو التوراة والإنجيل. ويمتاز عيسى على موسى ومَن بعده بالبينات وتأييد روح القدس في سيرته وشخصيته، وليس فقط في رسالته، « يسير معه حيث سار »، « لا يفارقه ساعة » (الجلالان)؛ بينما يقتصر دور جبريل مع موسى ومحمد على التنزيل فقط. فالقرآن يحصر الرسالة في موسى وعيسى، والكتاب في التوراة والإنجيل؛ والقرآن هو فقط « كتاب من الله مصدق لما معهم » يقتصر على التصديق والتفصيل (يونس ٣٧): « وهذا كتاب مصدّق، لساناً عربيّاً » (الأحقاف ١٢)، فليس فيه من جديد سوى اللسان العربي المبين ــ والنتيجة الحاسمة أن الله قفّى على موسى والرسل من بعده بالمسيح، وما قفّى على المسيح بأحد. فما القرآن إلاّ « كتاب مصدّق »، ومحمد رسول مصدّق.

هذا ما يصرح به في قوله: « **وقفينا على أثارهم بعيسى ابن مريم**.. وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور.. وهدى وموعظة للمتقين » من العرب (المائدة ٤٩). فالإنجيل « فيه هدى ونور » كما في التوراة « هدى ونور » (المائدة ٤٧). فالكتاب توراة وإنجيل. وتنتهي « التقفية » على الرسل بالمسيح، وذلك بحسب حرف القرآن نفسه. يؤيد ذلك أن الإنجيل وحده « هدى وموعظة للمتقين » من العرب. وبسبب الإنجيل كان « الكتاب، لا ريب فيه، هدى للمتقين » (البقرة ٢).

فهذا هو **موجز تاريخ النبوة والكتاب**، في عرْف القرآن: « ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم، وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب: فمنهم مهتد (النصارى) وكثير منهم فاسقون (اليهود). ثم قفّينا على آثارهم برسلنا، **وقفينا بعيسى ابن**

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

مريم وآتيناه الإنجيل » (الحديد ٢٦ ــ ٢٧). إنَّ النص صريح قاطع: **ختام النبوة والكتاب هو المسيح والإنجيل**، بحرف « التقفية »؛ ولا ينص القرآن أبداً على « تقفيــة » علــى المســيح والإنجيل.

فيقتصر دور القرآن على « تصديق الذي بين يديه، وتفصيل الكتاب » (يــونس ٣٧). وفي هذا الدور نفسه، « شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله » (الأحقاف ١٠). فدور القرآن ونبيّه إنما هو التصديق والتعريب.

لذلك، ففي عرْف القرآن، إنَّ كمال النبوة والكتاب هــو بالمســيح والإنجيــل: فبــدون المسيح والإنجيل، لا تقوم النبوة والكتاب. هذا هو سبب الخلاف الأكبر بين محمد واليهود فــي القرآن كله.

*

ثانياً: لا توحيد ولا إسلام بدون المسيح والإنجيل

إن التوحيد الذي يدعو إليه القرآن هو **التوحيد الكتابي المنزل**، فليس فيه مــن توحيــد سواه (آل عمران ٨٤ ــ ٨٥). هذا هو الدين الذي يشرعه للعرب (الشورى ١٣)؛ وهــذا هــو الإسلام الذي يشهد له (آل عمران ١٨).

أجل يدعو أهل الكتاب إلى عبادة الله وحدة، لا شريك له: « قل: يا أهل الكتاب تعــالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألاَّ نعبد إلاَّ الله، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أَرباباً مــن دون الله، فــإنْ تولّوا، فقولوا: اشهدوا بأنا مسلمون » (آل عمران ٦٤). ويفصّل: « ولا يــأمركم أن تتّخــذوا الملائكة والنبيين أرباباً: أيأمركم بالكفر، **بعد إذ أنتم مســلمون** » (آل عمــران ٨٠). ويحــدّد ويندّد؛ « وقالت اليهود: عزيز ابن الله! وقالت النصارى (المســيحيون): المســيح ابــن الله » (التوبة ٣١). ولكن هذا الموقف السلبي التقويمي، لا يمنع

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الموقف الإيجابي بأنه لا توحيد منزلاً بدون المسيح والإنجيل: « ثم قفينا على آثارهم برسلنا، وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل » (الحديد ٢٧)، فالتوحيد المنزل قمته المسيح والإنجيل: « ثم قفينا على أثارهم برسلنا، وقفينا بعيسى ابن مريم وأتيناه الإنجيل » (الحديد ٢٧)، فالتوحيد المنزل يُختم بالمسيح والإنجيل.

وكانت دعوة المسيح التوحيد الكتابي المتواتر: « إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم » (آل عمران ٥١). لكن دعوته كانت مسك الختام في النبوة والكتاب: « وقفينا على آثارهم (الأنبياء والمرسلين) بعيسى ابن مريم... وأتيناه الإنجيل فيه هدى ونور... وهدى وموعظة للمتقين » من العرب. (المائدة ٤٩). فالتوراة هي أيضاً « فيها هدى ونور » (المائدة ٤٦) لكنه لا ينص على أنّها مثل الإنجيل « هدى وموعظة للمتقين » من جماعة محمد، إنما هذا الدور مع المسلمين محفوظ للمسيح والإنجيل.

لذلك فهو يدعو جماعته أن يكونوا « أنصار الله » كما كان حواريو عيسى أنصار الله (الصف ١٤)، بناء على دعوة المسيح لهم: « فلما أحسّ عيسى منهم الكفر (من اليهود) قال: مَن أنصاري إلى الله؛ قال الحواريون: نحن أنصار الله، آمنا بالله، وأشهد بأنا مسلمون » (آل عمران ٥٢). فالتوحيد الحق ينتهي بعيسى والإنجيل، وينتقل بحرفه إلى محمد والقرآن: « وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله » (الأحقاف ١٠). فلا توحيد ولا إسلام بدون المسيح والإنجيل.

*

ثالثاً: موضوع الإيمان في القرآن هو الله والمسيح كلمة الله

إن ميزة القرآن بالإيمان في المسيح أن ابن مريم هو أيضاً كلمة الله، ويؤكّد دائماً على هذه الصفة، حتى جعل « الله وكلمته » موضوع إيمانه ودعوته: « يا أيها

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الناس، إني رسول الله إليكم جميعاً... فآمنوا بالله ورسوله، النبي الأمي، الذي يؤمن بالله وكلمته واتبعوه لعلكم تهتدون » (الأعراف ١٥٧). لتعبير « **الله وكلمته** » قراءة أخرى، « **الله وكلماته** »، لكن هذه الأخرى لا تفيد نكتة تميّز إيمان القرآن، ولا تنسجم مع ردّ القرآن على اليهود (الأعراف ١٥٥ ــ ١٥٧). ينقل الزمخشري والبيضاوي قراءة « الله وكلمته » وتفسير مجاهد لها أن « كلمة الله » هو المسيح. فموضوع الإيمان في القرآن هو الله والمسيح كلمة الله. تلك هي ميزة إيمان « النبي الأمي » على سواه. ولو لم يكن إسلام القرآن قائماً على الإيمان بالله والمسيح كلمة الله، لما قاومه اليهود وتآمروا عليه، حتى اضطر النبي العربي إلى تصفيتهم من الجزيرة. ولو لم يكن كذلك لما قاومه عرب الحجاز قائلين لمحمد: « إنْ نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا » (القصص ٥٧)؛ فليس التوحيد ما يمنعهم، إنما هو إيمان القرآن بالمسيح في توحيده.

فهو يختم ذكر الأنبياء بالمسيح وأمه، ويجعلهما آية الله للعالمين: « والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا، وجعلناها وابنها آية للعالمين » (الأنبياء ٩١). فهو « أمة واحدة » مع الأنبياء المذكورين لإيمانه بالمسيح وأمه « آية للعالمين » (٩٢).

وهذا الإيمان يقوم على وحدة التنزيل في التوراة والإنجيل والقرآن: « الله، لا إله إلاَّ هو، الحي القيوم نزّل عليك الكتاب بالحق، مصدّقاً لما بين يديه، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس، وأنزل الفرقان » (آل عمران ١ ــ ٣). فتنزيل الكتاب على محمد إنّما هو للتصديق، أمَّا الهدى فهو في التوراة والإنجيل، فبدون الإنجيل لا يتم هدى الله.

*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

رابعاً: فلا دين بدون الإيمان بالمسيح والإنجيل

إن الدين الذي يشرعه القرآن للعرب هو دين موسى وعيسى ديناً واحداً: « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً ــ وما أوحينا إليك ــ وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أنْ أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه! كبر على المشركين ما تدعوهم إليه » (الشورى ١٣). ما وصّى به الله نوحاً وإبراهيم جاء في التوراة. لذلك يقتصر الدين على توراة موسى وإنجيل عيسى. وهذا هو الدين الذي يشرعه للعرب.

وهذا هو الدين الذي يتحدى به أيضاً أهل الكتاب: « قلْ: يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليكم من ربكم؛ وليزيدنَّ كثيراً منهم (اليهود) ما أُنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً، فلا تأسَ على القوم الكافرين » (المائدة ٧١). فإقامة التوراة والإنجيل شرعاً واحداً هو الدين. وهذا الإعلان يثير اليهود فيزيدهم طغياناً وكفراً، لجعل الإيمان بالمسيح والإنجيل من جوهر الدين.

فلا يقوم دين، بحسب القرآن، بدون الإيمان بالمسيح والإنجيل.

*

خامساً: ولا إسلام بدون الإيمان بالمسيح والإنجيل

إن الإسلام الذي يشهد له القرآن إنما هو إسلام النصارى، أولي العلم المقسطين، بحسب كناية القرآن المتواترة. فأهل العلم، في اصطلاحه، مرادف لأهل الذكر، وكلاهما مرادف لأهل الكتاب. وهو يقسمهم إلى فريقيْن: الظالمين وهم اليهود، والمحسنين، أو المقسطين، أو المسلمين، وهم النصارى. فالنصارى، « أولوا العلم قائماً بالقسط » هم الذين يشهدون مع الله وملائكته

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

« إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ » (آل عمران ١٨ ـ ١٩). والقرآن يشهد بشهادتهم لأن شهادتهم من شهادة الله وملائكته. فإسلامهم يدين بالله والمسيح؛ لذلك فإسلام القرآن يدين بالله والمسيح. هذا هو موضوع إيمانه ودينه وإسلامه (الأعراف ١٥٧).

لذلك فهو يمنع كل جدال مع أهل الكتاب المقسطين، أي النصارى، من دون الظالمين أيْ اليهود: « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاَّ بالتي هي أحسن ـ إلاَّ الذين ظلموا منهم (أي اليهود) ـ وقولوا: آمنا بالذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون » (العنكبوت ٤٦). والجدال بالحسنى هو الحوار عينه، والحسنى فيه هي الأمر لأمته بالتسليم مع النصارى أن الإله واحد والتنزيل واحد، والإسلام واحد؛ وهذا كله لا يقوم إلاَّ بالإيمان بالله والمسيح والإنجيل: فوحدة الإله ووحدة التنزيل ووحدة الإسلام تقوم في القرآن على الإيمان بالله والمسيح والإنجيل.

فلا يصح إسلام، بحسب القرآن، بدون الإيمان بالمسيح والإنجيل.

*

سادساً: « الأمة الواحدة » لا تقوم إلاَّ بالإيمان بالمسيح والإنجيل

إن القرآن يعلن نفسه « أمة واحدة » مع الذين يؤمنون بالمسيح وأمة آية للعالمين: « والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا، وجعلناها وابنها آية للعالمين: إن هذه أمتكم، **أمة واحدة**، وأنا ربكم فاعبدونِ » (الأنبياء ٩١ ـ ٩٢). فلا تصح وحدة الأمة الإسلامية مع أنبياء أهل الكتاب إلاَّ بالإيمان بالمسيح وأمه، مع الإيمان بالله.

وهذه عقيدة متواترة في القرآن: « وجعلنا ابن مريم وأمه آية، وآويناهما

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

إلى ربوة ذات قرارٍ ومعين... وأن هذه أمتكم، **أمة واحدة**، وأنا ربكم فاتقون » (المؤمنون ٥١ ــ ٥٣). فوحدة الأمة القرآنية تقتضي وحدة الإيمان بالمسيح وأمه مع أهل الكتاب. لاحظ أنّــه يجعل المسيح وأمه آية واحدة للعالمين. إنَّ إسلام القرآن يفخر بذلك.

وإنْ كانت هذه الأمة الواحدة « أمةً وسطاً » بين اليهودية والمسيحية (البقــرة ١٤٣)، فما يزال محور دينها وإيمانها وإسلامها الإيمان، مع الله، بالمسيح والإنجيل.

وهذه الأمة الوسط هي الأمة المثالية لجماعة محمد، لتلاوتها آيــات الله فــي الكتــاب والإنجيل: « ليسوا سواءً: من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل، وهم يســجدون، يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويسارعون في الخيرات، وأولئك من الصالحين » (آل عمران ١١٣ ــ ١١٤). فقيام الليل للسجود وتلاوة آيات الله عادة نصرانية ومسيحية، يقوم بها رهبان عيسى وحدهم من دون العالمين. ومثاليتهم أنهم « يتلــون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ». فهي آيات الله في الإنجيل، مع الكتاب كله. لذلك فهم عباد الرحمان « الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً » والذين جعلهم الله « للمتقين إمامــاً » (الفرقــان ٧٤). فإمامة الأمة المثالية لجماعة محمد، المتقين من العرب، تقوم علــى الإيمــان بالمســيح والإنجيل، وتلاوة آياته آناء الليل وأطراف النهار.

فلا قيام لأمة القرآن إلاَّ بالإيمان بالمسيح والإنجيل.

*

سابعاً: القرآن نفسه هو تعليم الكتاب والحكمة، أيْ التوراة والإنجيل، للعرب

تعبير « الحكمة » قد يرد بحسب اللغة في القرآن؛ ولكنه يأخذه أحياناً على

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الاصطلاح كنـــاية عن الإنجيل تجاه الكتاب: « ولما جاء عيسى بالبينـــات قـــال: **قـــد جئـــتكم بالحكمة** » (الزخرف ٦٣). وهو يرادف، في عطف بيان، بين « الكتاب والحكمـــة، والتـــوراة والإنجيل » (آل عمران ٤٨، المائدة ١١٣).

وغاية القرآن أنْ يعلّم العرب الكتاب والحكمة أي التوراة والإنجيل: « كمـــا أرســـلنا منكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم، ويعلمكم الكتاب والحكمة، ويعلمكم ما لم تكونـــوا تعلمون » (البقرة ١٥١). ففي تلاوة آيات الله في القرآن، إنّما هو يعلمهم التوراة والإنجيل.

فليست آيات القرآن سوى تعليمهم التوراة والإنجيل: « لقد منّ الله علـــى المـــؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمـــة، وإنْ كـــانوا من قبل لفي ضلال مبين » (آل عمران ١٦٤). فالقرآن ينتشل العرب مـــن الضـــلال المبـــين بتعليمهم الكتاب والحكمة، أيْ التوراة والإنجيل.

وهذه عقيدة راسخة يرددها في أدوار التنزيل كلها: « هو الذي بعـــث فـــي الأمّيـــين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإنْ كانوا مـــن قبـــل لفـــي ضلال مبين » (الجمعة ٢). فما القرآن سوى تعليم التوراة والإنجيل للعـــرب، لينتشـــلهم مـــن الضلالة المبين.

ويعتمد في ذلك على « المثْل » النصراني الموجود عند النصارى من بني إســـرائيل، فقد « **شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله** » (الأحقاف ١٠)، وهو ليس من بني إســـرائيل اليهود، « أول كافر به ». فإن « مثْل » القرآن عند النصارى، فالقرآن فـــي دعوتـــه وتعلـــيم العرب، « نصراني »، بالإيمان بالمسيح والإنجيل، « ومن قبله كتاب موسى إمامـــاً ورحمـــة، وهذا كتاب مصدّق لساناً عربيّاً » (الأحقاف ١٣). فكتاب موسى هو الإمام البعيد، و« المثْل » النصراني هو النسخة الأصلية للقرآن العربي، الذي لا يمتاز عن « مثله » إلاّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

باللسان العربي. **لذلك فالقرآن هو خصوصاً تعليم العرب الإنجيل.** والإنجيل هو الإيمان بالله والمسيح.

*

ثامناً: الإنجيل كمال الوحي والتنزيل

هذا ما يعلنه بصراحة في لغة « التقفية » على رسل الله وكتبه، بالمسيح والإنجيل: « ثم قفّينا على آثارهم (نوح وإبراهيم وموسى) برسلنا، وقفّينا بعيسى ابن مريم، وآتيناه الإنجيل » (الحديد ٢٧). ولا ينصَّ على الإطلاق أنه قفى على المسيح والإنجيل: فالمسيح في نظر القرآن خاتمة الرسل، والإنجيل خاتمة الكتاب: فالإنجيل كمال الوحي والتنزيل.

ويقرّ القرآن مبدأ المفاضلة بين الرسل: « ولقد فضّلنا بعض النبيين على بعض » (الإسراء ٥٥). وكان تفضيل المسيح على الرسل أجمعين بالبينات وتأييد روح القدس له في الوحي والتنزيل، كما عند جميعهم، وانفرد عنهم أجمعين بتأييده في رسالته كلها وفي سيرته كلها، « يسير معه حيث سار »، « لا يفارقه ساعة » (الجلالان)، وخصوصاً بتأييده في شخصيته نفسها: « ولقد آتينا موسى الكتاب، وقفينا من بعده بالرسل، وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس » (البقرة ٨٧). فتفضيل المسيح على الرسل أجمعين كان بالبينات التي لم يستجمعها سواه، خصوصاً بتأييد روح القدس له: « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض: منهم من كلّم الله؛ ورفع بعضهم درجات (؟)؛ وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس » (البقرة ٢٥٣). وتأييد روح القدس للمسيح يشمل رسالته وسيرته وشخصيته: « قوله (إذ أيدتك بروح القدس) أي جبريل؛ أو روح عيسى، فالله خصّه بالروح الطاهرة النورانية المشرفة العلوية الخيّرة » (الرازي على المائدة ١١٣). وتفضيل المسيح على المرسلين

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أجمعين يقتضي **تفضيل الإنجيل على كتب الله كلها**، فهو خاتمتها: « ثم قفينا على آثارهم برسلنا، وقفّينا بعيسى ابن مريم، وآتيناه الإنجيل » (الحديد ٢٧).

وقد استجمع الله الوحي كله بالمسيح في الإنجيل: « ويعلّمه الكتاب والحكمة، والتوراة والإنجيل » (آل عمران ٤٨)؛ « وإذ علمتك الكتاب والحكمة، والتوراة والإنجيل » (المائدة ١١٠). لذلك سمت رسالته على المرسلين أجمعين، « إذ أيدتك بروح القدس، تكلّم الناس في المهد وكهلاً » (المائدة ١١٠)، « وهذه خاصية شريفة كانت حاصلة له، وما حصلت لأحد من الأنبياء قبله ولا بعده » (الرازي). وامتاز الوحي والتنزيل للمسيح على الجميع بأنه كان **كلاماً مباشراً إليه**، لا من وراء حجاب مثل موسى، ولا بواسطة جبريل مثل محمد: « وما كان لبشر أنْ يكلمه الله إلاَّ وحياً (المسيح) أو من وراء حجاب (موسى) أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء، أنه عليّ حكيم. وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا » (الشورى ٥١) أيْ «نزّله روح القدس (جبريل) من ربك بالحق» (النحل ١٠٢). فوحده السيد المسيح، خاطبه الله مباشرةً، وعياناً، بدون حجاب. لذلك كان الإنجيل، بين كتب الله كلها، **الكتاب المنير**: « وإنْ يكذبوك، فقد كذَّب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات (موسى) وبالزبر (داود) وبالكتاب المنير » (الإنجيل) (فاطر ٢٥)؛ ويكررها في المدينة (آل عمران ١٨٤). ولا نجد بحق محمد والقرآن مثل هذه الميزات الفريدة؛ ولا بحق موسى. إنها ميّزة المسيح والإنجيل وحدهما. فالإنجيل كمال الوحي والتنزيل، في نظر القرآن نفسه.

*

تاسعاً: الإنجيل « نور وهدى للمتقين »

يقول في الكتاب على العموم: « ذلك الكتاب، لا ريب فيه، هدى للمتقين.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الذين يؤمنون بمـــا أُنزل إليك، ومـــا أُنزل من قبلك » (البقرة ٢ و٤). ويفصّل ذلك في قولـــه: « إنّا أنزلنا التوراة **فيها هدى ونور**، يحكم بها النبيّون الذين أسلموا للذين هـــادوا، والربـــانيون والأحبار بما استُحفظوا من كتاب الله... وقفّينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدّقاً لمـــا بـــين يديه من التوراة، وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور، ومصدقاً لما بين يديه من التـــوراة، **وهـــدى وموعظة للمتقين** » (المائدة ٤٧ و٤٩). فالتوراة « فيها هدى ونور » لكن لليهود وحدهم؛ أما الإنجيل « ففيه هدى ونور » لكنه « هدى وموعظة للمتقين » من العرب مع محمد. فالإنجيل، بنص القرآن القاطع، هو « هدى وموعظة » للمسلمين أنفسهم، فلا يكونـــون مســـلمين إذا لـــم يهتدوا به ويتعظوا به.

والقرآن « يعلمهم الكتاب والحكمة » أيْ التوراة والإنجيل. وفي ذلك علـــى النبـــي أن يقتدي بهدى من يؤمن بها إيماناً واحداً، أيْ أهل الإنجيل، لا أهل التـــوراة: « أولئـــك الـــذين آتيناهم الكتاب والحكم (الحكمة) والنبوة ــ فإنْ يكفر بها هؤلاء (العرب المشركون)، فقد وكلنـــا بها قوماً ليسوا بها بكافرين ــ أولئك الذين هدى الله **فبهداهم اقتـــدهْ** » (الأنعـــام ٨٩ ــ ٩٠). فالنبي العربي مأمور أنْ يقتدي بهدى أهل الإنجيل، الذين آتاهم الله الكتاب والحكمة والنبوة.

والقرآن يعتبر أهل الإنجيل، خصوصاً رهبانهم، إماماً للمتقين مـــن العـــرب، جماعـــة محمد: فهم « عباد الرحمان... الذين يبيتون لربهم سجّداً وقياماً... والذين يقولـــون: ربنـــا... **واجعلنا للمتقين إماماً** » (الفرقان ٦٣ و٦٤ و٧٤). إن قيام الليل للسجود وتلاوة آيات الله عادة رهبانية، لا عربية ولا يهودية، ولا قرآنية، إنما هي « نافلة للنبي » وحـــده (الإســـراء ٧٩). لذلك فهو يسمي أهل الإنجيل ورهبانهم « عباد الرحمان » ويجعلهم « إمام » المسلمين، لأنهـــم الأمة المثالية لهم: « ليسوا سواء؛ من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليـــل وهـــم يسجدون؛ يؤمنون بالله واليوم الآخر؛ ويأمرون بالمعروف وينهون

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

عن المنكر؛ ويسارعون في الخيرات؛ وأولئك من الصالحين؛ وما يفعلوا من خير فلن يُكفروه. والله عليم بالمتقين » الذين بهم يقتدون (آل عمران ١١٣ ــ ١١٥).

فالإنجيل « نور وهدى للمتقين »، جماعة محمد المسلمين.

*

عاشراً: جهاد القرآن كله في سبيل المسيح

غاية القرآن في دعوته أنْ يشرّع للعرب دين موسى وعيسى ديناً واحداً: « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ــ والذي أوحينا إليك ــ وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى: أن أقيموا الدين، ولا تتفرّقوا فيه! كبر على المشركين ما تدعوهم إليه!... وقلْ: آمنت بما أنزل الله من كتاب، وأُمرتُ لأعدل بينكم » (الشورى ١٣ و١٥). ما وصّى به الله نوحاً وإبراهيم لم يصلنا إلاَّ بالتوراة. فيقتصر إيمان النبي العربي على الكتاب (١٥)، أيْ « الكتاب كله » (آل عمران ١١٩)، ويشرِّع للعرب دين موسى وعيسى ديناً واحداً، بلا تفريق ولا تفرقة. فينفر من ذلك اليهود (١٤) ويستكبر العرب (١٣). وهذا دليل على أن محور الدعوة المختلف فيها هو المسيح الذي إليه يدعو القرآن.

ثم « إن هذا القرآن يقصّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل ٧٦). وقد اختلفوا إلى يهود ونصارى من بني إسرائيل، لا في موسى والتوراة، بل في المسيح والإنجيل. فالقرآن دعوة لليهود للإيمان بالمسيح والإنجيل، ودعوة صريحة لهم بإقامة التوراة والإنجيل شرعاً واحداً وديناً: « قلْ يا أهل الكتاب (والخطاب لليهود) لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليكم من ربكم » (المائدة ٧١).

ولمّا رفض المشركون واليهود، وتحزبوا على الدعوة القرآنية لله والمسيح،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

آذنهم بالجهاد المقدس. فدعا جماعته أنْ يكونوا أنصار الله، مثل حـواريي عيسـى، لنصـرة الإيمان بالمسيح، على الكافرين به: « يا أيها الذين آمنوا، كونوا أنصار الله، كما قـال عيسـى ابن مريم للحواريين: مَن أنصاري إلى الله؟ قال الحواريون: نحن أنصار الله! **فآمنـت طائفـة من بني إسرائيل**، وكفرت طائفة: فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤). فجهاد القرآن هو لتأييد الطائفة من بني إسرائيل التي آمنـت بالمسـيح، علـى عـدوها اليهودية التي كفرت به. وهكذا انتصر الإيمان بالمسيح بين العرب بفضـل الـدعوة القرآنيـة والجهاد الإسلامي.

فالإيمان بالمسيح هـو محور الإسلام القرآني الذي يشهد به « أولـوا العلـم قائمـاً بالقسط » ـ أي النصارى المقسطون، لا اليهود الظّالمون ـ « إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْـلاَمُ »، لأن شهادتهم من شهادة الله وملائكته، في عقيدته. والقرآن يشهد لهذا الإسلام على شـهادتهم. فالقرآن إذن شهادة للإسلام « النصراني »؛ فهو شهادة للمسيح والإنجيل.

تلك **أبواب عشرة** تشهد شهادة جامعة مانعة أنَّ القرآن ينتسب فـي إيمانـه ودعوتـه وجهاده إلى المسيح، وإلى الإنجيل وأهله.

***

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بحث ثالث

انتساب القرآن إلى « النّصرانية »، « الأمة الوسط » بين اليهودية والمسيحية

هذا هو موضوع كتابنا السَّابق: (القرآن دعوة « نصرانية »). فلا حاجة إلى بيان بعد. وهذه هي الظاهرة القرآنية الكبرى الثالثة.

١ ــ نعرف سرّ القرآن من **جهاده:** « فآمنت طائفة من بني إسرائيل (بالمسيح) وكفرت طائفة: فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤). إنَّ القرآن ينتصر **إلى الطائفة من بني إسرائيل** التي آمنت بالمسيح. وهذه هي « النصرانية » عينها باسمها الصريح. لذلك فالقرآن دعوة « نصرانية ».

وبعد ما فرغ من تصفية اليهودية في الحجاز والجزيرة، التفت في آخر أمره إلى **المسيحية العربية** في الجنوب وفي الشمال. في الجنوب بجدال وفد نجران المسيحي اليعقوبي، في عام الوفود. فوادعه على جزية وانصرف. وفي الشمال قام بغزوة مؤتة الفاشلة. فشرَّع حينئذٍ الجهاد ضد المسيحية العربية (براءة ٣٠ ــ ٣٥) فكانت غزوة تبوك الناجحة التي تروي ملابساتها سورة (التوبة). وذلك بحسب الوصية الأخيرة لأمته: « **لا يجتمعن في جزيرة العرب دينان** ».

فالقرآن أعلن الجهاد على اليهودية، وعلى المسيحية العربية، انتصاراً « للنصرانية ». فهي « **الأمة الوسط** » التي على مثالها يكوّن جماعته: « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً، لتكونوا شهداء على الناس » (البقرة ١٤٣).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وهذه « النصرانية »، « **الأمة الوسط** » بين اليهودية والمسيحية، هي تلك « **الأمة الواحدة** » التي أعلن قيامها منذ العهد المكي (الأنبياء ٩١؛ المؤمنون ٥٢).

٢ ــ ونعرف سر القرآن **من إسلامه**. فهو يعلن عن محمد: « وأمرت أن أكون من المسلمين، وأن أتلو القرآن » معهم (النمل ٩١)، فإن « هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل ٧٦). وما اختلف بنو إسرائيل إلى يهود ونصارى إلاَّ في المسيح والإنجيل؛ وبما أن اليهود كانوا « أول كافر به » (البقرة ٤١)، فالنصارى من بني إسرائيل هم « المسلمون » من قبله الذين أمر بأن ينضم إليهم ويدعو بدعوتهم.

فإسلام القرآن هو الإسلام « النصراني »، إسلام « الراسخين في العلم » (آل عمران ٧)، إسلام « أولي العلم قائماً بالقسط » الذين يشهدون مع الله وملائكته « إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ » (آل عمران ١٨ ــ ١٩).

٣ ــ فالمحسنون، المقسطون، المسلمون، الراسخون في العلم، هم في اصطلاحه النصارى من بني إسرائيل، ومَن « تنصّر » معهم من العرب، بإمامة قس مكة، ورقة بن نوفل. فهم مع « الذين تابوا معك » من العرب « **أمة واحدة** »: « يرفع الله الذين آمنوا منكم، والذين أوتوا العلم، درجات » (المجادلة ١١)؛ « لكن الراسخون في العلم منهم، والمؤمنون، يؤمنون بما أُنزل إليك، وما أُنزل من قبل » (النساء ١٦١). هذه « **الأمة الواحدة** » هي « **الأمة الوسط** »، الإسلام.

٤ ــ ونعرف سرّ القرآن من **الدين الذي يشرعه**: « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً ــ والذي أوحينا إليك ــ وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى: أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه! كبر على المشركين ما تدعوهم إليه... وقلْ: آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم » (الشورى ١٣ و١٥). دين نوح وإبراهيم نعرفه من توراة موسى. فالدين الذي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يشرعه للعرب هــو **دين موسى وعيسى معا ديناً واحداً**، وهــذه هي « النصرانية » عينهــا، « الأمة الوسط » بين يهودية موسى ومسيحية عيسى. ودين « النصرانية » هو الذي يعدل به بين أهل الكتاب.

بهذا الدين الإسلامي « النصراني » يتحدى أهل الكتاب والأمّيين العرب الذين لا كتاب لهم: « وقلْ للذين أوتوا الكتاب والأمّيين: أأسلمتم؟ فإنْ أسلموا فقد اهتدوا » (آل عمران ٢٠).

٥ ــ ونعرف سرّ القرآن **من الشريعة** التي ينتهجها: « يريد الله ليبيّن لكــم ويهــديكم سنن الذين من قبلكم » (النساء ٢٥): فليس عنده شريعة جديدة، إنما هو هدايــة إلــى شــريعة قائمة قبله، مع تخفيف لها: « يريد الله أن يخفف عنكم، وخلق الإنسان ضعيفاً » (النساء ٢٧). وهذه الشريعة القائمة التي يدعو إليها هي إقامة التوراة والإنجيل معاً شرعاً واحداً: « قلْ: يــا أهل الكتاب، لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليكم من ربكم. وليزيــدنّ كثيراً منهم ما أُنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً، فلا تأسَ على القوم الكافرين » (المائدة ٧١). فإقامة التوراة والإنجيل شرعاً واحداً هي الشريعة « النصــرانية » مــن دون اليهوديــة، ولا المسيحية. فالقرآن دعوة « نصرانية » بشريعته.

٦ ــ ونعرف سرّ القرآن **من إيمانه**. فهو يأمر جماعته: « قولوا: آمنا بالله وما أنــزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط؛ **وما أوتي موسى وعيســى**؛ وما أوتي النبيون من ربهم: لا نفرّق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون » (البقرة ١٣٦). وهــو يأمر النبي نفسه: « قلْ: آمنا بالله وما أُنزل علينا، وما أُنزل على إبراهيم وإسماعيل وإســحاق ويعقوب والأسباط؛ وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم: لا نفرّق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون » (آل عمران ٨٤). فالأنبياء قبل التوراة حفظت لنا التوراة ذكرهم؛

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

والأنبيـــاء بعد التوراة، كلهم على شرع موسى. **فالإيمـــان محصور « بمـــا أوتـــي موســـى وعيسى »**. والإيمان بموسى وعيسى إيماناً واحداً هو « النصرانية » عينها، من دون اليهودية التي تكفر بعيسى والإنجيل، ومن دون المسيحية التي تؤمن بموسى، ولكن لا تقـــيم إلاَّ شـــرع الإنجيل. فإيمـــان القرآن بموسى وعيسى إيمـــاناً واحداً، وديناً واحداً هو الإســـلام القرآنـــي « النصراني ». وهذا هو الإسلام الذي لا دين غيره، في إيمانه: « ومَن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين » (آل عمران ٨٥).

٧ ــ ونعرف سرّ القرآن **من عقيدته في المسيح:** « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم، ولا تقولوا على الله إلاَّ الحق: إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مـــريم وروح منه » (النساء ١٧٠). يقول لليهود بأن عيسى هو المسيح، رسول الله، فلا إسلام بـــدون الإيمان به. ويقول لوفد نجران المسيحي: « لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلاَّ الحق ». أجل المسيح هـــو « كلمة الله وروح منه » تعالى، لكن هذا لا يجعله إلهاً، لأن « **كلمته** » هـــو « روح منه » تعالى أي ملاك « من المقربين » (آل عمـــران ٤٥)؛ لـــذلك « لـــن يســـتنكف المسيح أن يكون عبداً لله، ولا الملائكة المقربون » (النساء ١٧١). فعقيدته « أمة وسط » بين اليهودية التي تكفر بالمسيح، وبين المسيحية التي تجعله « ابن الله » (براءة ٣١). وهـــذه هـــي « نصرانية » القرآن كما توارثها النصارى من بني إسرائيل طـــوال « عهـــد الفتـــرة » بـــين الإنجيل والقرآن.

وهكذا يثبت لنا بإيجاز أن القرآن في **أركانه السبعة:** في عقيدته، وفي شريعته، وفـــي دينه، وفي إيمانه، وفي إسلامه، وفي أمته، وفي جهاده، هو « **دعوة نصرانية** ». إن الإســـلام في القرآن هو « النصرانية » عينها قام محمد بالدعوة لها باسم الإسلام مـــع « النصـــارى » أنفسهم، بصفة كونه « **أول المسلمين** » (الأنعام ١٦٣؛ الزمر ١٢) أي « رئيس النصـــارى » في الحجاز والجزيرة؛ فقد « أمرت أن أكون من المسلمين » (النمل ٩١)، ثـــم « أمـــرت لأن أكون أول المسلمين » (الزمر ١٢)؛ « بذلك أُمرتُ، وأنا أول المسلمين » (الأنعام ١٦٣).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فالإسلام هو « النصرانية » عينها، تلك « الأمة الوسط » بين اليهودية والمسيحية، التي دعت للإسلام « النصراني » بزعامة النبي العربي؛ ثم ذابت فيه: « ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » (المائدة ٨٦).

*

خاتمة:

الإسلام دين إنجيلي مبني على الشهادة لله وللمسيح

وهكذا فالإسلام ينتسب انتساباً مطلقاً إلى الإنجيل وأهله.

والقرآن دعوة « نصرانية »، في « أمة وسط » بين اليهودية والمسيحية، كما شاهدنا في أركانه السبعة.

وهذا الواقع المشهود في القرآن يجعل الإسلام **ديناً إنجيلياً** مبنيّاً على الشهادة لله وللمسيح، « رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » (النساء ١٧٠). فالسيد المسيح هو « عيسى ابن مريم »؛ وهو أيضاً في ذاته السامية « كلمته وروح منه » تعالى.

وبما أن الإسلام القرآني دين إنجيلي، على طريقة « النصرانية »، يدعو إلى الله والمسيح، ويجاهد في سبيل الله والمسيح، انصرف عنه المشركون واليهود، وتحزبوا وتآمروا عليه، « ومكروا ومكر الله بهم والله خير الماكرين »؛ ووقف المسيحيون العرب منه موقف الحياد الإيجابي، كما ظهر من موقف وفد نجران.

والقرآن يعتبر الإنجيل نفسه « **هدى وموعظة للمتقين** » (المائدة ٤٩) أيْ لجماعة محمد « الذين آمنوا » من العرب. أجل أن التوراة مثل الإنجيل « فيها هدى ونور »، لكن « يحكم بها النبيون الذين أسلموا، والربانيون والأحبار بما استُحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء » (المائدة ٤٧). أما الإنجيل فهو وحده « هدى وموعظة للمتقين » من العرب.

فالإسلام دين إنجيلي مبني على الشهادة لله وللمسيح.

***

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفصل الخامس

جدال القرآن لليهود في المسيح وأمه

توطئة : يذكر القرآن آخرة المسيح بأسلوبيْن.

بحث أول : أسلوب التصريح والتعليم.

بحث ثانٍ : أسلوب جدال اليهود.

خاتمة : لا ينكر القرآن قتل المسيح وصلبه، بل يؤيدهما.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

توطئة

يذكر القرآن آخرة المسيح بأسلوبيْن

كانت آخرة المسيح على الأرض موضوع بحث وجدل بين أهل الكتاب، من يهود ونصارى ومسيحيين. ويأتي القرآن على ذكر آخرة المسيح بأسلوبيْن.

ففي تعليمه العادي يصرّح مراراً بموت المسيح وبعثه ورفعه حيّاً إلى السماء، كما هو الحال عند أهل الإنجيل كلهم.

لكنه في جدال اليهود في المسيح وأمه يأتي ظاهره على غير باطنه، فيظهر أنه يعلن « وما قتلوه وما صلبوه، ولكن شُبّه لهم ». وإذا تدبّرنا هذا الردّ على اليهود رأينا أنه إثبات في معرض النفي، لتسفيه تبجّحهم بقتله وصلبه، كما يقول عنهم في موسى وعيسى: « ففريقاً كذبتم، وفريقاً تقتلون ».

وعقيدة كتاب منزل لا تؤخذ من آية مبتورة عن نصها، بل من مجموع الشهادات في الموضوع الواحد. فتعارض قوله « وما قتلوه وما صلبوه » على ظاهره، يجب أن يفهم من قرائن النص، وأن يفسّر على ضوء جميع شهادات القرآن في آخرة المسيح، لاختلاف الأسلوب بين التعليم وبين الجدال.

***

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بحث أول

أسلوب القرآن بتعليمه في آخرة المسيح

يذكر القرآن آخرة المسيح، بتعليمه، في ثلاثة مواطن. وكلها تؤكد وتصرّح بموت المسيح وبعثه ورفعه حيّاً إلى الله، في السماء.

النص الأول: في سورة مريم:

« والسلام عليّ يوم وُلدت ويوم أموت ويوم أبعث حيّاً » (٣٣)

أجمعت الروايات على أن سورة مريم كانت دستور إيمان المسلمين الذين هاجروا من مكة إلى الحبشة، يستجيرون بالنجاشي من أذى قومهم[1]. فشهادة كتابهم للمسيح وأمه تشفع لهم عند ملك الأحباش المسيحيين.

فهذه الشهادة هي إذن إيمان القرآن الجوهري الصحيح في آخرة المسيح. وهي شهادة لا جدال فيها. وما أعقبها من جدال (٣٤ ـ ٤٠) هو مقحم على السورة من زمن آخر في التنزيل، كما يشهد بذلك اختلاف الروي.

وتأتي الشهادة على لسان المسيح نفسه، ونطقه منذ مولده. فمعجزة نطقه في مولده **برهان على صحة نبوته في موته وبعثه حيّاً**. فلا بدَّ أن تتحقق النبوة.

والشهادة تتعلق بآخرة المسيح **عند مجيئه الأول**، لا بآخرة المسيح عند رجعته ليوم الدين، كما يتحذلق بعضهم زوراً وتضليلاً. يشهد بذلك مقارنتها مع آخرة يحيى بن زكريا: « وسلام عليه يوم وُلد ويوم يموت ويوم يبعث حيّاً » (١٤). فلا أحد يشك في موت يحيى، وفي بعثه يوم البعث. أما القرآن

(١) جاء في (الإتقان ١: ١٩): « ينبغي أن يمثّل لما حمل إلى الحبشة بسورة مريم، فقد صحّ أن جعفر بن أبي طالب قرأها على النجاشي. أخرجه أحمد في مسنده ».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فهو صريح بأن بعث المسيح يعقب حالاً موته (آل عمران ٥٥؛ المائدة ١٢٠). ولاحظ الفارق بين يحيى وعيسى في سلام الله؛ يقول في يحيى « وسلام عليه » على النكرة؛ بينما يقول في المسيح: « والسلام عليَّ » على المعرفة والشمول، فسلام الله كله يشمل المسيح في مولده وفي موته وفي بعثه ورفعه حيّاً إلى الله في السماء. وهذا التكريم الإلهي لا يقوله بحق أحد من أئمة الرسل مثل إبراهيم وموسى ومحمد: إنه ميّزة المسيح على العالمين والمرسلين.

فالقرآن في دستور إيمانه بالمسيح يشهد بموته وبعثه ورفعه حيّاً. فهذه هي الشهادة الأساسية التي يجب أن يُرجع إليها في تعليمه كله، لأنها دستور إيمان مرسل إلى مليك مسيحي[1]: « فقد صحَّ أن جعفر بن أبي طالب قرأها على النجاشي » (الإتقان ١: ١٩).

*

---

(١) نستغرب، في تعليق الأستاذ دروزة على آيات مريم (١٦ ــ ٣٦)، قوله: « والثابت تاريخياً أن غالبة نصارى بلاد الشام ومصر والعراق من اليعقوبيين والنسطوريين الذين كانوا يعتقدون بأن المسيح ذو طبيعة واحدة مزيجة من الناسوتية واللاهوتية، وأنه غير متساو لذلك مع الله الآب، أو أنه إنسان حلّ فيه اللاهوت فصار هيكلاً لله، وأنه لا يجوز بسبب ذلك أن تسمّى مريم أماً لله الخ. وكانوا موضع اضطهاد ومطاردة من السلطات الرومانية التي كانت صاحبة الحكم وكانت تدين بعقيدة ثنائية الطبيعة في المسيح، فكان التقارب بين ما يقرره القرآن وما يعتقده غالب النصارى في هذه البلاد. ممّا سهّل عليهم التحوّل إلى الإسلام » (التفسير الحديث. الجزء الثالث. ص ٤٧).

إذا كان علم العلاّمة الأستاذ دروزة يصل إلى هذا الجهل في الفرق المسيحية، فكيف حال غيره! إنَّ اليعقوبيين وحدهم « كانوا يعتقدون بأن المسيح ذو طبيعة واحدة مزيجة من الناسوتية واللاهوتية »، بخلاف النسطورية التي تعتقد أن في المسيح طبيعتيْن وأقنوميْن؛ والقول « بأنه لا يجوز بسبب ذلك أن تسمى مريم أماً لله » هو قول النسطورية، لا قول اليعقوبية. وليست عقيدة اليعقوبية هي التي سهّلت على أهلها دخول الإسلام، لأن تكفير القرآن « لقد كفر الذين قالوا: إنَّ الله هو المسيح ابن مريم » (المائدة ١٩ و٧٥) ردّ على اليعقوبية « حيث جعلوه إلهاً وهم اليعقوبية، فرقة من النصارى » (الجلالان).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

النص الثاني: في سورة آل عمران

« ومكروا ومكر الله بهم والله خير الماكرين. إذ قال الله، **يـــا عيســـى إنـــي متوفيــك ورافعك إليّ** ومطهّرك من الذين كفروا، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفــروا إلـــى يــوم القيامة. ثم إليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون » (٥٤ ــ ٥٥).

هذا النص من قصص آل عمران الذي ينتهي بقصة المسيح (آل عمران ٣٣ ــ ٦٤). وقد أجمع الرّواة على أنه الفصل الأول من حوار القرآن لوفد نجران. لكن بسبب مجيئـــه فـــي سورة آل عمران، ظهر بعض الخلاف في زمن زيارة وفد نجران للنبي العربي. فظنّ بعضهم أنه وقع بعد نصر بدر؛ ولكن ظروف السيرة لا تشير بشيء من ذلك، والمتــواتر أنّ محمــداً كتب عهداً لوفد نجران شهد عليه أبو سفيان، فيكون ذلك دليلاً على أن وفد نجران إلى النبـــي كان في عام الوفود سنة ٦٣١ م[١].

وحوار وفد نجران قد وزعوه على سور آل عمران والنساء والمائدة؛ وهذا ما أوهــم المفسرين في تعدّد مواقف القرآن من المسيحية، إنما هو **موقف واحد مع وفد نجران وحـــده.** وهذا ما يحدّد معناه ومداه.

فقصص (آل عمران ٣٣ ــ ٦٤) هو **الفصل الأول** من حوار وفد نجران. وهذا الواقع التاريخي يجعل قصص (آل عمران ٣٣ ــ ٦٤) **إعلان عقيدة القرآن** فـــي المســـيح، لأعلـــى سلطة مسيحية في الجزيرة.

وهذا الإعلان عن إيمان القرآن يشهد بصراحة مطلقة أنَّ الله تعالى يخاطـــب عيســـى، عند مكر اليهود به، بقوله: « **اني متوفيك ورافعك إليّ** ». فإذا نجح

---

(١) قابل دروزة: التفسير الحديث. الجزء الثامن، ص ٧٠ ــ ٧١.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

مكر اليهود في وفاة عيسى؛ فقد نجح أكثر مكر الله بهم، « والله خير الماكرين »، برفع عيسى ـ بعد موته وبعثه ـ حيّاً إلى السماء.

فالتصريح في شهادة القرآن بموت المسيح قائم صريح.

قال بعضهم: إن الوفاة هنا لا تعني الموت، بل سِنّة الكرى كأن الله رفع عيسى إليه في حالة النوم. وفاتهم أن القرآن يستخدم الوفاة على الدوام بمعنى الموت نحو خمس وعشرين مرة، إلاَّ في موضعيْن لقرينة لفظية تحوّل الوفاة من المعنى الحقيقي إلى المجازي (٣٩: ٤٢؛ ٦: ٦٠). وليس في قوله « إني متوفيك ورافعك إليَّ » من قرينة تحوّل معنى الوفاة هنا من الحقيقة إلى المجاز. فالنص صريح بالشهادة بموت المسيح ورفعه حيّاَ.

وتحذلق آخرون فقالوا: إن خطاب الله لعيسى هنا لا يعني وفاته في آخرته على الأرض عند ظهوره الأول، بل يقصد وفاته وبعثه ورفعه حيّاً عند رجعته ليوم الدين. وفات هؤلاء المتحذلقين **أن الخطاب يأتي ردّاً على مكر اليهود لقتل المسيح**، (آل عمران ٥٤) فكان مكر الله بهم خيراً من مكرهم بالمسيح، إذ توفاه وبعثه ورفعه حيّاً إليه.

وتحذلق آخرون فقالوا: القرآن يذكر الوفاة، ولا يذكر القتل ولا الصلب. وفاتهم أن تقريره **لمكر اليهود بالمسيح** (٤٥) لقتله، هو شهادة وبرهان على صريح قولهم: « إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم » (النساء ١٥٥).

فصراحة النص وقرائنه تجعله **شهادة رسمية لسلطة مسيحية** بأن اليهود مكروا بالمسيح فقتلوه وصلبوه، فكان مكر الله بهم خيراً من مكرهم، إذْ بعث عيسى حيّاً، بعد قتله وصلبه، ورفعه إليه.

فالشهادة بموت المسيح، حين مكر اليهود به، **شهادة بقتله؛** والشهادة بفضل مكر الله على مكر اليهود في قتل المسيح شهادة بأنه بعثه ورفعه حيّاً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

إليه. فهي شهادة تاريخ، ودستور إيمان. وهذا هو التفسير المروي عن ابن عباس ترجمان القرآن: « إن الله أماته ثم رفعه إليه لتكريمه[1] ».

*

النص الثالث: في سورة المائدة

« وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم؛ فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم » (١٢٠).

هذا التصريح من فصل في محاسبة الرسل والمسيح في يوم الدين (١١٢ ــ ١٢٢)، « يوم يجمع الله الرسل » (١١٢)، « قال الله: هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم » (١٢٢). فالتصدير والاختتام بذكر اليوم الموعود يجعل الفصل وحدة فنية، والمشهد من يوم الدين. لذلك فالتصريح فيه عن آخرة المسيح هو **التصريح الأخير والنهائي**. وهو قول الحق، في موقف الحق، بعيداً عن ملابسات الخلق والتاريخ، في مطلق الحق والحقيقة.

ينهي محاكمة الرسل بآية واحدة (١١٢) حيث يفوض الرسل أمرهم إلى الله تفويضاً. ويقتصر المشهد كله على محاسبة المسيح، وهذا ما يرفعه على المرسلين أجمعين. ويزيد في رفع المسيح خطاب الله له، بتذكير المسيح بالميزات التي انفرد بها على العالمين والمرسلين، خصوصاً بمعجزة المائدة التي اكتسحت إيمان الحواريين والعالمين به. حينئذٍ، بعد تلكما المقدمتيْن، يستجوب الله عيسى في مقالة « الثلاثة »: « أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهيْن من دون الله؟ » (١١٩). فيجيب المسيح بأدب جم معجز مستنكراً المقالة. ويُقسم جواب المسيح ثلاثة أقسام. في الأول، بثلاثة تصاريح يشهد بأنه في دعوته لم يعلّم إلاّ التوحيد

---

(١) دروزة: التفسير الحديث. الجزء الثامن، ص ١٠٨.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

« ١١٩ ــ ١٢٠). وفي الثاني يشهد بأنه على حياته كان شهيداً على أمته، أمَّا بعد وفاته فكان الله نفسه الرقيب عليهم؛ **وهذا السياق يدل على أن موت المسيح كان في آخر حياته ودعوته.** وفي القسم الثالث يقوم بالشفاعة لأمته (١٢١)؛ وهذا أيضاً دور فريد ينفرد به المسيح وحده في يوم الدين.

فتصريح المسيح في يوم الدين: « وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم؛ فلمَّا توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم » يعني:

أولاً إن الوفاة، في لغته، عكس الحياة: « ما دمتُ فيهم ».

ثانياً إن وفاة المسيح بالموت الحقيقي تمت في آخر حياته ودعوته.

ثالثاً إن المسيح أجمل كل الظروف استشهاده بقوله: « فلمَّا توفيتني ». وهذه الظروف يجب استجماعها من القرآن كله. فلا يعني الاكتفاء بذكر الوفاة أن القرآن ينكر القتل والصلب الذي يشهد به أهل الكتاب كلهم، ويتبجّح به اليهود!

*

وهكذا ففي **تعليم القرآن**، بعيداً عن أجزاء الجدال، في إعلان الحقيقة التاريخية والإيمانية، **يشهد القرآن بموت المسيح وبعثه ورفعه حيّاً إلى السماء**، في ثلاث سور.

وبما أن (آل عمران ٥٥) تقرن موت المسيح ورفعه حيّاً إلى الله، **بمكر اليهود لقتله**، فهذا يعني أن القرآن لا يُنكر على اليهود قولهم: « إنَّا قتلنا المسيح » (النساء ١٥٦). لكنه يعلن لهم **أن مكر الله بهم كان أكبر من مكرهم بالمسيح**، لأنهم بعد أن قتلوا المسيح صلباً، بعثه هو حيّاً ورفعه إليه. فتفشيل موآمرتهم بقتل المسيح عاد عليهم بالعار والمذلة، لأن قضاء الله كان « إني متوفيك ورافعك إليّ »؛ فكأنهم ما قتلوه وما صلبوه، القتل والصلب الذي يتوهمون،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بالقضاء المبرم عليه. بل هو حي عند الله يشهد رفعة المؤمنين بالمسيح على مذلة الكـافرين، إلى يوم الدين (آل عمران ٥٥).

***

بحث ثان

أسلوب جدال اليهود في آخرة المسيح

ذاك هو تعليم القرآن الحق. وعلى ضوئه يجب فهم جدال القرآن لليهـود فـي آخـرة المسيح وفي تبجّحهم: « إنا قتلنا المسيح! »

إن سورة (النساء) هي السلسلة الثالثة، بعد (البقرة وآل عمران)، في جـدال اليهـود، والرد المتواصل على شبهاتهم.

وفي سورة (النساء) فصل (١٤٩ ـ ١٦١) في **تكفير اليهـود علـى مقـالاتهم: ١)** تكفيرهم لأنهم يفرّقون بين رسل الله وكتبه أيْ يكفرون بالمسيح والإنجيل (١٤٩ ـ ١٥١)؛ ٢) تكفيرهم لطلبهم: « **أن تنزّل عليهم كتاباً من السماء** » (١٥٢ ـ ١٥٣)؛ ٣) تكفيرهم لكفـرهم بآيات الله في الكتاب وقتلهم الأنبياء بغير حق (١٥٤)؛ ٤) **تكفيرهم لكفرهم بمـريم والمسـيح** (١٥٥ ـ ١٥٧).

ففي هذا **التكفير الرابع** يأتي قوله:

« وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً؛ وقولهم: إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مـريم رسول الله! ـ **وما قتلوه! وما صلبوه!** ولكن شبّه لهم؛ وإن الذين

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

اختلفوا فيه لفي شك منه؛ ما لهم به من علم إلاَّ اتباع الظن! **وما قتلوه يقيناً، بل رفعه الله إليه**. وكان الله عزيزاً حكيماً » (١٥٥ ـ ١٥٧).

فالموقف موقف جدال مع اليهود وتكفير لهم بمقالتهم في عيسى وأمه. وهذا الموقف الجدلي في الردّ عليهم يجب أن يفهم على ضوء تعليمه الصريح المتواتر في مكة (مريم) والمدينة (آل عمران والمائدة).

١ ـ فاليهود يتبجّحون: « إنا قتلنا المسيح! » والقرآن يسمّي هذا القول منهم كفراً كقولهم في مريم. **فما معنى قولهم؟** لأنه من معنى قولهم يفهم معنى ردّ القرآن عليهم. قتْل المسيح حدث تاريخي يشهد به اليهود والنصارى والمسيحيون منذ ستماية سنة! فلا يعقل أنْ يأتي القرآن لينكر على الجميع حدثاً تاريخياً صار محور التاريخ! ولا يعقل أنْ ينكر القرآن تعلميه المتواتر في قتل المسيح بمكر من اليهود (آل عمران ١٥٥). فمعنى قول اليهود تبجّحهم بالقضاء على المسيح، فلا يتعب النبي العربي بالدعوة له!

فكان **ردّ القرآن عليهم**، لا انكاراً للحدث التاريخي، بل استنكاراً للمعنى الذي يستخلصونه منه: لقد « شبّه لهم » أنهم قتلوه وصلبوه، أي ظنوا ذلك، وخُيّل إليهم أنهم قضوا عليه؛ ولكن « ما قتلوه وما صلبوه »، أي « ما قتلوه **يقيناً**، بل رفعه الله إليه ». ففي بعث المسيح حيّاً ورفعه إلى الله في السماء، **كأنهم ما قتلوه وما صلبوه!** فالمسيح الحي عند الله في السماء يقضي على تبجّحهم وكفرهم!

فجواب القرآن عليهم **أسلوب بياني مشهور**: الإثبات في معرض النفي، وهو توكيد أفحم للخصم. هذا ما يقضي به سياق النص في معرض تكفير اليهود على مقالاتهم. وقول القرآن شبيه بمقالة بولس الرسول: « المسيح يسوع مات؛ بل بالحري قام وهو عن يمين الله ليشفع فينا » (الرسالة إلى الرومانيين ٨: ٣٤).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

٢ ــ أما **قصّة الشبه** أي ألقى الله على أحدهم شبه عيسى فظنوه إياه، فهي ناتجة عن تحريف مقصود لحرف القرآن: فالقرآن لا يقول: « شُبّه له » أيْ لعيسى؛ بل « شُبّه لهم » أيْ لليهود. ولا يعني التعبير « شُبّه لهم » أنّ عيسى شُبّه لهم، بل أن الأمر شُبّه لهم، أيْ ظنوا ذلك. قال الزمخشري: « شُبّه، مسندٌ إلى ماذا؟ إنْ جعلته مسنداً إلى المسيح، فالمسيح مشبّهٌ به، وليس بمشبّه؛ وإنْ أسندته إلى المقتول (بدل عيسى) فالمقتول لم يجر له ذكر! قلتُ هو مسند إلى الجار والمجرور (لهم)، كقولك: **(خيّل إليهم)** كأنه قيل: وقع لهم التشبيه. ويجوز أن يسند إلى ضمير المقتول ». فرأي الزمخشري، أفضل مفسّر لإعجاز القرآن وبيانه، أن التعبير (شبّه لهم) يعني (خُيّل إليهم). ولكنه يُسلّم تسليماً لا تقرّه اللغة، ولا البيان، بإسناد التشبيه إلى ضمير المقتول، استدراكاً لمقالة العامة.

والرازي (على آل عمران ٥٥) يقضي « بإشكالاته » الستة قضاءً مبرماً على قصة الشبه. ومنها قوله: « والإشكال الخامس أنّ النصارى على كثرتهم في مشارق الأرض ومغاربها، وشدة محبتهم للمسيح وغلوهم في أمره، أخبروا أنهم **شاهدوه مقتولاً مصلوباً**: فلو أنكرنا ذلك، كان طعناً فيما ثبت بالتواتر؛ **والطعن في التواتر يوجب الطعن في نبوة محمد وعيسى وسائر الأنبياء** ».

٣ ــ وأدهى ما في الأمر أن آية (النساء ١٥٦)، على ظاهرها، **تتعارض مع القرآن كله**، في تعليمه الصريح بموت المسيح بمكر ومكيدة من اليهود. ولا يصحّ أن يكون في القرآن تناقض في شأن جلل ــ والنسخ يقع في الأمر، لا في الخبر ــ ومن مبادئ التفسير القويم في كل الآداب، أن يفسّر **الجزء على ضوء الكل**، لا الكل على ضوء الجزء. فلا يصح تفسير القرآن كله في آخرة المسيح، بآية (النساء ١٥٦) على ظاهرها؛ بل يجب تفسيرها بمجموع تعليم القرآن في آخرة المسيح. وهذا الموقف الحرج المتعارض، مع سياق النص

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

التكفيري في آية (النساء ١٥٦)، يرغم على فهم ظاهر النفي، بأنه أسلوب بياني هو الإثبات في معرض النفي. وهكذا ينسجم القرآن كله في تعلميه.

فلا يتعارض القرآن مع نفسه!

ولا يتعارض القرآن مع الإنجيل!

ولا يتعارض القرآن مع التاريخ الذي ينادي به اليهود والنصارى معاً!

٤ ــ أخيراً، بما أن القرآن دعوة « نصرانية » ــ كما أبنَّا في كتابنا السابق ــ فقد يكون موقف القرآن في الرد على اليهود، موقف النصارى من بني إسرائيل أنفسهم، في الرد على بني قومهم. كان هؤلاء « النصارى » يقولون بأن المسيح، كلمة الله، فارق عيسى ابن مريم قبل استشهاده صلباً؛ وبعد قتل عيسى ابن مريم رجع المسيح كلمة الله إليه، فبعث عيسى حيّاً وارتفع إلى السماء. فيكون ردّ القرآن على اليهود **أنهم قتلوا عيسى، وما قتلوا المسيح نفسه كلمة الله.** قد يكون ذلك معنى « **شبّه لهم** » أنهم قتلوا المسيح، وهم لم يقتلوا إلاَّ عيسى ابن مريم.

فعلى الحالتيْن، وفي التفسيريْن اللذيْن لا ثالث لهما، لا ينكر القرآن قتل عيسى ابن مريم، ولا صلبه، كما يوهمون ويتوهمون. فالقرآن براء من ذلك.

٥ ــ ويختم ذكر قتل المسيح وصلبه، بقوله: « وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنَنَّ به **قبل موته**، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً » (١٥٨). أي ما من أحد من أهل الكتاب إلاّ ليؤمننَّ بعيسى « **قبل موته** ». فالضمير في (موته) قد يعود إمّا إلى عيسى، وإما إلى كل كتابي. ولا يُعقل أن يعود إلى كتابي، فيكون المعنى أن كل كتابي، حتى اليهودي ــ والخطاب كله في اليهود ــ يؤمن « قبل موته » بعيسى. وواقع الحال التاريخي الدائم المتواصل غير ذلك، فينقض الواقع القرآن ــ حاشا وكلاّ! فالضمير في (موته) يعود

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

للمسيح: وهكذا فالآية (١٥٨) تؤكد معنى الآية (١٥٧) في قتل المسيح وصلبه. فيكون معنى الآية (١٥٨) أن اليهودي قد يؤمن بالمسيح لولا قصة الصلب! وهذا هو موقف بولس الرسول في الردّ على شك اليهود في المسيح بسبب صلبه. فلا يصحّ أن يكون صلب المسيح شكاً لأحد، لأنّ الله ببعثه حيّاً ورفعه إلى السماء، قد حوّل عار الصليب إلى مجد يرفع المسيح على العالمين! « ومكروا ومكر الله بهم والله خير الماكرين ».

وفي سورة (البقرة ٨٧) آية تدل على تصريح القرآن بقتل المسيح: « ولقد آتينا موسى الكتاب، وقفينا من بعده بالرسل، وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس: أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم، ففريقاً كذبتم، **وفريقاً تقتلون** ». فالتكذيب يقع على فريق موسى والرسل من بعده الذين هم كلهم على شريعته؛ والقتل يقع علىعيسى ابن مريم المذكور وحده في الفريق المقتول. وهذا يؤيد أنَّ القرآن لا ينكر قتل المسيح.

وفي سورة (آل عمران ١٨٣) أيضاً شهادة أصرح على قتل المسيح: « قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار. قلْ: قد جاءكم رسل قبلي بالبينات، وبالذي قلتم، فلِمَ قتلتموهم إنْ كنتم صادقين ». إنّ الرسل الذين جاؤوا بالبينات هم موسى ومَن بعده على شريعته؛ ومن جاء بالقربان وقتلوه فهو المسيح؛ وهذا القربان هو المائدة النازلة على المسيح وحواريه من السماء.

فتلك الآيات الثلاث (النساء ١٥٨، البقرة ٨٧؛ آل عمران ١٨٣) إشارات واضحة إلى شهادة القرآن بقتل المسيح.

***

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

خاتمة:

إنَّ القرآن لا ينكر قتل المسيح وصلبه، بل يؤيده

هذه هي النتيجة الحاسمة التي تقضي بها ١) تصاريحه في تعليمه ٢) وإشـــاراته فـــي جداله لليهود، مع أسلوبه في جدال اليهود وكفرهم « وقولهم: إنا قتلنا المسيح ».

فمجموع تعليم القرآن يشهد بقتل المسيح وصلبه. وما ظاهر آيـــة (النســاء ١٥٦) إلاَّ أسلوب بياني، لإثبات قتل المسيح وصلبه، في معرض النفي لمقالة اليهود. فــالقرآن لا ينكــر الحدث التاريخي، بل **يستنكر معناه في تبجح اليهود به.**

فآن لأهل القرآن ولأهل الإنجيل أن يفهموا جميعاً أن لا تعارض بين الإنجيل والقــرآن في صلب المسيح.

فليس الموضوع بعقبة على الإطلاق في الحوار الصحيح بـــين الإســـلام والمســـيحية. والاستشهاد هو مجد الرسل والأنبياء في سبيل دعوتهم لله. واستشهاد المسيح الذي سما علـــى كل استشهاد كان أفضل شهادة على صحة دعوته؛ كما كان بعثه ورفعه حيّاً إلى السماء أفضل شهادة على سرّ شخصيته. فخلوده وحده حيّاً مع الله في السماء يرفعه على المخلوقين أجمعين.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفصل السادس

جدال القرآن لوفد نجران في المسيح وأمه

توطئة : جدال وفد نجران موزّع على سور.

بحث أوّل : الفصل الأول من جدال وفد نجران (آل عمران).

بحث ثانٍ : الفصل الثاني من جدال وفد نجران (النساء).

بحث ثالث : الفصل الثالث من جدال وفد نجران (المائدة).

خاتمة : جدال القرآن لوفد نجران ليس جدال المسيحية الرسمية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

توطئة:

جدال وفد نجران موزَّعٌ على سور

في فاتحة آل عمران (١ ـــ ٦٤) يرى المفسرون أنها نزلت بمناسبة قدوم وفد نجـــران المسيحي على النبي العربي في المدينة. ووجود قصص (آل عمران ٣٣ ـــ ٦٤) في سورة آل عمران حمل بعضهم على القول بأن زيارة المناظرة تمّت بعد نصر بدر، أو كان لهم زيارتـــان الأولى بعد نصر بدر، والأخرى في عام الوفود. لكنّ ظروف السيرة النبوية تجزم بأن زيـــارة الوفد المسيحي النجراني للنبي لم تقعْ إلاَّ في عام الوفود، لأنه بعد نصر بدر لم يـــزل محمـــد والإسلام تحت رحمة المشركين والمنافقين واليهود، فليس من شيء يقلق أهل نجران ويحملهم على التفاوض مع الداعية القرشي.

ووجود قصص (آل عمران ٣٣ ـــ ٦٤) في السورة **مقحم عليها** من زمن عام الوفود، والإقحام ظاهر، لأن السورة كلها في جدال اليهود، ولا أثر من القرآن والحديث والسيرة يشير إلى جدال مع المسيحيين، ما بين واقعتيْ بدر وأُحد المذكورتين في السورة. وما كانت حكمـــة القرآن والنبي، في ذلك الزمن العصيب، لتوسع جبهات الجدال والقتال؛ يكفيـــه مـــن الخـــارج هجمات مشركي مكة، ومن الداخل مؤامرات اليهود والمنافقين.

فوجود قصص (آل عمران ٣٣ ـــ ٦٤) في هذه السورة برهان على أن جدال القـــرآن لوفد نجران **قد وزّع، عند جمع القرآن، على سور** (آل عمران والنساء والمائـــدة)، ليـــوهم أن جدال القرآن للمسيحية قد استغرق العهد المدني كله، مثل جدال القرآن لليهودية. وقـــد قضـــت بذلك ظروف الفتح

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الإسلامي للديار المسيحية. لكن الواقع القرآني والحياتي والتاريخي ينقض ذلك. فجدال المسيحية في سورتيْ (آل عمران والنساء) اللتيْن هم سلسلتان من جدال اليهود، يظهر **مقحماً على السورتيْن**. ووحدة **موضوع الجدال** في (آل عمران والنساء والمائدة) مع المسيحية اليعقوبية الممثلة بوفد نجران تقطع بأنه كله من زمن سورة المائدة، ومن جدال وفد نجران في عام الوفود ٦٣١ م.

وهكذا يتضح جليّاً أنَّ جدال القرآن للمسيحية **لم يظهرْ إلاَّ في آخر التنزيل والسيرة. فقد ظلت المسيحية على الحياد** في صراع القرآن مع المشركين، وفي صراعه بين اليهود والنصارى من بني إسرائيل، بحسب تصريحه « إن هذا القرآن يقصُّ على بني إسرائيل (من يهود ونصارى) أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل ٧٦)، حتى غزوة تبوك، آخر غزوات النبي.

كانت غزوة تبوك الناجحة، **سبب زيارة وفد نجران** للنبي وموادعته على الجزية. فبعد الفتح الأعظم لمكة، دان الحجاز كله لمحمد والإسلام. حينئذٍ فكر بفرض الإسلام على شمال الجزيرة العربية وعلى يمنها. فكانت غزة تبوك. وكان عام الوفود الذي سارع الناس فيه لمبايعة النبي. فإخضاع شمالي الجزيرة للإسلام، والمبادرة لإخضاع اليمن بسيف خالد، كانا سبب زيارة وفد نجران إلى المدينة لموادعة النبي على الجزية.

وكان وفد نجران **أعظم الوفود وأخطرها شأناً**. كتب دروزة[1]: « وخلاصة ما رواه المفسرون وكتّاب السيرة عن وفد نصارى نجران أنه قدم المدينة في **ستين راكباً**، فيهم أربعة عشر من أشرافهم. وفي هؤلاء ثلاثة هم الرؤساء فيهم،

---

(١) التفسير الحديث. الجزء الثامن، ص ٧٣. وهذه مصادره: « انظرْ تفسير الطبري وابن كثير والخازن والطبرسي وابن هشام ج ٢، ص ٢٠٤ ـ ٢١٦، وطبقات ابن سعد، ج ٢ ص ٥٥ و١١٩، وكتاب الأموال للإمام أبي عبيد بن القاسم، ص ٢٧. وكتاب الخراج للإمام أبي يوسف، ص ٤٠ ».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وهم عبد المسيح أمير القوم **وعاقبهم** وصاحب مشورتهم؛ والأيهم ثمالهم **وصاحب** رحلهم ومجتمعهم؛ وأبو حارثة **أسقفهم** وحبرهم وإمامهم. وقد أنزلهم النبي في **مسجده، وسمح لهم بالصلاة فيه إلى الشرق.**

« وقد ناظروه وجادلوه في **أمر عيسى وألوهيته ونبوته.** وتلا عليهم ما ورد في القرآن عنه. ودعاهم إلى الرجوع عمَّا في عقيدتهم فيه من انحراف. فماروا وكابروا. فعرض عليهم **المباهلة** والملاعنة، حيث يدعو كل فريق منهم أن يلعن اللهُ الكاذب فيهم. فاستمهلوه إلى الغد وتشاورا فيما بينهم. فقال لهم عبد المسيح: لقد عرفتم، والله، أن محمداً مرسل؛ ولقد علمتم أنه لم يلاعن قوم نبيّاً قطّ إلاّ استأصلهم الله؛ فإنْ كنتم أبيتم إلاَّ إلف دينكم، فوادعوا الرجل ولا تلاعنوه. فغدوا على رسول الله وقالوا له: قد رأينا أنْ لا نلاعنك، **وأن نتركك على دينك، ونرجع على ديننا.** وسألوه: ألست تقول إن عيسى **كلمة الله وروح منه**[١]؟ قال: بلى. قالوا: فحسبنا هذا منك.

ثم طلبوا منه أن يكتب لهم **كتاب أمان وعهد.** فكتب لهم كتاباً أعطاهم فيه ذمته. وضمن لهم حريتهم الدينية، وبقاء كل صاحب منصب في منصبه دون تغيير؛ وفرض عليهم ألفي حلة في السنة، وعارية ثلاثين درعاً وثلاثين رمحاً وثلاثين بعيراً وثلاثين فرساً لرجاله، إنْ صار بينهم وبين أهل اليمن قتال في وقت ما.

« وممَّا رُوي أن أبا حارثة (أسقفهم) اعترف لأخ له اسمه كوز بصدق نبوة محمد. فقال له: وما يمنعك منه وأنت تعلم هذا؟ فقال: ما صنع قومنا لنا، شرّفونا وموّلونا وقد أبوا إلاّ مخالفته.

---

(١) والإشارة إلى ذلك ترد في سورة (النساء ١٧٠)، وهذا يؤيد قولنا بأن جدال وفد نجران موزّع على سور.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وشهد على تلك المعاهدة أبو سفيان بن حرب، وغيلان بن عمرو، ومالك بن عوف، والأقرع بن حابس، والمغيرة بن شعبة.

فغاية الوفد كانت إذن استطلاع إيمان محمد بالمسيح وأمه، وهذا ما جاء في قصص آل عمران (٣٣ ـ ٦٤)؛ وقيام معاهدة أمان وعهد معه، وهذا ما تمّ في عهده لأهل نجران. وهذا هو **الفصل الأول** من الجدال. وما سوى ذلك من الأحاديث المروية عن الجدال فهو موضوع؛ مثل الحديث الذي ينقله الأستاذ دروزة وغيره عن أسقفهم أبي حارثة، بأنه اعترف لأخ له بصدق نبوة محمد. وتكفيرات القرآن في سورة (النساء) لعقيدة وفد نجران، لا تشير بذلك. وهي **الفصل الثاني** من جدال وفد نجران. وما ورد في سورة المائدة **هو الفصل الثالث،** في صورة تعليقات على الجدال، بعد سفر الوفد.

وهكذا نجد أن جدال وفد نجران وما أعقبه من تعليقات قرآنية قد وزّع على السور المدنية. وكله من عام الوفود.

فلم يقم من جدال بين الدعوة القرآنية والمسيحية **إلاّ في آخر سنة من الدعوة،** في عام الوفود. فجدال القرآن كله مع المسيحية محصور بمذهب أهل نجران، الذي كان أيضاً مذهب أهل مشارف الشام في شمال الحجاز، أي **مع المسيحية اليعقوبية،** التي كانت **بدعة تجاه المسيحية الرسمية في دولة الروم.**

والنتيجة الحاسمة لهذا الواقع القرآني أنَّ القرآن لم يحاور في المسيحية إلاّ بدعة، **ولم يحاور المسيحية الرسمية على الإطلاق.**

فمن الظلم للحقيقة والقُرآنُ وَالمَسيحيَّة **تعميم جدال القرآن لليعقوبية** على المسيحية جمعاء، وهي اليوم ألف مليون، تجاه بضعة ملايين قليلة. ولكن من نكد الدنيا أن الأزهر الشريف يعيش في جوار تلك المسيحية اليعقوبية، فيتوهم علماؤه أنها المسيحية جمعاء، وأن تكفيرات القرآن للبدعة اليعقوبية

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

تشمل المسيحية جمعاء. وهذا ظلم وجهل. إن القرآن لم يحاور المسيحية الرسمية السائدة من عهده إلى اليوم في العالم كله، على الإطلاق.

فالاعتماد على جدال القرآن لوفد نجران، **في الحوار بين الإسلام والمسيحية**، هو اعتماد خاطئ، وأساس لا صحة له على الإطلاق.

***

بحث أول

الفصل الأوّل من جدال وفد نجران

(آل عمران ٣٣ ــ ٦٤)

جاء في (أسباب النزول) للسيوطي: « أخرج ابن أبي حاتم عن الربيع أن النصارى (أي المسيحيين) أتوا إلى النبي ص فخاصموه في عيسى. فأنزل الله (آلم الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم) إلى بضع وثمانين آية منها. وقال ابن إسحاق: حدثني محمد بن سهل بن أَبي أمامة قال: لما قدم أهل نجران على رسول الله ص يسألونه عن عيسى ابن مريم **نزلت فاتحة آل عمران إلى الثمانين منها**. أخرجه البيهقي في الدلائل ».

وواقع السورة وفاتحتها يشهدان بأنهم واهمون. فالآية (١ ــ ٣٢) مثل الآيات (٦٥ ــ ٨٥) **هي في جدال اليهود**، الذين يميّز عنهم النصارى من بني إسرائيل، ويسميهم « الراسخين في العلم »، يؤمنون بمتشابه القرآن مثل محكمه (٧)، أو « أولي العلم قائماً بالقسط » الذين يشهدون مع الله وملائكته « أنّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الدين عند الله الإسلام (١٨ ـــ ١٩). وخلط القوم بين النصارى والمسيحيين أوقعهم فـــي تلـــك الشبهات.

*

فليس في سورة آل عمران من جدال وفد نجران المسيحي سوى « قصص آل عمران ٣٣ ـــ ٦٤ » الذي أقحموه في جدال القرآن لليهود، في السورة كلها.

يستفتح القصص **باصطفاء آل عمران على العالمين**، بسبب المســيح وأمـــه: « إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم. وآل عمران على العالمين: ذريةً بعضـــها مـــن بعـــض والله سميع عليم » (٣٣ ـــ ٣٤). فالمسيح وأمه خاتمة الذرية المصطفاة علـــى العـــالمين، منـــذ آدم ونوح وإبراهيم، إلى آل عمران. وهذه الفاتحة ترفع المســـيح وأمـــه علـــى العـــالمين وعلـــى المرسلين أجمعين، إذ تجعلهما خاتمة الذرية المصطفاة في البشرية على الناس أجمعين.

١ ـــ ثم يتلو قصة مولد مريم (٣٤ ـــ ٣٧)، ويشيد بعصمة مريم مـــن الخطيئـــة فـــي مولدها: « وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الـــرجيم » (٣٦). قـــال الجـــلالان: « فـــي الحديث: ما من مولود يولد إلاّ مسّه الشيطان حين يولد، فيستهلّ صارخاً، **إلاّ مـــريم وابنهـــا**. رواه الشيخان ».

فالقرآن يفسره الحديث الصحيح يرفع المسيح وأمه على العالمين وعلى أئمة المرسلين أنفسهم، بعصمتهما من مسّ الشيطان حين مولدهما. وهذا ما تسميه المسيحية « العصمة مـــن الخطيئة الأصلية » الموروثة بالولادة عن آدم الخاطئ.

٢ ـــ ثم يتلو قصة مولد يحيى بـــن زكريـــا (٣٨ ـــ ٤١). فيصـــف يحيـــى « ســـيداً وحصوراً (أي بتولاً) ونبيّاً من الصالحين ». ويصف رســـالته ودعوته « مصدّقاً بكلمـــة مـــن الله ». فدعوة يحيى كانت للمسيح بصفة كونه « كلمة الله ».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

٣ ــ قصة مولد المسيح (٤١ ــ ٥٧) تبدأ بإعلان اصطفاء مريم على نساء العالمين؛ ثم بقصة كفالتها في حداثتها (٤١ ــ ٤٢). ونأتي بشارة الملاك، بل الملائكة، لمريم « **بكلمة منه** اسمه المسيح عيسى ابن مريم، وجيهاً في الدنيا والآخرة، ومن المقربين، ويكلّم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين (٤٣ ــ ٤٥).

الله يعلن **شخصية المسيح** منذ مولده: إنه كلمة الله. نلاحظ تركيز القرآن على هذه الصفة التي ترفع المسيح على المرسلين أجمعين. وتؤيدها الصفات التي تليها. ففي شخصيته يكون عيسى وجه الدنيا ووجه الآخرة. وذلك لأنه « من المقربين » (٤٤) أي الملائكة المقربين (قابل النساء ١٧١). فعيسى ابن مريم، مع كونه ابن مريم، هو أيضاً من الملائكة المقربين. وعلى هذا المعنى يفسّر الرازي قوله « إذ أيدتك بروح القدس: فالله خصّه بالروح الطّاهرة النورانية المشرّقة العلوية الخيّرة ». **فالمسيح ملاك في إنسان**. تلك هي **الثنائية** في شخصية السيد المسيح، بحسب القرآن. يؤيد ذلك كونه « كلمة الله » في سرّ ذاته. قال الرازي (على آل عمران ٣٩): « واعلم أنّ كلمة الله هي كلامه، وكلامه على قول أهل السنّة، **صفة قديمة قائمة بذات الله** ». وأضاف (على آل عمران ٤٥): « سُمّي كلمة الله **كأنه صار عين كلمة الله**، الخالقة له بوجود المعجز، أو لأنّه أبان كلمة الله أفضل بيان ». وبرهان هذه الشخصية السماوية هو مولده المعجز من أم لم يمسها بشر (٤٧). وتفسير الرازي « لكلمة الله » قريب من المسيحية.

ورسالته تسمو على كل الرسالات: وحده وُلد على الهدى والنبوة، « يكلّم الناس في المهد وكهلاً، ومن الصالحين » (٤٦). وكلام المسيح في مهده معجزة مزدوجة: وحده نطق في مهده؛ ووحده تنبّأ منذ مهده؛ ومعجزة نطقه برهان معجزة نبؤته. ولن تشوب رسالته شائبة لأنه يكون « من الصالحين ». ومنذ مولده « يعلمه الكتاب والحكمة، والتوراة والإنجيل » (٤٨) **أي الوحي والتنزيل كله**. فليس بعده من تنزيل جديد، إنما « تفصيل الكتاب ». فقد بلغ الوحي،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

في إنجيل المسيح، **قمته وكماله**. فلن يُقال فيه كما في غيره: « وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً » (الاسراء ٨٥).

٤ ــ قيام المسيح برسالته. قامت رسالة المسيح على المعجزة. « إنّه حكى هنا (٤٩) خمسة أنواع من معجزات عيسى » (البيضاوي). نردها إلى أربعة: معجزة ابراء المرضى؛ ومعجزة علم الغيب، غيب المخلوق وغيب الخالق؛ ومعجزة إحياء الموتى؛ ومعجزة الخلق: « إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ». والقرآن لا يستعمل فعل الخلق بحقّ مخلوق على الإطلاق، إلاّ بحق المسيح؛ فهو يرفعه بذلك فوق المخلوق إلى الخالق، ولو قيد ذلك بقوله « بإذن الله ».

وغاية رسالته، تصديق التوراة، مع تحليل بعض أحكامها (٥٠) وإعلان التوحيد الكتابي: « إن الله ربي وربكم، فاعبدوه، هذا صراط مستقيم » (٥١).

٥ ــ آخرة المسيح (٥٢ ــ ٥٥). مكر اليهود بالمسيح لاغتياله، لكن مكر الله بهم كان خيراً، فتوفاه الله ورفعه إليه. وقبل وفاته ورفعه سلَّم حواريه وصحابته الإسلام. **فالإسلام الحقّ الكامل هو من المسيح، وفي المسيح، وللمسيح**. لا إسلام في القرآن سواه. لذلك فإنّ الله « جاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة » (٥٥).

٦ ــ **مصير العالم والتاريخ قائم على الإيمان بالمسيح:** « فأما الذين كفروا (بالمسيح) فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة، وما لهم من ناصرين » (٥٦)؛ وأما الذين آمنوا (بالمسيح) وعملوا الصّالحات فيوفيهم أجورهم، والله لا يحب الظّالمين » (٥٧) ــ وتعبير « الظالمين » كناية متواترة فيه عن اليهود الذين كفروا بالمسيح.

٧ ــ ختام القصص: « ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم » (٥٨).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لا شك أنّ مصدر هذا القصص هو الإنجيل بحسب « المِثْل » الذي عند النصارى من بني إسرائيل كما « شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله » (الأحقاف ١٠). فيكون « **الذكر الحكيم** » كناية عن الإنجيل، لا عن غيره.

*

بعد تلك المناظرة الأولى، وإعلان إيمان القرآن بالمسيح، ظل الفريقان على موقفهما. فتمسك نبي القرآن بالتوحيد المطلق، وتمسك أهل نجران بإلهية المسيح، فكانت **المناظرة الثانية**، حيث تحداهم النبي العربي **بالمباهلة** والملاعنة (٥٩ ــ ٦٤).

أوجز أهل نجران إيمانهم وأسندوه إلى مولد المسيح المعجز. فردّ عليهم ثلاثة ردود؛ وكلها تنطلق من موقف قوة:

الردّ الأول على حجتهم: « إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم: خلقه من تراب، ثم قال له: كن! فيكون. الحقُّ من ربك فلا تكوننّ من الممترين » (٥٩ ــ ٦٠). قال الجلالان، وعليه جميعهم: « إن شأنه الغريب كشأنه في خلق آدم من غير أم ولا أب؛ وهو من تشبيه الغريب بالأغرب، ليكون أقطع للخصم وأوقع في النفس ». وفاتهم جميعاً أن الخلق بداء، وهو عمل الله، لا معجزة فيه، إذْ المعجزة « خرق العادة » كما حدّد السيوطي نفسه. ففي خلق آدم ليس من معجزة، بل المعجزة، في مولد المسيح من أم بتول. فمولده آية له.

الرد الثاني: التحكيم بالمباهلة والملاعنة (٦١). فامتنع عنها أهل نجران.

الرد الثالث: دعوة أهل نجران إلى « كلمة سواء »، كلمة التوحيد الخالص (٦٤)؛ « فإن تولوا، فقولوا: اشهدوا بأنا مسلمون » (٦٤).

ذاك هو الفصل الأوّل من جدال أهل نجران؛ وهو يقتصر على عرض إيمان القرآن بالمسيح وأمّه.

***

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بحث ثانٍ

الفصل الثاني من جدال القرآن لأهل نجران

(النساء ١٧٠ ــ ١٧٢)

سورة النساء، ما بين تشريع وجهاد وكشف عن المنافقين، تؤلف ــ بعد سورتيْ البقرة وآل عمران ــ **السلسلة الثالثة** من جدال اليهود. وفي آخر فصل منها (١٦٢ ــ ١٧٥)، في حملة على المشركين « الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله » (١٦٦)، وعلى اليهود « الذين كفروا وظلموا » (١٦٧)، أقحموا فصلاً صغيراً من جدال وفد نجران في شخصية السيد المسيح (١٧٠ ــ ١٧٢).

وهذا الفصل الصغير كان محور الجدال مع أهل نجران في المسيح. وإنما أقحموه هنا ليشمل جدال القرآن فئات أهل الكتاب كلها، كما شمل فئات العرب كلها. وإقحام الفصل في المسيح ظاهر، لأنّ جداله كله كان ردّاً على المشركين واليهود، لتشكيكهم بتنزيل القرآن (١٦٥).

يقول لوفد نجران: « يا أهل الكتاب **لا تغلوا** في دينكم، ولا تقولوا على الله إلاّ الحق: إنما المسيح عيسى ابن مريم، رسول الله **وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه**؛ فآمنوا بالله ورسله، ولا تقولوا « ثلاثة »! انتهوا، خيراً لكم. إنما الله إله واحد، سبحانه أن يكون له ولد: له ما في السماوات وما في الأرض؛ وكفى بالله وكيلاً. لن يستنكف المسيح أنْ يكون عبداً لله، ولا الملائكة المقربون! ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً » (١٧٠ ــ ١٧١).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

١ ـ نلاحظ أنه في خطابهم مواجهة لا يكفر مسيحي نجران، بل يدعوهم إلى الكف عن « الغلو »: « انتهوا، خيراً لكم ».

ثم يعطي التعريف الكامل بعقيدة القرآن في المسيح: إنه « عيسى ابن مريم »؛ لكنه في ذاته « **كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه** ». **وحرف العقيدة واحد** بين « النصرانية » والإسلام من جهة، وبين المسيحية من جهة أخرى. لكن **الاختلاف كان على التأويل**.

فالتعريف صريح **بالثنائية** في شخصية المسيح: ابن مريم وكلمة الله. وتفسيرهم « كلمة الله » بأنه كلام الله، أو أمر الله التكويني له، بحسب قوله: « إن مثل عيسى عند الله، كمثل آدم: خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » (آل عمران ٥٩) هو مغالطة وتضليل. فآية (آل عمران ٥٩) لا تذكر **إلا عيسى** ابن مريم، فهو مخلوق في مريم بأمر الله الخلاق. لكن في (النساء ١٧٠) التعريف **هو بالمسيح** أنه ابن مريم وكلمة الله معاً. وفي هذا التعريف، « **كلمته** » **هو** « **روح منه** » تعالى، **فهو ذات قائمة بنفسها قبل إلقائها إلى مريم**. وهذا الترادف بين « كلمته » و« روح منه » يمنع من تفسير « كلمته » بكلام الله الخلاَّق لعيسى.

ونلاحظ تعريفه « كلمته » أنه « **روح منه** » تعالى. وتعبير « روح منه » لا يرد في القرآن إلاَّ بحق المسيح، ويختلف فيه عن كل تعبير في الروح.

فقوله « روح منه » يختلف عن قوله « من روحنا »: « والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها **من روحنا** » (الأنبياء ٩١)، « فنفخنا فيه **من روحنا** » (التحريم ١٢)، حيث جبريل، روح الله، هو النافخ في مريم؛ كقوله: « فأرسلنا إليها روحنا » (مريم ١٦).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وقوله في آدم: « ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه » (آلم السجدة ٩)، يعني أن آدم نفخة من روح الله، لا أن آدم « روح منه » تعالى أي ملاك. كذلك قوله في آدم: « ونفختُ فيه من روحي » (الحجر ٢٩؛ ص ٧٢)، لا « روحاً منه » ففارق التعبير ظاهر.

وقول يعقوب لبنيه: « لا تيأسوا من روح الله، إنه لا ييأس من روح الله إلاَّ القوم الكافرون » (يوسف ٨٧)، حيث « روح الله » تعني رحمته (الجلالان) أو ملاكاً الحارس، فلا يقارن على الإطلاق بقوله « روح منه ».

في القرآن تعبير واحد وحيد شبيه لفظاً بتعريف المسيح « روح منه »، هو قوله: « وأَيدهم بروح منه » (المجادلة ٢٢) يعني المؤمنين الذين « كتب في قلوبهم الإيمان، وأيدهم بروح منه ». فالآية كلها تعني أن تأييدهم « بروح منه » **مجاز**، أي « بنور منه » (الجلالان).

وهكذا ينفرد المسيح في القرآن كله بهذا التعريف الجامع المانع: « كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه »، حيث « روح منه » هو ذات اسمه « كلمته أَلقاها إلى مريم ».

وما يعني القرآن بأن المسيح، كلمة الله، هو « روح منه » تعالى؟ يعني أنه ملاك، ولذلك فهو عبد مخلوق: « لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله، ولا الملائكة المقربون » (١٧١). فمقارنة المسيح، كلمة الله، بالملائكة المقربين، **يجعله أحدهم**، كما في قوله: « ومن المقربين » (آل عمران ٤٥). فالمسيح، في القرآن، هو ملاك من المقربين اسمه كلمة الله، قبل أن يلقيه الله إلى مريم. فسر المسيح في ذاته أنه **ملاك وإنسان معاً**. هذه هي الثنائية القرآنية في شخصية المسيح.

وتأويل القرآن « لكلمة الله » بأنه « روح منه » هو تأويل « النصرانية » من قبله، فقد كانوا يقولون: « **ملاك كلمة الله** ». وهذا سبب خلافهم مع المسيحية، ذاك الخلاف عينه الذي عبر إلى القرآن.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فحرف العقيدة واحد بين الإسلام والمسيحية في المسيح « كلمته وروح منه ». لكن التأويل يختلف. والمسيحيون يؤوّلونه بحسب فاتحة الإنجيل عند يوحنا (١: ١ ــ ٤)، وبحسب تفصيل الفاتحة كلها (١: ١ ــ ١٨). ففيها إن « كلمة الله » يعني نطق الله الذاتي، بحسب التعبير اليوناني: « **لوغس** » كما تصفه الآيات: « في البدء كان الكلمة، والكلمة كان في الله، والله كان الكلمة، فهو منذ البدء في الله... والكلمة صار بشراً وسكن في ما بيننا » (١: ١ ــ ٤ مع ١٤).

لذلك اكتفى وفد نجران من النبي بالتصريح بحرف عقيدتهم، وإنْ اختلف معهم في التأويل: « وسألوه: ألست تقول أن عيسى (كلمة الله وروح منه)؟ قال: بلى! قالوا: فحسبنا هذا منك ». وهذه الشهادة تجعل الإسلام والمسيحية ديناً واحداً بحرف الشهادة الواحدة للمسيح، وإنْ اختلفا في التأويل.

وفي الحوار بين الإسلام والمسيحية يحق التساؤل: هل المسيح **ملاك وإنسان معاً** كما قالت « النصرانية » وأيدها القرآن؟ أم المسيح هو **نطق الله الذاتي** الذي تجسّد من مريم، بحسب مقالة المسيحية؟

يمنع من قول المسيحية **شبهتان:** شبهة بشرية المسيح الذي يعيش مثل كل إنسان (المائدة ٧٨). وشبهة القول « بالثلاثة » (النساء ١٧٠).

أجل يعيش عيسى ابن مريم مثل كل إنسان، بصفة كونه عيسى ابن مريم. ولكن هذا لا يمنع أنه في ذاته السامية « كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » أيْ « والكلمة صار بشراً وسكن في ما بيننا ».

*

٢ ــ والشبهة الثانية: « **ولا تقولوا: ثلاثة!** انتهوا، خيراً لكم ».

إن القرآن يردّ هذه المقالة بإعلان التوحيد: « إنما الله إله واحد » (١٧٠).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ويعلّل هذه الوحدانية بقوله: « سبحانه أنْ يكون له ولد! له ما في السماوات وما في الأرض! » (١٧٠). ونعرف أنّ هذه الولادة التي يستنكرها **إنما هي ولادة جسدية تناسلية من امرأة:** « أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة؟ » (الأنعام ١٠١)؛ « ما اتخذ صاحبة ولا ولداً » (الجن ٣). هذا كفر محض، لا يليق بالله، الروح المطلق. والله لا جسد له حتى يستولد ولداً من صاحبة!

لكن في الإنجيل، ان كلمة الله هو « لوغس »، نطق الله الذاتي، الذي يصدر عن ذات الله الناطقة، صدوراً روحيّاً ذاتيّاً نطقيّاً، لا يمت إلى المخلوق بصلة.

وفي سورة (النساء) لا يفسّر لنا المقصود « بالثلاثة ». سنراه في سورة (المائدة)، الفصل الثالث من جدال وفد نجران.

***

بحث ثالث

الفصل الثالث من جدال وفد نجران (المائدة)

سورة المائدة تتنازع آخر القرآن نزولاً مع سورة التوبة. وكلاهما بين يدي غزوة تبوك.

وسورة المائدة هي **السلسلة الرابعة** من جدال اليهود، ما بين فصول عديدة تشريعية وجهادية واجتماعية وأخلاقية وسياسية وشخصية. وفيها فصل عن استفتاء اليهود للنبي في زانييْن محصنيْن من خيبر، أعطى القرآن بمناسبته تشريعه باستقلال أهل التوراة وأهل الإنجيل على شريعتهم.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وبما أنه في زمن **سورة المائدة** كان الإسلام قد صفّى اليهود من المدينة، وأخضعهم في خيبر وفدك، فلا تشير ظروف السيرة بإمكان قيام جدال لهم مع الإسلام. لذلك فجدال اليهود، في سورة المائدة، مقحم عليه، من زمن قبلها.

وفي غمرة جدال القرآن لليهود يأتي **الفصل الثالث** من جداله لوفد نجران، بعام الوفود (٧٥ ــ ٨٠) **تعليقاً على الزيارة والمناظرة**. وقد عزّزه باستنكار المسيح لإلهيته وإلهية « أمه »، في قصص رائع في محاسبة الرسل في يوم الدين (١١٢ ــ ١٢٢).

*

١ ــ التعليق الأول على مناظرة أهل نجران (٧٥ ــ ٨٠).

ليس هذا فصلاً مستقلاً لا يُعرف المخاطبون فيه؛ إنما هو فصل تعقيبي على القول « بالثلاثة » (النساء ١٧٠) في جدال وفد نجران. فبعد ذهابهم إلى بلادهم، أطلق القرآن هذيْن التكفيريْن:

التكفير الأول: « لقد كفر الذين قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم. وقال المسيح: يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم! إنه من يُشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار، وما للظالمين من أنصار » (٧٥).

وهذا التكفير ورد مقحماً في آية سابقة: « لقد كفر الذين قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم! قلْ: فمن يملك من الله شيئاً إنْ أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومَن في الأرض جميعاً؟ ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما، يخلق ما يشاء، والله على كل شيء قدير » (١٩).

وأصحاب هذه المقالة الكافرة هم « **اليعقوبية، فرقة من النصارى** » (الرازي والجلالان). وهذا هو الشاهد على أنَّ الفصل تعليق على جدال وفد نجران.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وثورة القرآن على مقالة اليعقوبية، **صدى لثورة المسيحية الرسمية** عليها من قبله، في المجمع المسكوني الرابع بخلقيدونية عام ٤٥١ م.

فالقرآن إذن لا يكفّر المسيحية على الإطلاق؛ إنما هو يكفّر بدعة مسيحية، كان وفد نجران من أهلها.

فالقول بأن « الله هو المسيح ابن مريم » فيه مغالطات كثيرة للعقيدة المسيحية في التثليث، قبل أنْ يكون شبهة على التوحيد تستحق التكفير.

والقرآن يردّ المقالة لأسباب: الأوّل تعليم المسيح نفسه: « وقال المسيح: يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم »؛ الثاني، يستطيع الله أن « يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومَن في الأرض جميعاً »، فعجزه تجاه الله دليل خلقه؛ الثالث، كل الخلق ملك لله، والله على كل شيء قدير. لذلك فهو يعتبر مقالة اليعقوبية شركاً بالله.

لكن مقالة المسيحية الرسمية، في فرقها الثلاث الكاثوليكية والأرثذكسية والبروتستنتية، هي غير ذلك. فلا يمسها تكفير القرآن.

التكفير الثاني: « لقد كفر الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة! وما من إله إلاَّ واحد... ما المسيح ابن مريم إلاَّ رسول قد خلت من قبله الرسل، وأمه صديقة، كانا يأكلان الطعام... قل: أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرّاً ولا نفعاً، وهو السميع العليم » (٧٦ ـ ٧٩).

هنا **صورة أولى** عن « الثلاثة »: الله والمسيح ومريم. إن عيسى ابن مريم رسول بشر، وأمه صديقة، فلا يصح أنْ يكون الله « ثالث ثلاثة ».

وتاريخ المسيحية كله، خصوصاً تاريخ اليعقوبية، يشهدان بأن أحداً لم يجعل مريم أم المسيح من التثليث في شيء، مهما غالوا في إكرامها. وسنرى صيغة ثانية يستقيم فيها القول « بالثلاثة » وإن كفّره.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فمريم خارج موضوع الحوار في « الثلاثة ». والبرهان الذي يعطيه القرآن على بشرية المسيح إنه مع أمه « **كانا يأكلان الطعام** »، والطعام دليل الحيوانية البشرية، فلا يصح معها إلهية؛ كذلك عجزه عن الضرّ والنفع تجاه الله القدير.

لكن المسيح كان يأكل الطعام بصفة كونه « ابن مريم »؛ وهذا لا يمنع أنه في ذاته السامية « كلمته وروح منه » تعالى قبل إلقائه إلى مريم. فيبقى سرّ الثنائية في شخصية السيد المسيح قائم.

نلاحظ أن القرآن يذكر **التثليث** المسيحي، حتى اليعقوبي، بصيغة « **الثلاثة** » (النساء ١٧٠؛ المائدة ٧٦). ومجرّد التعبير، « الثلاثة »، برهان **التعدّد**، فلا يستقيم مع التوحيد. أما المسيحية فتقول « التثليث » في التوحيد الخالص. وشتان ما بين التعبيريْن.

ويختم التعليق الأول بقوله: « قل، يا أهل الكتاب **لا تغلوا** في دينكم غير الحق، ولا تتبعوا أَهواء قوم قد ضلوا من قبل، وأضلوا كثيراً، وضلوا عن سواء السبيل » (٨٠). وبما أن مؤسسي البدعة اليعقوبية قد كفرتهم المسيحية الرسمية، فهي تقبل بالتنديد بذلك التضليل، الذي يذيب بشرية المسيح في إلهيته.

ومحور المسألة أن اليعقوبية تنادي **بالوحدانية** في « المسيح ابن مريم »؛ مع أن المسيحية والقرآن يقولان **بالثنائية** فيه: إن « المسيح (هو) عيسى ابن مريم، رسول الله ــ وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه »أي « والكلمة صار بشراً وسكن فيما بيننا »؛ فحرف هذه الثنائية واحد، وإنْ اختلف التأويل.

*

٢ ــ التعليق الثاني على مناظرة أهل نجران (١١٢ ــ ١٢٢)

يأتي هذا التعليق الثاني بصورة مشهد رائع لمحاسبة الرسل في يوم الدين. وهو خطاب معجز، يتدرج فيه بمقدمتيْن إلى استجواب المسيح بإيمان أمته في اتخاذه وأمه « إلهيْن من دون الله ».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يستفتح الخطاب ويختمه بتصدير يجعله وحدة فنية: ذكر يوم الدين (١١٢ و١٢٢).

ثم ينهي محاسبة الرسل بآية واحدة (١١٣)، ليتفرغ لمحاسبة المسيح.

ففي **مقدمة أولى** (١١٣ ــ ١١٤) يذكّر الله عيسى بنعمته عليه وعلى والدته:

« إذ أيدتك بروح القدس، تكلّم الناس في المهد وكهلاً؛

« وإذ علّمتك الكتاب والحكمة، والتوراة والإنجيل؛

« وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني، فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني؛ وتُبرئ الأكمه والأبرص بإذني؛

« وإذ تخرج الموتى بإذني؛

« وإذ كففت بني إسرائيل عنك، إذ جئتهم بالبينات، فقال الذين كفروا منهم: إنْ هذا إلاَّ سحر مبين؛

« وإذ أوحيت إلى الحواريين: أنْ آمنوا بي وبرسولي! قالوا: آمنَّا واشهد بأنّا مسلمون ».

فتلك ست، أو سبع معجزات اختصّ الله بها المسيح على العالمين والمرسلين. وهي شبيهة بما ورد في (آل عمران)، وتكرارها يعني أنها عقيدة راسخة عنده. وإذ سبق لنا تفسيرها، فلا نعود إليه. إنَّ تلك المعجزات في شخصية المسيح وسيرته ورسالته، تجعله وحيداً فريداً على العالمين والمرسلين والمخلوقين.

وفي **المقدمة الثانية** (١١٥ ــ ١١٨) يورد الله قصة **معجزة المائدة** التي أنزلها من السماء على صحابة المسيح، فكانت « عيداً لأولنا وآخرنا ».

ويذهب المحدثون والمفسرون مذاهب شتى في تفسير قصة المائدة. وينقل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الأستاذ دروزة[١] ما يقابلها في الإنجيل مثل معجزة تكثير خمسة أرغفة وسمكتيْن لخمسة آلاف رجل (متى ٦، لوقا ٩ يوحنا ١٥)؛ ومعجزة المائدة الهابطة على سمعان بطرس (سفر الأعمال ف ١٠)، وهي رؤيا لا واقع. ويختم بقوله: « غير أن المتبادر أن هذه القصة وتلك ليستا هما المائدة القرآنية ».

نقول: إن المائدة القرآنية هي **القربان المسيحي** الذي كانوا يسمونه « سرّ المائدة ». وتفسيره في خطاب المسيح لليهود (يوحنا ٦) حيث يعلن لهم مراراً: « أنا الخبز الحيّ النازل من السماء ». وبما أن النصارى والمسيحيين كانوا يقيمون القربان، سر المائدة، يوم الأحد، فكان عيداً عندهم، دلّ قوله « تكون عيداً لأوّلنا وآخرنا، وآية منك » (١١٧) على أنّ المائدة القرآنية هي القربان المسيحي.

ومن تلكما المقدمتيْن، يتدرّج الله إلى **استجواب المسيح** في يوم الدين: « إذ قال الله: يا عيسى ابن مريم، أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهيْن من دون الله؟ » (١١٩). فيستنكر ذلك بأدب جم. ويعلن: « ما قلت لهم إلاّ ما أمرتني به: أن اعبدوا الله ربي وربكم » (١٢٠).

فما معنى قوله: « **اتخذوني وأمي إلهيْن** »؟ من قوله: « اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك » (١١٣) يظهر أنّهما المسيح ومريم أمه، كما في (المائدة ٧٨).

لكن بما أنَّ جميع المسيحيين ــ مهما غالوا في تكريم مريم ــ يكفّرون تأليهها، ويستنكرون اعتبارها من « الثلاثة »، فلا شك أن هناك **صيغة ثانية** عناها القرآن.

إن (إنجيل النصارى) كان يعتبر الروح القدس أمّ المسيح، حيث يقول

---

(١) التفسير الحديث. الجزء الحادي عشر، ص ٢١٥.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المسيح فيه مراراً: « أمي الروح ». وفي (إنجيل يوحنا) المنحول الذي اكتشفوه في (نجع حمَّادي) يرى يوحنا في رؤيا أن السماء انفتحت له، فشاهد شخصية سامية بهيئة شيخ وأنثى وابن تقول له: « أنا الآب والأم والابن ». فالروح القدس عندهم أنثى هي أم المسيح. فيكون « الإلهان من دون الله » المسيح وروح القدس.

فالقرآن يستنكر أنْ يكون المسيح، « كلمته وروح منه »، وروح القدس « إلهيْن من دون الله ». هذه هي **الصيغة الثانية** للتعبير. وهكذا يلتقي القرآن مع المسيحية في أسماء « الثلاثة »؛ لكنه يختلف معها في التأويل، كما اختلفت « النصرانية » فيه مع المسيحية.

فقد كانت « النصرانية » تقول: « **ملاك كلمة الله** »، و« **ملاك روح القدس** ». فهما إذن ملاكان مخلوقان لله؛ فلا يصح أنْ يكونا « إلهيْن من دون الله ». وبهذه العقيدة عينها جابه القرآن عقيدة وفد نجران. ففي هذه **الصيغة الثانية** « للإلهيْن من دون الله »، يزول ذكر مريم أم المسيح من « الثلاثة »؛ ويزول نفور المسيحيين من ذكر مريم في التثليث.

لكن يبقى أن القرآن يرى في **التثليث** المسيحي « **ثلاثة** »، وهذا التعبير عينه هو الذي يخلق **تعدّداً** في الله الواحد الأحد. وهذا ما لا تقول به المسيحية في كل فرقها على الإطلاق. إنها تنكر اعتبار كلمة الله والروح القدس ملاكيْن كما يعتقد القرآن مع « النصرانية ». إنما تؤمن أن كلمة الله والروح القدس، في وحدة الجوهر الإلهي الفرد، صفتان ذاتيتان، كيانيتان، في ذات الله الواحد الأحد، **لا هما عين الذات ولا هما غيرها**، بحسب تعبير الأشعرية، مذهب أهل السنة والجماعة. ففي الله تثليث، لا « ثلاثة ».

أما القرآن فهو منسجم مع نفسه، إذ يجعل المسيح، كلمة الله، وروح القدس، روحيْن أي ملاكيْن. على هذا الاعتبار يصح استنكاره لاعتبارهما « إلهيْن من دون الله ».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فحرف العقيدة في « الثلاثة »: الله والكلمة والروح، واحد؛ لكن الخلاف كل الخلاف، في **التأويل**.

لذلك فالعقيدة **الواحدة بحرفها** ما بين القرآن والإنجيل، في التثليث أو « الثلاثة »، تختلف في **موضوعها ومعناها** اختلافاً مطلقاً. فلا يصح بحال من الأحوال أنْ يُقال بأن القرآن، بتكفير مقالة « الثلاثة »، إنما يكفّر عقيدة التثليث المسيحي. هذا ظلم وجهل بالقرآن وبالمسيحية: إن الموضوع، في الأسماء الواحدة بحرفها، مختلف على الإطلاق.

*

خاتمة:

إن جدال القرآن لوفد نجران ليس جدالاً للمسيحية الرسمية

يقتصر حوار القرآن للمسيحية على وفد نجران. ولا خطاب فيه مع أحد سواه من أهل الإنجيل. فجدال القرآن يقتصر إذن على بدعة في المسيحية، **ولا يطال المسيحية الرسمية على الإطلاق**.

والقرآن يجادل مسيحيي نجران، بجدال « النصرانية » عينه. فيقول لهم مع « النصارى » بأن كلمة الله هو « روح منه » تعالى، أيْ أنه « ملاك كلمة الله »؛ وبأن الروح هو « روح القدس »، جبريل، فهو « ملاك الروح القدس ». لذلك فالقول « بالثلاثة » يجعلهما « إلهين من دون الله ». والمسيحية كلها تسلّم بأن ذلك التأويل كفرٌ في التوحيد الكتابي.

لكن أهل نجران لم يكونوا يعتبرون كلمة الله وروح القدس ملاكيْن؛ بل هما من ذات الله، بمنزلة نطقه الذاتي وروحه الذاتي؛ فلا دخل لمخلوق في تثليث الصفات الذاتية، أيْ الأقانيم الكيانية في ذات الله.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

إنّما عقيدتهم في **وحدة الذات والطبيعة** في المسيح عيسى ابن مريم، **جعلتهم** يقولون: « إن الله هو المسيح ابن مريم » (المائدة ١٩ و٧٥). فكفّرهم القرآن لكن المسيحية الرسمية قد كفّرت مقالتهم من قبل القرآن، سنة ٤٥١ م في المجمع المسكوني بخلقيدونية، الذي يتبعه اليوم جميع المسيحيين من كاثوليك وأرثذكس وبروتستنت. فتكفير المقالة المونوفيسية أيْ اليعقوبية، في القرآن، **لا يطال المسيحية الرسمية على الإطلاق**.

وبما أنّ جدال القرآن للمسيحية **يقتصر وينحصر** في تكفير مقالة لبدعة في المسيحية، كفرتها المسيحية الرسمية من قبله، فإنّ القرآن لا يحاور المسيحية الرسمية بطوائفها الثلاث على الإطلاق.

هذا هو **الواقع القرآني** الذي يغيب عن بال المتحاورين في الإسلام والمسيحية. فمن الظلم للمسيحية، ومن الخيانة للقرآن نفسه، **اعتماد تكفيراته لبدعة**، خطاباً للمسيحية كلها. ولا يجوز تطبيق واقع مصر بين الأزهر والقبطية، على الحوار بين الإسلام والمسيحية في العالم كله. هذا أيضاً ظلم وخيانة.

إن حوار القرآن كله للمسيحية **يقتصر وينحصر** بوفد نجران، وبقتال أهل شمال الحجاز، وهم جميعاً على بدعة في المسيحية. هذا هو الواقع القرآني والتاريخي. **فليس في القرآن من خطاب للمسيحية الرسمية على الإطلاق**، حتى يصح اعتماده أساساً للحوار بين الإسلام والمسيحية. فالانطلاق من موقف القرآن من بدعة مسيحية، للحوار الحقيقي بين الإسلام والمسيحية، إنما هو ظلم وخيانة للإسلام والمسيحية؛ وللحوار فيما بينهما.

إنّ صحة الحوار تعتمد على كون القرآن دعوة « نصرانية »، كفّرت بدعة مسيحية، لا المسيحية الرسمية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفصل السَّابع

تشريع القتال بحق المسيحيين العرب في تبوك

(التوبة ٣٠ ــ ٣٥)

توطئة : محاولة إخضاع المسيحيين العرب في الشمال للإسلام.

بحث أوّل : الواقع القرآني لشريعة جهاد المسيحيين بين براءة والتوبة.

بحث ثان : الواقع التاريخي: (أسباب النزول) في غزوة تبوك.

بحث ثالث : الشبهة على الصّحة.

بحث رابع : المعنى الحق المحدود لشرعة قتال المسيحيين.

خاتمة : الفصل تشريع لقتال المسيحيين العرب في تبوك.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

توطئة

محاولة إخضاع المسيحيين العرب في الشمال للإسلام

إنّ فصل تشريع القتال بحق المسيحيين (التوبة ٣٠ ـ ٣٥) **فصل فريد** في القرآن كله. وقد أجمعت (أسباب النزول) على أنه نزل بمناسبة غزوة تبوك ضد المسيحيين العرب فيها، لعوامل عدّة.

فإن النبي العربي بعد أن اطمأنّ، بعهد الحديبية، إلى كسر سلطان قريش على الحجاز؛ وإلى كسر شوكة اليهود بعد غزوة خيبر وفدك وخضوع اليهود العرب للإسلام؛ أخذ يحاول **إخضاع المسيحيين العرب في شمال الجزيرة للإسلام.**

« وكان بث السرايا في **فيافي نجد** من أهم ما شغل المسلمين، بعد ما رجعوا من خيبر، في صفر من السنة السابعة، حتى شدّوا الرحال إلى مكة لعَمْرة القضاء كما نص على موعدها في عهد الحديبية... والهدف الأكبر من بعثها توطيد الأمن، ومنع الغارات على المدينة، وتمكين الدعاة إلى الله، من أن يجوبوا الآفاق بتعاليم الرسالة دون غدرٍ أو خيانة[1] ».

وكان خضوع الأعراب، حول نجد، سهلاً، مثل قبائل طي وتميم، المتمسّحة بالمسيحية. وقبائل كندة المسيحية في نجد خضعت في عام الوفود.

يقول دروزة[2]: « أما بالنسبة إلى خارج المدينة فالأمر مختلف: حيث كان

(١) محمد الغزالي: فقه السيرة، ص ٣٨٢.
(٢) دروزة: سيرة الرسول ٢: ١٦٤.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

غالب سكان مشارف الشام نصارى (مسيحيين) **تابعين لنفوذ دولة نصرانية** (مسيحية) كبرى. وقد ذكرت الروايات أخبار اعتداء بعض قبائل هذه المشارف **كقضاعة وبني كلب** على قوافل التجار؛ وخبر مقتل أحد رسل رسول الله في هذه المنطقة، وأَخبار سرايا جهادية مثل سرية **ذات الاطلاع** التي قُتل أكثر رجالها بيد قبائل العرب، ومثل **سرية دومة الجندل**، ومثل **سرية مؤتة** المشهورة التي وصلت إلى أبواب البلقاء، ودارت الدائرة فيها على المسلمين، إذْ قُتل ثلاثة من قوادهم وعدد من رجالهم، ونجت بعد ذلك برجعة ماهرة تولّاها خالد بن الوليد. وقد بدأت هذه السرايا منذ السنة الهجرية السادسة على ما يستفاد من تلك الروايات التي ليس بينها خلاف جوهري، والتي يصح أنْ يكون ما ذكرته معتبراً من حيث الأساس بقطع النظر عن التفصيل، وهكذا يكون **الصدام المسلح** بين النبي والمسلمين من جهة، وسكان تلك المشارف من جهة أخرى، قد بدأ منذ أوائل النصف الثاني من العهد المدني واستمر ».

فالصدام المسلح بين الإسلام والمسيحيين العرب في مشارف الشام كان سببه إذن محاولة إخضاع أولئك المسيحيين العرب للإسلام، **لتأمين الوحدة الدينية في الجزيرة العربية**، حلم محمد الأكبر، أكثر منه بسبب أحداث فردية صغيرة من كلا الطرفيْن.

وتلك المحاولة كانت سبب **الغزوات الثلاثة الفاشلة:** ذات الاطلاع، وذات السلاسل، ومؤتة. وهي كانت سبب الاعتداء على بعض قوافل التجار، وسبب اعتداء شرحبيل بن عمرو الغساني على مبعوث محمد، الحارث بن عمير الأزدي، على أمير بصرى: « سأله: أأنت من رسل محمد؟ قال: نعم. فأمر به شرحبيل فقُتل ».

وكانت **غزوة مؤتة** التأديبية الفاشلة، هي التي تركت أَصعب الآثار الانهزامية في نفوس المسلمين. ولم يعكسها إلاّ فتح مكة الأكبر. وما فرغ النبي من

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

غزوة حُنين لإخضاع الطائف، حتى رجع إلى المدينة يجهّز جيشاً عظيماً **لغزوة تبوك**، يقضي نهائياً على المقاومة المسيحية العربية في الشمال، لتوحيد الجزيرة السياسي والديني.

في هذه الظروف نزل الفصل (التوبة ٣٠ ـ ٣٥) في تشريع القتال لإخضاع المسيحيين العرب في الشمال ـ إذا لم يكن على صحته من شبهة.

***

بحث أول

الواقع القرآني لشرعة جهاد المسيحيين (٣٠ ـ ٣٥) بين براءة والتوبة

فصل التشريع في قتال المسيحيين (التوبة ٣٠ ـ ٣٥) يقع ما بين سورة براءة (١ ـ ٢٩) وسورة التوبة (٣٦ الخ): فهما سورتان في واحدة، لكنهما تختلفان في الزمان والظروف والموضوع. فسورة التوبة نزلت أوّلاً في ملابسات غزوة تبوك، كما سنرى. ثم نزلت سورة براءة (١ ـ ٢٩) في الحجّ الأكبر: « وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر: إن الله بريء من المشركين، ورسوله » (براءة ٣).

(أسباب النزول) تقول: « روى البخاري عن البرّاء أَنها (التوبة) **آخر سورة نزلت** ». وجاء في (الإتقان) للسيوطي: « نقل الفريابي: إِن أَوّل ما نزل من براءة (انفروا خفافاً وثقالاً ـ ٤٢)؛ ثم نزل أوّلها، ثم نزل آخرها. وأخرج ابن أشته في (المصاحف): إن قوله (انفروا) هو أَوّل آية نزلت منها في الغزوة؛

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فلما رجع من تبوك نزلت (براءة)، إلاَّ ثمانياً وثلاثين آية من أولها، فهذه نزلت من بعد في يوم الحج الأكبر ».

وهكذا فالسورة من سورتيْن: **سورة التوبة** (٣٩ ــ ١٢٠) في غزوة تبوك، وقد نزلت في ظروفها من قبل ومن بعد؛ **وسورة براءة** (١ ــ ٢٩) في براءة الله من المشركين؛ وفرض الإسلام على العرب بالجهاد: « فإذا انسلخ الأشهر الحرم، فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » (٦)؛ « وقاتلوا المشركين كافةً كما يقاتلونكم كافة، واعلموا أن الله مع المتقين » من العرب (٣٧).

وهكذا يظهر بصراحة أن الفصل (٣٠ ــ ٣٦) في قتال المسيحيين العرب، مثل اليهود، **مقحم على (براءة)**، ويخرج عن موضوعها في قتال المشركين حتى يسلموا؛ فهو يستفتح (٦) ويختم (٣٧) بقتال المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة.

فالظاهرة الثابتة على الواقع القرآني أن الفصل (براءة ٣٠ ــ ٣٦) في تشريع قتال المسيحيين، أسوة باليهود، **دخيل على السورة**. وتفسير صحته، بأنه على سبيل الاستطراد لا يقوم، لأنه يتنافى **موضوعاً وزماناً**: موضوعاً لأن (براءة) في قتال المشركين، والفصل (٣٠ ــ ٣٦) في قتال المسيحيين؛ وزماناً لأن (براءة ١ ــ ٣٨) نزلت بعد (التوبة ٣٩ ــ ١٢٠) في ملابسات غزوة تبوك التي سبقت حجة الوداع بنحو سنة.

فهذا الواقع القرآني، للفصل (٣٠ ــ ٣٦) يحمل الشبهة بأنه مقحم على القرآن، في زمن جمعه وتدوينه، من زمن الفتوحات الإسلامية للبلاد المسيحية.

***

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بحث ثان

الواقع التاريخي: (أسباب النزول) في غزوة تبوك

لقد أجمعت (أسباب النزول) على أن سورة (التوبة ٣٩ ــ ١٢٠) قد نزلت في ملابسات غزوة تبوك وفي ظروفها السابقة والقائمة واللاحقة؛ وأن ظاهر الفصل (٣٠ ــ ٣٥) في قتال المسيحيين، وإنْ أقحم على (براءة ١ ــ ٣٨)، فهو في صدد الاستنفار إلى غزوة تبوك، آخر غزوات النبيّ العربي، وأَعظمها، والتي فرضت هيبة الإسلام على العرب فأسرعوا إلى المبايعة في عام الوفود، ما بين تبوك والحج الأكبر، حجة الوداع.

ففي الفصل في تشريع قتال المسيحيين، أسوة باليهود (٣٠ ــ ٣٥)، « الآية الأولى تشريعية، والأخرى تنطوي على حكمة التشريع؛ بالإضافة إلى ما في الأولى من هذه الحكمة. وقد يدخل في الآيات اليهود والنصارى (المسيحيون) معاً. غير أن الآيات قد **نزلت بعد الفتح المكي**، على ما تلهمه ظروفها، ولم يكن قد بقي يهود في الحجاز؛ كما أنها **نزلت بين يدي غزوة تبوك** التي هي من مشارف الشام، **والتي غالب سكان مناطقها نصارى** (مسيحيون)، وبين يدي آيات أَجمعت الروايات على أنها في صدد الاستنفار إلى هذه الغزوة. وقد احتوت وصفاً يُلهم بقوة أنه وصف لها كما ترى في ٣٩ ــ ٤٣ [١] »...

وهكذا يتضح بجلاء أن فصل التشريع في قتال المسيحيين، أسوة باليهود، **قد نزل في مناسبة غزوة تبوك**، بحسب ظاهر السورة.

---

(١) دروزة: سيرة الرسول ٢: ١٦٥.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فهذا الواقع التاريخي يحدّد (أسباب النزول)، كما يحدّد **معنى ومدى التشريع**.

فليس هو تشريعاً مطلقاً في قتال المسيحيين على العموم.

إنّما هو تشريع **ينحصر ويقتصر على قتال المسيحيين العرب** حتى يخضعوا لدولة الإسلام، في سبيل وحدة الجزيرة، كي « لا يبقى في جزيرة العرب دينان » بحسب وصية محمد الأخيرة.

ولا يصح مجال من الأحوال اعتبار ذلك التشريع تلقيناً دستورياً مستمرّ المدى والمفعول. فقد نزل أكثر القرآن في المشركين العرب، وفي المنافقين منهم، وخُتم القرآن بتحريم المسجد الحرام عليهم « بعد عامهم هذا » (٢٩) وأمر بقتالهم « حيث وجدتموهم » في كل مكان من الجزيرة (٦)؛ مع ذلك فقد أسلموا وقاموا بنشر الإسلام، **فسقط عنهم** كل تنديد وتهديد، وكل وعيد وقتال. كذلك سقط عن المسيحيين العرب في الجزيرة الأمر بقتالهم، بعد إسلامهم؛ وليس في الأمر قرائن تحمل على تطبيق شريعة قتال المسيحيين خارج الجزيرة.

فالفصل (٣٠ ـ ٣٦) بحسب ظاهره في قتال المسيحيين كان أمراً واستنفاراً لغزوة تبوك؛ وليس دستوراً في قتال المسيحيين. هذا هو الواقع التاريخي كما يثبت من النص في السورة كلها، وفي أسباب نزولها.

***

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بحث ثالث

الشبهة على صحة الفصل (براءة ٣٠ ــ ٣٦)

إن على صحة تشريع القرآن في قتال المسيحيين شبهة قائمة على **ثلاثة مصادر**: آخر السور نزولاً، والإقحام الظاهر على التشريع، ومضامينه المشبوهة. وقد سبق لنا تفصيل هــذه الشبهة في كتابنا « مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي ».

أولاً: هل تشريع قتال المسيحيين محكم قائم أم منسوخ؟

يرجع ذلك إلى الخلاف في آخر السور نزولاً.

جاء في (الإتقان ١: ٢٨): « أَخرج مسلم عن ابن عباس قال: آخر سورة نزلــت (إذا جاء نصر الله والفتح) ــ أي سورة النصر ــ وأَخرج الترمذي والحاكم عــن **عائشــة** قالــت: **آخرة سورة نزلت** (المائدة) فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه ــ الحديث. وأَخرجا أيضاً عن عبد الله بن عمر قال: آخر سورة نزلت سورة المائدة والفتح. وفي حديث عثمــان المشــهور: (براءة) من آخر القرآن نزولاً ».

نقول: سورة (النصر) يدل مضمونها أنّها من عــام الوفود « يــدخلون فــي ديــن الله أفواجاً ». بقي الخلاف بين (براءة) و(المائدة). لا يشهد لسورة براءة نصاً آخر ســورة ســوى البرّاء. وشهادة عائشة وعبد الله بن عمر على أن آخر سورة نزلت (المائدة) أَصــح ــ ولعــلّ نزول السورتيْن متزامن.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

والواقع القرآني يشهد في سورة (المائدة ٨٥): « ولتجدن أشدّ الناس عداوةً للذين آمنوا **اليهود والذين أشركوا**؛ ولتجدنّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا (إنا نصارى) ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون ».

كما يشهد في سورة (براءة ٣٠): « قاتلوا الذين لا يؤمنون... من الذين أوتوا الكتاب، حتى يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون ». وتظهر الآية (٣١) أن يقصد اليهود والنصارى.

ففي الآيتين **تعارض ظاهر**: فآية المائدة تشيد بمودة النصارى؛ وآية براءة تدعو لقتالهم أسوةً باليهود؛ فما هو الأخير؟ (أسباب النزول) تميل إلى أن (المائدة) آخر سورة نزلت: لذلك فآية مودة النصارى (المائدة ٨٥) تنسخ الأمر بقتال النصارى في (براءة ٣٠) ـ إلاَّ إذا كان النصارى في (المائدة ٨٥) غير النصارى في (براءة ٣٠)، كما نرى.

وإنْ صحّ أنّ (براءة) آخر السور نزولاً، فهي تنقض القرآن كله في « مودة النصارى » كما انتهى في تصريحه. فالقرآن كله، قبل آية (براءة ٣٠) لا يذكر على الإطلاق وجوب قتال المسيحيين حتى يدفعوا الجزية للمسلمين. هذا موقف فريد غريب يعارض روح القرآن كله.

لذلك فالشبهة على صحته قائمة.

والأصح، إنْ صحَّ نزول الفصل، أَنه منسوخ بآية المودة (المائدة ٨٥).

*

ثانياً: ظاهرة الإقحام بادية على شرعة قتال المسيحيين

قلنا إنَّ سورة (براءة ـ التوبة) سورتان تختلفان موضوعاً وزماناً: فسورة التوبة (٣٩ ـ ١٢٠) نزلت في ملابسات غزوة تبوك التي تمت في رجب سنة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

تسع هجرية أيْ في تشرين الأول سنة ٦٣٠ م. وسورة براءة في « يوم الحج الأكبر » سنة تسع هجرية، بعد غزوة تبوك بثلاثة أشهر، على ما جاء في السيرة لابن هشام (٤: ١٨٨ ـ ١٩٣): « أَقام رسول الله ص بقية شهر رمضان وشوّالاً وذا القعدة. ثم بعث أَبا بكر أَميراً على الحج من سنة تسع في (ثلاثماية مسلم) ليقيم للمسلمين حجهم، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم ». ثم « دعا عليَّ بن أبي طالب. فقال له: لا يؤدّي عني إِلاّ رجل من أَهل بيتي، أُخرج بهذه القصة من صدر براءة وأَذّن بالناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى: أَنه لا يدخل الجنة كافر! ولا يحج بعد العام مشرك! ولا يطوف بالبيت عريان! ومن كان له عند رسول الله عهد فهو إلى مدته! فخرج علي على ناقة رسول الله، العصباء، حتى إذا كان يوم النحر، قام عليّ فأذّن بالناس بالذي أَمر رسول الله ص ». فسورة (براءَة ١ ـ ٣٨) هي في المشركين العرب. ولا دخل للنصارى المسيحيين فيها.

وفي الواقع فإن سورة (براءة ١ ـ ٣٨) كلها في تشريع قتال المشركين العرب حتى يدينوا بالإسلام. ومطلعها « فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » (٦)، وخاتمتها « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » (٣٧)، يشهدان إن سورة (براءة) كلها في قتال المشركين العرب حتى يدينوا بالإسلام، وتحريم المسجد الحرام عليهم « بعد عامهم هذا ». فكيف دخل الفصل (٣٠ ـ ٣٦) في قتال أَهل الكتاب من يهود ونصارى؟

إنَّ **ظاهرة الإقحام** في شرعة قتال المسيحيين (٣٠ ـ ٣٦) بادية، لا شك في ذلك، على شرعة قتال المشركين العرب (١ ـ ٣٨).

يشهد بذلك واقع الإقحام في السورة؛ كما يشهد به تعارض شرعة قتال النصارى، مع إعلان القرآن بأنهم « أهل المودة » (المائدة ٨٥) حتى النهاية.

*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ثالثاً: مضامين شرعة قتال المسيحيين متشابهة مشبوهة (٣٠ ـ ٣٦)

هذه هي الشرعة: « قاتلوا الذين (١) لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر (٢) ولا يحرمون ما حرّم الله ورسوله (٣) ولا يدينون دين الحق، من الذين أوتوا الكتاب حتى **يدفعوا الجزية** عن يدٍ وهم صاغرون. (٤) وقالت اليهود: عزير ابن الله! وقالت النصارى: المسيح ابن الله؛ ذلك قولهم بأفواههم، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل؛ قاتلهم الله أنّى يؤفكون. (٥) اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، والمسيح ابن مريم؛ وما أُمروا إلاَّ ليعبدوا إلهاً واحداً، لا إله إلاَّ هو، سبحانه عما يشركون! (٦) يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلاَّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون! هو الذي أَرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون! (٧) يا أَيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أَموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله »...

فهذه الشرعة تبرّر **بسبعة أسباب** قتال النصارى المسيحيين أسوة بقتال اليهود ـ ولا نقول النصارى من بني إسرائيل لأنهم « أمة واحدة » مع محمد.

ففيها أولاً **ظاهرتان** تتعارضان مع القرآن كله. **الظاهرة الأولى** إن هذه الشرعة هي النص الوحيد الذي يشرع قتال النصارى؛ بينما القرآن كله يشيد بمودتهم (المائدة ٨٥): وإذا كفّر وفد نجران، فقد دعاه إلى المباهلة والملاعنة، ولم يدعه إلى المبارزة والقتال! فهي تنقض موقف القرآن كله منهم. **والظاهرة الثانية أن قصة الجزية** ترد للمرة الأولى والوحيدة في القرآن كله وهو تعبير يستخدمه أهل الامبراطوريات على رعاياهم المستعبدين؛ ولا وجود له في نص القرآن وروحه. فقد أَقحموه على القرآن، عند جمعه وتدوينه، من زمن الفتوحات الإسلامية، وتشبّهها بالفتوحات الفارسية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ثانياً: موجبات التشريع تتناقض مع القرآن كله:

١) يقول: « لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر! » أصحيح أن القرآن يشهد بأن النصارى المسيحيين « لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر »؟ فقد أعلن مراراً: « ليسوا سواءً! من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون؛ يؤمنون بالله واليوم الآخر » (آل عمران ١١٣ ــ ١١٤)، وقيام الليل للصلاة والسجود وتلاوة آيات الله ميزة نصرانية مسيحية، لا عربية، ولا يهودية، ولا إسلامية إذ هي « نافلة لك » (الإسراء ٧٩). فأول بند من الشرعة ينقضه القرآن كله.

٢) يقول: « ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ». وهو في الوقت ذاته يقرّ أهل الإنجيل على شريعتهم، ولا يلزمهم بشريعة القرآن: « وليحكم أَهل الإنجيل بما أنزل الله فيه، ومَن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون... **لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً**، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة » (المائدة ٥٠ ــ ٥١). ولا دليل فيه على نسخ!

٣) يقول: « ولا يدينون دين الحق ». كيف لا يدينون دين الحق وهم يدينون بالإنجيل الذي قال فيه: « وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور، ومصدقاً لما بين يديه من التوراة، وهدى وموعظة للمتقين » من العرب (المائدة ٤٩). فالقرآن لا يفرض الإسلام على المسيحيين، بل « حتى يدفعوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون »؛ بينما يجعل الإنجيل نفسه « هدى وموعظة للمتقين » من العرب!

٤) والسبب التفسيري لموجب التشريع الجديد هو: « وقالت اليهود: عزير ابن الله! وقالت النصارى: المسيح ابن الله ».

هذه هي المرة الوحيدة في القرآن كله الذي يرد فيه مثل هذيْن القوليْن! وهو خطاب متواصل مع أَهل الكتاب من يهود ونصارى. أَجل يندّد باليهود:

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

« ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أَرباباً! أَيأمركم بالكفر **بعد إذْ أنــتم مســلمون** » (آل عمران ٨٠)؛ فهــو يشهد بإسلامهم، ويندّد بتربيبهم للنبيين، لكــن لا نجــد في القرآنِ كلّه أن « قالت اليهود: عزيز ابن الله »! وهل يقول المسيحيون « المسيح ابن الله » كما تقول اليهــود « عزير ابن الله »؟ وشتان ما بين حقيقة المسيحيين ومجاز اليهود! ومتى كان الاختلاف فــي العقيدة سبباً للقتال، في القرآن نفسه؟ وشعاره: « لا إكراه في الدين »! (البقرة ٢٥٦).

٥) يقول: « اتخذوا أَحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، والمسيح ابن مريم! » ــــ **هذا قول لا يقوله القرآن**، فما كان منه، وهو القائل في المسيح أنه « كلمته أَلقاها إلــى مــريم وروح منه » (النساء ١٧٠)، أن ينزل المسيح منزل الأحبار والرهبان!

وهل من نصراني أو مسيحي يُنزل السيد المسيح منزلة الرهبان!

وهل يصحّ من القرآن القائل « لا إكراه في الدين » أن يشرّع قتــال المسيحيين لأنهم « اتخذوا رهبانهم أرباباً من دون الله، والمسيح ابن مريم »؟!

وهبهم سقطوا في مثل ذلك الشرك، فالقرآن كله دعوة لجهاد المشركين العــرب حتــى يدينوا بالإسلام؛ ولكن ليس في القرآن كله من جهاد ضد شرك النصارى، إنْ صحّ أنَّ عنــدهم شركاً! فهو يعطي صحة إسلامهم أسوة للمسلمين (آل عمران ١١٣). كما أنّه وادع وفد نجران المسيحي، ولم يقاتله.

٦) يقول: « يريدون أنْ يطفئوا نور الله **بأفواههم** »! لاحظ دقة التعبير « بأفواههم ». إنها دعوة باللسان، لا بالسنان: فكيف يصح منه أن يردّ بالسيف على الدعوة بالفم! وأين المبدأ: « لا إكراه في الدين »! أجل يقول: « والفتنة أشدَّ من القتل »! لكنه يقول ذلك بحق المشــركين العرب، وبحق اليهود والمتآمرين

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

معهم. فموقف القرآن كله من المسيحية على السلطان في الجزيرة، لا على الدين (الحديد ٢٩؛ براءة ٢٩).

٧) وأخيراً يقول: « يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله ». ما لنا ولليهود وأحبارهم. فهل في القرآن كله من إشارة إلى رهبان يصدون عن سبيل الله؟ وهو في آخر أمره يشيد بمودة النصارى، « ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون » (المائدة ٨٥). وقد قال فيهم: « يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويسارعون في الخيرات، وأولئك من الصالحين » (آل عمران ١١٤).

وهكذا يتضح لنا أن شرعة قتال النصارى والمسيحيين غريبة عن القرآن كله؛ وموجباتها مناقضة لنص القرآن وروحه.

والنتيجة الحاسمة إن شرعة قتال النصارى والمسيحيين، أسوة باليهود المتآمرين على الإسلام، **دخيلة على القرآن**، من زمن جمعه وتدوينه، إبّان الفتوحات الإسلامية، لتكون **سبباً قرآنياً** لها، والقرآن براءٌ منها.

وما كان القرآن ليأمر بقتال « النصارى » وهو معهم « أمة واحدة »، يدعو إلى إسلامهم، إسلام « أولي العلم قائماً بالقسط » (آل عمران ١٨ ــ ١٩). وما كان ليأمر بقتال المسيحيين وهم « الروم » الذين يفرح المسلمون بنصرهم على الفرس الوثنيين، حماة اليهود الكافرين بالمسيح ومحمد.

***

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بحث رابع

المعنى الحقّ المحدود لشرعة قتال المسيحيين

نأخذه أولاً عن الأستاذ دروزة[١]: « ومع أن كثيراً من المفسرين قد صرفوا الأوصاف الثلاثة المذكورة في الآية الأولى (٣٠) إلى أن كفر الكتابيين برسالة النبي والدين الذي أتى به **سبب مطلق**، وقالوا إنه **موجب التشريع**، فإنَّ هناك ما يحمل على التوقف في التسليم بذلك، لأنه يقتضي أن يكون المسلمون مأمورين **بمقاتلة كل كتابي إطلاقاً** إذا جحد رسالة النبي، مع أن الآية قد احتوت **حرف التبعيض** « **من** » الذي لا شك في أنه يعترض ذلك القول الإطلاقي، ويسوّغ صرف الأوصاف المذكورة إلى حالات أوسع تناولاً، ويجعل أمر القتال منوطاً بأسباب أخرى...

« هذا إلى أنَّ قولهم ذاك ينقض **المبدأ القرآن في المحكم** (في آية الممتحنة ٨ خاصة، وفي البقرة ٢٩ ــ ٤١ و٢٩٠ ــ ٢٩٤، والنساء ٩٠ ــ ٩١ وغيرها) **من أن الجهاد الإسلامي دفاعي**، وردّ لبغي وعدوان سابقين، يشملان الطعن في الدين، والفتنة عنه، والوقوف في وجه حريّة الدعوة إليه وممارسة شعائره. إلى مناقضته كذلك لما هو ثابت من **النهي النبوي** عن قتال غير المحاربين من الكتابيين كالرهبان والشيوخ والنساء والأطفال؛ إذ ينطوي فيه **أن لا يكون عدم إسلام إنسان ما سبباً لقتله.**

« وعلى هذا كله نقرر بشيء من الجزم أن الآيات قد نزلت في قتال

---

(١) سيرة الرسول ٢: ١٦٦ ــ ١٦٧.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الكتابيين الذين يبدو منهم بغي وعدوان، حتى تُخضد شوكتهم ويؤمن بغيهم وعدوانهم بالخضوع التام، ودفع الجزية للسلطان الإسلامي. وهو ما يتسق مع المبادئ والتقريرات القرآنية بوجه عام.

« وما دام الأمر كذلك، فإنَّ من الممكن القول بجزم أيضاً أنّ **غزوة تبوك** التي استنفر إليها بالآيات التي أوردناها آنفاً، والتي نزلت تلك الآيات بين يديها، قد كانت **غزوة مقابلة على عدوان وبغي سابقين** ».

ونقول نحن إنَّ **ارتباط شرعة قتال المسيحيين بغزوة تبوك**، مهما كانت الملابسات، هو الذي يحدّد معناها ومداها. إنّها شرعة لقتال المسيحيين العرب ولإخضاعهم لسلطان الإسلام: « قاتلوا... حتى يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون »!

فليست هي شرعة لقتال المسيحيين على الإطلاق!

وبما أن الجزيرة العربية كلها قد خضعت للإسلام، فالشرعة انتهى مفعولها في حينها.

ولا يصح أن تُتّخذ شرعة، ولو على سبيل القياس، للعمل بها خارج الجزيرة العربية، لأن وصية النبي الأخيرة تفسّرها: « **لا يجتمعن في جزيرة العرب دينان** ».

*

خاتمة

الفصل (براءة ٣٠ ــ ٣٥) تشريع لقتال المسيحيين العرب في تبوك

والنتيجة الحاسمة لهذا الفصل كله ثنائية.

نرى أنّ **شرعة قتال المسيحيين دخيلة على القرآن** (براءة ٣٠ ــ ٣٥) مقحمة إقحاماً ظاهراً على تشريع قتال المشركين حتى يدينوا بالإسلام (١ ــ ٣٨).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وهبها صحيحة، فهي **شرعة محدودة الزمان والمكان والأشخاص**. إنها نداءٌ ــ لا تشريع ــ واستنفار لقتال المسيحيين العرب في تبوك. فهذا حدث تاريخي قد انقضى وشرعته.

وإنْ صح القياس على التقريرات الشرعية، فشرعة قتال المسيحيين العرب لا يصحّ القياس عليها خارج الجزيرة، لأنّ **وصية محمد الأخيرة** تفسرها كما تفسّر جهاد القرآن والإسلام كله: « لا يجتمعن في جزيرة العرب دينان »!

ولا يصح على الإطلاق نقل وصية محمد الأخيرة إلى ما يسمى « **دار الإسلام** ». فليس في القرآن من أساس للتفرقة الدينية والعنصرية في « دار الإسلام ». وقد رأينا أنّ قوله: « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا **النصارى واليهود** أولياء؛ بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين » (المائدة ٥٩)، قد أبدلوا فيها عند التدوين **المشركين بالنصارى** بحسب تصريحه عن مودة النصارى، وعن **عداوة اليهود والمشركين** للذين آمنوا (المائدة ٨٥)؛ وبحسب تشريعه: « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً **من الذين أوتوا الكتاب** من قبلكم والكفار أولياء » (المائدة ٦٠)؛ فقوله « من الذين أوتوا الكتاب » تبعيض يقصد اليهود الذين « كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، ويسعون في الأرض فساداً، والله لا يحب المفسدين » (المائدة ٦٧). وفي القرآن كله لا نرى النصارى واليهود « **بعضهم أولياء بعض** »؛ إنما « قالت اليهود: ليست النصارى على شيء! وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء »! (البقرة ١١٣).

فالشرعة محدودة بزمان ومكان. وقد انقضى زمانها ومكانها. ولو « تدبر القرآن » أجدادنا، من مسلمين ومسيحيين، لتغيّر وجه التاريخ.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفصل الثّامن

شخصيّة السيد المسيح في القرآن

توطئة : الثنائية القرآنية في شخصية المسيح.

بحث أول : الواقع القرآني في حقيقة المسيح.

بحث ثانٍ : التحليل الصحيح لعقيدة القرآن في المسيح.

خاتمة : العقيدة القرآنية في المسيح متشابهة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

توطئة

الثنائيّة القرآنيّة في شخصية المسيح

التعريف الجامع المانع لعقيدة القرآن في شخصية المسيح هو: « يا أهل الكتاب لا تغلّوا في دينكم، ولا تقولوا على الله إلاّ الحقّ: إنّما المسيح، عيسى، ابن مريم، رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه. فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا (ثلاثة)! انتهوا، خيراً لكم! إنما هو إله واحد، سبحانه أن يكون له ولد؛ له ما في السماوات والأرض! وكفى بالله وكيلاً. لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله، ولا الملائكة المقربون! ومن يستنكف عن عبادته فسيحشرهم إليه جميعاً » (النساء ١٧٠ ــ ١٧١).

فالمسيح هو من جهة « عيسى، ابن مريم »؛ وهو أيضاً « كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ». فهو « كلمة الله » قبل إلقائه إلى مريم؛ و« كلمة الله » ذات، لا مجرد كلام أو أمر، لأنه « روح منه »: فهذا الترادف المتلازم بين اللقبيْن « كلمته وروح منه » يقضي على كل تفسير، سوى الذات القائمة قبل إلقائه إلى مريم، وبعده. فالمسيح بصفة كونه « كلمته وروحاً منه » تعالى موجود قائم قبل أمه مريم. وهو ابنها بصفة كونه « عيسى، ابن مريم ». فالثنائية في شخصية المسيح قائمة صريحة. هذا ما يشهد به الواقع القرآني.

***

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بحث أوّل

الواقع القرآني في حقيقة المسيح

المسيح هو « عيسى، ابن مريم »؛ وهو أيضاً « كلمته وروح منه » تعالى.

وليس في ذلك من ترادف، إذْ لو صحت الوحدانية بين الصفتيْن « ابن مريم » و« كلمة الله »، لحقَّ للقرآن أنْ يسمّي كل بشر وكل رسول « كلمة الله » و« روح الله ». والحال هذا الاسم المترادف محفوظ للمسيح وحده، لا يشاركه فيه سواه، بحسب الواقع القرآني. **فالوحدانية** في شخصيّة المسيح مبنية على **ثنائية** فيه: ابن مريم ــ وكلمة الله.

أولاً ــ إن المسيح **بصفة كونه ابن مريم**، بشر يصح فيه كل صفات البشرية التي يذكرها القرآن:

١) « ابن مريم » تصح فيه الولادة والموت والبعث: « والسلام عليَّ يوم وُلدت ويوم أموت ويوم أبعثُ حيّاً » (مريم ٣٢). فهو « غلام زكي » (مريم ١٨). وهو « **عبد الله** »: « قال: إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيّاً؛ وجعلني مباركاً أينما كنت، وأوصاني بالصّلاة والزكاة ما دمت حيّاً! وبراً بوالدتي، ولم يجعلني جباراً شقيّاً » (مريم ٢٩ ــ ٣١). وفي ولادة عيسى من مريم يصح قوله: « إذا قضى أمراً فإنما يقول له: كن! فيكون » (مريم ٣٥). فبصفة كونه « ابن مريم » عليه أن يقول بكلّ حق: « وإن الله ربي وربكم، فاعبدوه، هذا صراط مستقيم » (مريم ٣٦).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

٢) « ابن مريم » يصح فيه أنْ يكون عبداً لله ومثلاً لبني إسرائيل: « ولمَّا ضرب **ابن مريم** مثلاً، إذا قومك منه يصدّون!... إنْ هو إلاّ **عبدٌ** أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل » (الزخرف ٥٧ و٥٩). وبهذه الصفة يجب أنْ يقول: « إن الله ربي وربكم فاعبدوه، هذا صراط مستقيم » (الزخرف ٦٤).

٣) « ابن مريم » يصح فيه أنْ يعيش على الأرض مثل الرسل: « وجعلنا **ابن مريم** وأمه آية، وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين: يا أيها الرسل كلوا من الطيّبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم » (المؤمنون ٥١ ــ ٥٢).

٤) « ابن مريم » يصح فيه أن يسلكه القرآن أيضاً في سلك الرسل: « ومن ذريته... زكريا ويحيى وعيسى والياس، كل من الصالحين؛ وإسماعيل واليَسَع ويونس ولوطاً، وكلاًّ فضلنا على العالمين » (الأنعام ٨٤ ــ ٨٦).

٥) عيسى، بصفة كونه « ابن مريم » يصح فيه أن يكون من أئمة دين الله مع نوح وإبراهيم وموسى ومحمد، « أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه » (الشورى ١٣).

٦) « عيسى، ابن مريم »، بهذه الصفة، يحق له أن يقفي به على الرسل، مع تمييزه عنهم جميعاً بالبيّنات وبتأييد روح القدس له في سيرته كما في رسالته (البقرة ٨٧)؛ وصح له أنْ يقول: « آمنا بالله... وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم: لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (البقرة ١٣٦ قابل ١٥١). فبصفة كونه « عيسى ابن مريم » يدخل في باب المفاضلة بين الرسل (البقرة ٢٥٣).

٧) بصفة كونه « عيسى ابن مريم » جاء « رسولاً إلى بني إسرائيل » يصدّق التوراة ويحلّ بعض أحكامها، ويدعو: « ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم » (آل عمران ٤٩ ــ ٥١).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بصفة كونه « عيسى » يصح أن يخاطب، « إذْ قال الله: يا عيسى إنّي متوفيك ورافعك إليَّ، ومطهّرك من الذين كفروا بك » (آل عمران ٥٥).

بصفة كونه « عيسى »، « إن مثل عيسى عند الله، كمثل آدم، خلقه من تراب ثم قال له: كن! فيكون » (آل عمران ٥٩).

٨) بصفة كونه « عيسى ابن مريم » يصح أن يدخل في ميثاق الله مع النبيين: « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم، ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم، وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً، ليسأل الصادقين عن صدقهم » (الأحزاب ٧).

٩) بصفة كونه « عيسى » أوحى الله إليه، « كما أوحى إلى نوح والنبيين من بعده... رسلاً مبشرين ومنذرين، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » (النساء ١٦٢ ـ ١٦٤).

١٠) بصفة كونه « عيسى ابن مريم » تقتصر نبوته ورسالته على تصديق التوراة، والتبشير « برسول يأتي من بعده اسمه أحمد » أَي الفارقليط بحسب تفسير السيرة (الصف ٦).

١١) بصفة كونه « المسيح ابن مريم » لا يكون إلهاً، ويقدر الله، إن أراد، « أن يهلك المسيح ابن مريم ومَن في الأرض جميعاً » (المائدة ١٩).

بصفة كونه « عيسى ابن مريم » « آتيناه الإنجيل فيه هدى ونور، ومصدقاً لما بين يديه من التوراة، وهدى وموعظة للمتقين » (المائدة ٤٩).

بصفة كونه « المسيح ابن مريم »، ليس إلهاً، « وقال المسيح: يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم » (المائدة ٧٥).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بصفة كونه « المسيح ابن مريم »، « ما المسيح ابن مريم إِلاَّ رسول قد خلت من قبله الرسل، وأمه صديقة! كانا يأكلان الطعام » (المائدة ٧٨).

بصفة كونه « المسيح ابن مريم » « لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً » (المائدة ٧٩).

١٢) بصفة كونه « عيسى ابن مريم » يستنكر أنه قال: « اتخذوني وأمي إلهيْن من دون الله » (المائدة ١١٩)، « ما قلت لهم، إلاَّ ما أمرتني به: أنْ اعبدوا الله ربي وربكم » (المائدة ١٢٠).

والظاهرة الحاسمة إن صفة المسيح في كل تلك المواطن « **ابن مريم** ». فالقرآن ينظر إليه فيها من حيث **بشريته**. ولا أحد يماري بحق القرآن في وصف « ابن مريم » بكل أوصاف بشريته. فهذه نظرة أولى في ناحية من شخصية المسيح. لكن المسيح ليس فقط « ابن مريم ».

*

ثانياً: المسيح هو أيضاً « كلمة الله »

بهذا الاسم الكريم يعرّف القرآن أيضاً بالمسيح، قبل ظهوره، وحين ظهوره، وبعد ظهوره. فهو يرى دائماً أنّ المسيح في سر شخصيته « كلمته وروح منه » تعالى.

١) قبل ظهور المسيح، تبشّر الملائكة زكريا بيحيى، وتصف له ميزة رسالته؛ « فنادته الملائكة وهو قائم يصلّي في المحراب: إن الله يبشرك بيحيى، **مصدقاً بكلمة من الله**، وسيداً وحصوراً ونبيّاً من الصالحين » (آل عمران ٣٩).

قال الرازي: « كلمة من الله: أيْ كتاب من الله، وهو قول أبي عبيدة. واختيار الجمهور أن المراد (بكلمة من الله) هو عيسى. وقال ابن عباس: إن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يحيى كان أكبر سناً من عيسى بستة أشهر. وكان يحيى أوّل من آمن وصدّق بأنه كلمة الله وروحه ». فيحيى يدعو للمسيح أنه كلمة الله وروح الله. فهو أبعد من كونه « ابن مريم ».

٢) حين ظهوره، تبشر الملائكة مريم بمولده منها وبسر شخصيته، « إذ قالت الملائكة: يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه، اسمه المسيح عيسى ابن مريم، وجيهاً في الدنيا والآخرة، ومن المقربين » (آل عمران ٤٥).

والقرآن يقطع الطريق على كل تفسير منحرف لمعنى « كلمة منه » بهذا البدل المرادف: « اسمه المسيح عيسى ابن مريم ». فالملائكة تبشر مريم بشخص يولد منها اسمه كلمة الله، لا بأمر منه تعالى.

فالمسيح عيسى ابن مريم هو في ذاته السامية « **كلمة منه** » تعالى. فمصدره ليس من الأرض، بل من السماء. وقبل إلقائه إلى مريم هو « **من المقربين** ». وليس من البشر المقربين بعد البعث في اليوم الآخر؛ إنما هو ملقى إلى مريم « من المقربين » في السماء، أي « الملائكة المقربين » (النساء ١٧١).

فشخصية المسيح التي تكشف الملائكة عن سرها لأمه في بشارتها به هو « كلمة الله »، « من المقربين ». فهو ينزل من السماء ليولد من مريم، فيصير « اسمه المسيح عيسى ابن مريم ». بدأت تظهر الثنائية الكيانية في شخصية المسيح.

٣) وحين ظهوره، « صدَّقت (مريم) **بكلمة ربها وكتابه** » ـ وعلى قراءة أخرى: « بكلمات ربها وكتبه » (التحريم ١٢). والقراءة الصحيحة هي « كلمة ربها وكتابه »، وهي عن مجاهد: « بكلمة الله وكتابه، أيْ بعيسى والإنجيل »؛ تؤيدها بشارة الملائكة لها « بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ».

وقوله « من روحنا » (التحريم ١٢) قد يعني الواسطة، جبريل المبشر؛

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وقد يعني وهو الأصح « من روح خلقناه بلا توسط أصل » (البيضاوي). **فهو روح من الله نفخه في مريم.** فهو إذن ليس ببشر بحت.

فقد آمنت مريم أن وليدها هو « كلمة ربها »، و« من روحه » نفخه فيها؛ فهو حي قائم قبل أمه؛ وكائن عند الله بصفة كونه « كلمة الله » و« من روحه ». إن الثنائية الكيانية في شخصية المسيح تبرز رويداً رويداً.

٤) وبعد ظهوره، يأتي النبي العربي فيقول بأمر الوحي له: « قل: يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً، الذي له ملك السماوات والأرض، لا إله إلاَّ هو، يحيي ويميت: فآمنوا بالله ورسوله، النبي الأمي الذي يؤمن **بالله وكلمته**، واتبعوه لعلكم تهتدون » (الأعراف ١٥٧). وهناك قراءة أخرى: « **بالله وكلماته** ». وهذه قراءة ضعيفة لا تستقيم مع السياق: فليس لرسول من فضل في إيمانه بكلمات الله. إنما ميزة النبي الأمي في دعوة الناس جميعاً إيمانه « **بالله وكلمته** » **أي بالله والمسيح** ــ وهذا موضوع الدعوة القرآنية كلها.

ولتخفيف وطأة تلك الشهادة « لله وكلمته » كانت تلك القراءة الضعيفة « الله وكلماته ». ومن لم يستطع أن يستغني عن قراءة « الله وكلمته » فسرّ « كلمته » مثل البيضاوي: « وقُرئ (كلمته) على إرادة الجنس، أو القرآن، أو عيسى عليه السلام »، ولكن ليس من فضل أو ميزة أن يؤمن النبي الأمي بكلام الله في كتابه أو **في القرآن.** فهذا من تحصيل الحاصل، لا من ميزة الفاضل، بصفة كونه النبي الأمي الذي يخاطب الناس جميعاً في الحجاز والجزيرة العربية.

٥) أخيراً في محاورة وفد نجران يأتي التعريف الجامع المانع للمسيح؛ « إنما المسيح عيسى ابن مريم، رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » (النساء ١٧٠). وهنا تظهر **الثنائية** جليّاً في شخصية السيد المسيح: إنه « عيسى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ابن مريم »، لكنه أَيضاً « كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ». فهو « كلمته وروح منه » قبل إلقائه إلى مريم؛ فهو قائم في الله قبل أنْ يلقيه إلى مريم.

فإن الترادف بين « كلمته وروح منه » يقطع قطعاً مبرماً بمعنى « كلمته » أنـه **ذات من الله**، « **روح منه** » **تعالى**. وهـذا « الروح منه » تعالى، الـذي اسمه وصفته وذاته أنـه « كلمته »، موجود قبل مريم فهو « **كلمته ألقاها إلى مريم** ». وقوله « روح منه » فريد فـي القرآن، يدل على مصدره: **إنه ذات الله**.

والسؤال في مصدر « كلمته وروح منه » هل هو مـن ذات الله، أو هـو روح مـن الأرواح الملائكية؟ هذا ما نراه في التحليل الصحيح لعقيدة القرآن في المسيح.

***

بحث ثانٍ

التحليل الصحيح لعقيدة القرآن في المسيح

في القرآن، غير المسيح كان آية من الله في حادثة وقعت، كعزيز الذي أماته الله مايـة عام وبعثه، « ولنجعلنّك آية للناس » (البقرة ٢٥٩)؛ أو كفرعون الذي أغرقه وأنجى بدنه لكي يكون « لمن خلقك آية » (يونس ٩٢)؛ أو كقصة خلاص نوح، « **وجعلناها آيـة للعـالمين** » (العنكبوت ١٥)، أَو قصة قوم نوح، « وجعلناهم للناس آية » (الفرقان ٣٧).

أَما المسيح فهـو **آية في وجوده كله**. هذا ما قـاله المـلاك في البشارة به لأمـه: « ولنجعله آية للناس، ورحمة منا، وكان أمراً مقضيّاً » (مريم ٢٠). ونعرف

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أن المسيح آية الله في وجوده كله، من ختام ذكره بقوله: « والسلام عليَّ يوم وُلدت، ويوم أموت، ويوم أبعث حيّاً » (مريم ٣٣). فكونه آية الله في خلقه تعالى ليس مربوطاً بمولده المعجز فقط، لأنَّ سلام الله يرافقه في المولد والموت والبعث حيّاً إلى الأبد يرفعه إلى الله.

فهو آية الله في الخلق كله منذ مولده المعجز، **وأمه آية واحدة معه:** « والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا **وجعلناها وابنها آية للعالمين** » (الأنبياء ٩١). والإعجاز في الوجود والسيرة يرافقه على الدوام: « **وجعلنا ابن مريم وأمه آية**، وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين » (المؤمنون ٥١).

فالقرآن كيفما واجه المسيح يراه آية للعالمين، من دون الناس والرسل أجمعين. فهو « آية » في أسمائه وألقابه وأوصافه وصفاته وميزاته وحالاته وخصائص رسالته؛ لكنه خصوصاً آية الله الفريدة في شخصيته بصفة كونه مسيح الله وكلمة الله وروحاً منه تعالى.

أوّلاً: ميزات المسيح العامة

١ ـ للمسيح **ثلاثة أسماء** تأتي مجتمعة أو منفردة: « المسيح عيسى ابن مريم » بهذه الأسماء يعرفه القرآن ويعرّف به (النساء ١٧٠). وبها عرفه اليهود وأنكروه وحاولوا قتله (النساء ١٥٦). وبهذه الأسماء مجتمعة بشر به الملائكة أمه (آل عمران ٤٥).

١) اسم **المسيح** يرد في القرآن إحدى عشرة مرة، على ثلاث طرق: تارة المسيح فقط (النساء ١٧١؛ المائدة ٧٥؛ التوبة ٣١)؛ وتارة « المسيح ابن مريم » (المائدة ١٩ مرتيْن؛ و٧٥ و٧٨؛ التوبة ٣١)؛ أخيراً « المسيح عيسى ابن مريم » (آل عمران ٤٥؛ النساء ١٥٦؛ و١٧٠). ونلاحظ أنَّ اسم المسيح في القرآن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لا يأتي لقباً بل اسماً على العلمية، فقد اختص به من دون العالمين؛ لا مسيح سواه.

٢) عيسى هو اسمه العلم الخاص، وهو منقول بحرفه عن اليونانية بطريق السريانية، لا عن العبرية « يشوع »، المرخمة من « يهو يشوع » أيْ « الله المخلص » أو « الله يُخلص[١] »، كما فسّره الإنجيل لأمه (لوقا ١: ٣١).

واسم عيسى نزل من السماء بحسب الإنجيل (لوقا ١: ٣١)، وبحسب القرآن (آل عمران ٤٥). وهو يرد في القرآن خمساً وعشرين مرة، على ثلاث طرق أيضاً: تارة « عيسى » وحده (الزخرف ٦٣؛ آل عمران ٥٢ و٥٥ و٥٩)؛ فيأتي دائماً على الإفراد في سلاسل الأنبياء (الأنعام ٨٥؛ الشورى ١٣؛ البقرة ١٣٦؛ آل عمران ٨٤؛ النساء ١٦٢)؛ وتارة « عيسى ابن مريم » (مريم ٣٤؛ البقرة ٨٧ و٢٥٣؛ الأحزاب ٧؛ الحديد ٢٧؛ الصف ٦؛ المائدة ٤٦ و٨١ و١١٢ و١١٥ و١١٧ و١١٩)؛ أخيراً يتوسط البدلين: « المسيح عيسى ابن مريم » (آل عمران ٤٥؛ النساء ١٥٦ و١٧٠). فعيسى بمصدره ومعناه يسمو على العالمين.

٣) « **ابن مريم** » يأتي على البدلية أو على العلمية ثلاثاً وعشرين مرة، على ثلاث طرق أيضاً. أَحياناً وحده (الزخرف ٥٧؛ المؤمنون ٥١) وأَحياناً على الترادف مع عيسى؛ تارة مع « المسيح ابن مريم »، وتارة مع « عيسى ابن مريم ». ولقب « **ابن مريم** » موروث عن الإنجيل كما كان يسميه أهل الناصرة بعد وفاة مربّيه (مرقس ٦: ٣)؛ وكان شائعاً في الأوساط السورية كما نرى في أناشيد القديس أفرام بالسريانية. و« ابن مريم » لقب شرف في القرآن، لأنه ابن التي « اصطفاها على نساء العالمين ».

---

(١) قابل تفسير العلامة لاغرنج على الإنجيل بحسب لوقا (١: ٣١).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فالثــلاثة « المسيح، عيسى، ابن مريم » أسماء علم له، يحدّد بعضها بعضاً؛ وتحصر « المسيح » في « عيسى، ابن مريم » من دون العالمين.

*

٢ ــ للمسيح أيضاً **ثلاثة أوصاف:** عبد الله، نبي الله، رسول الله.

تلك الأوصاف تأتي مترادفة، وإنْ حملت في ذاتها معنى خاصّاً.

١) « **عبد الله** » هذا هو اللقب الذي ينطق به عيسى منذ مولده، « قال: إني عبــد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيّاً » (مريم ٣١)؛ «إِنْ هو إِلاَّ عبد أنعمنا عليه وجعلنــاه مــثلاً لبنــي إسرائيل » (الزخرف ٥٩)؛ لذلك « لن يستنكف المسيح أنْ يكون عبــداً لله » (النســاء ١٧١). وفي تلك الآيات الثلاث معنى « العبودية » المقصودة لله: بالنبوة، وطاعة لله، والقدوة للنــاس. وهو لقب خاص بالمسيح عند أشعيا (٥٣) حيث « عبد يهوه » أي « عبد الله » هو الضــحية عن شعب الله، كما فهمه أيضاً دعاة الإنجيل (أعمال الرسل ٣: ٢٦).

٢) « **النبي** » هو أيضاً اللقب الذي نطق به في مولده: « آتاني الكتاب وجعلني نبيّاً » (مريم ٣١). وفيه صفة النبي، مَن أوتي كتاب الله؛ وهو وحده وُلد نبيّاً. ونبــوة المســيح فــي القرآن تسمو على كل نبوة، لأنّه ختام الذرية النبوية المصطفاة على العالمين، جيلاً بعد جيــل (آل عمران ٣٣)، ولأنَّه ختام النبوة والكتــاب، قفّى به الله على الرسل، ولم يقفّ عليه بأحــدٍ: « لقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب، فمنهم مهتــدٍ، وكثيــراً مــنهم فاسقون. ثم قفّينا على آثارهم برسلنا، وقفّينا بعيسى ابن مريم، وآتيناه الإنجيل » (الحديد ٢٧). فهو خاتمة الأنبياء، بينما محمد « خاتم النبيّين » بمعنى « مصدّق » لهم، كما هو المتواتر فــي القرآن.

٣) والمسيح هو « **الرسول** »، وهو من تعريفات القرآن به: « إنما المسيح

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

عيسى ابن مريم رسول الله » (النساء ١٧٠). كذلك صرّح لبني إسرائيل: « إنـي رسـول الله إليكم » (الصف ٦)، فقد كان « رسولاً إلى بني إسرائيل » قبـل غيـرهم (آل عمـران ٤٩؛ المائدة ٧٨). وكان اليهود يتبجحون: « إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله » (النسـاء ١٥٦). بينمـا أوحى الله إلى الحواريين « أنْ آمنـوا بي وبرسولي » (المـائدة ١١٤). **فهـو « الرسول » على الإطلاق**؛ « قال الحواريون: ربنا آمنا بما أنزلـت واتبعنـا الرسـول » (آل عمران ٥٣).

فالأوصاف الثلاثة يفسّر بعضها بعضاً، وتجعل نبوة المسيح ورسالته فـوق النبـوات والرسالات كلها، لأنّه بها قفّى عليها جميعاً: « وقفّينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل »؛ ولـم يُقفّ عليه بأحد، بحرف « التقفية » المختص.

*

٣ ــ هذا ما يظهر من **خصائص رسالته الثلاث:**

١) فقد **نال الوحي والتنزيل كله، ومنذ مولده:** « آتاني الكتاب وجعلني نبيّاً » (مـريم ٣١)، وذلك بأنه تعالى « يعلمه الكتاب والحكمة، والتوراة والإنجيل » (آل عمران ٤٨)، بينمـا غيره تعلّم الكتاب كهلاً. وكانت « نعمة » خاصة من الله للمسيح: « واذكر نعمتي عليك وعلى والدتك... إذْ علمتك الكتاب والحكمة، والتوراة والإنجيل » (المائدة ١١٣). وللمفسرين مذاهب في تفسير التعبير، ومحصّلها أنه نال الوحي والتنزيل كله، لا بعضه، أو جزءاً من الكتاب، فلا يُقال فيه: « وما أوتيتم من العلم إلاَّ قليلاً »، بل العلم كله.

٢) وامتازت رسالته على الرسالات جميعها **بتأييد روح القدس له**، « إذْ أيدتك بـروح القدس، تكلّم الناس في المهد وكهلاً » (المائدة ١١٣). فبرهان تأييد روح القـدس لـه، النبـوة طفلاً وكهلاً، أيْ « من غير أنْ يتفاوت كلامه في هذيْن الوقتيْن؛ وهذه خاصية شـريفة كانـت حاصلة له، **وما حصلت لأحد من**

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الأنبياء قبله ولا بعده » (الــرازي). ومن نتــائج تأييد روح القدس لــه المعجزات البيّنــات: « وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات، وأَيدناه بروح القدس » (البقرة ٨٧ و٢٥٣)، فقــد « جعــل معجزاته سبب تفضيله لأنها آيات واضــحة ومعجــزات عظيمــة **لــم يســتجمعها غيــره** » (البيضاوي). وكان تأييد روح القدس لجميع الرسل يقتصر على حال الوحي؛ بينما تأييــد روح القدس للمسيح كان دائماً في سيرته ورسالته، في جميع أقواله وأعماله وأحواله، **يســير معــه حيث سار** » (الجلالان)، « لا يفارقه ساعة » (الرازي). وهناك تأييد في شخصيته نذكره بعــد حين.

٣) وامتازت رسالته **باستجماع المعجزات البيّنات**، منها ما تفرّق عند غيره، ومنها ما انفرد به على المرسلين أجمعين: « ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم: أني أخلق لكم من الطّين كهيئة الطير فأنفخ فيها فيكون طيراً بإذن الله ــ وأبرئ الأكمه والأبــرص ــ وأحيي الموتى بإذن الله ــ وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم: إن في ذلك لآية لكم إنْ كنتم مؤمنين » (آل عمران ٤٩ قابل المائدة ١١٣).

يذكر **أربعة أنواع من المعجزات**: الخلق، والإبراء، والإحياء، وعلم الغيب.

فالقدرة الإلهية فيه على **الإبراء** كانت فوق طاقة البشر والمخلوقين، وخــصّ بالــذكر منها إبراء الأكمه والأبرص. « وروي أنّه عليه الصلاة والسلام ربما اجتمع عليــه **خمســون ألفاً من المرضى**، مَن أطاق منهم أتاه، ومن لم يطق أتاه عيسى. وما كانت مداواته إلاّ بالدعاء وحده » (البيضاوي)؛ « فأبرأ في يوم **خمسين** ألفا بالدعاء، بشرط الإيمان » (الجلالان).

والنوع الثاني **علم الغيب**، وهذا قد انفرد به عيسى: « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ». ونعرف من الإنجيل أن علم الغيب في المســيح كــان يشــمل غيــب الخــالق والمخلوق.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

النوع الثالث **إحياء الموتى**. والتعبير يأتي بلفظ الجمع. فلا يقتصر على حادث فرد، كما جرى لأليشع (اليسع). إنّما كان إحياء الموتى قدرة إلهية فيه خاصة شاملة. وكانت قدرة إلهية فيه، ولو قيّد فعلها « بإذن الله ». وهذه القدرة الإلهية ترفع المسيح على المرسلين أجمعين. كذلك يشهد لها القرآن مرتيْن.

النوع الرابع، وهو الأول في الذكر: « **إِني أخلق لكم** »، معجزة خلق الطير من طين بنفخة من فمه القدوس، هي معجزة المعجزات التي لا يذكر القرآن مثلها لأحد من العالمين. وهي قدرة إلهية فيه، ولو قيّدها « بإذن الله ». ونلاحظ أنّ القرآن لا يستخدم تعبير الخلق إلاَّ بحق الله، سبحانه، وبحق المسيح معه: « إني أخلق لكم »؛ ويكرّرها « **إذ تخلق** » (المائدة ١١٣)، حيث الله تعالى نفسه يشهد للمسيح بالخلق، « بإِذني ». لقد أذن له الله « فخلق ». وهذه الميزة الفريدة، بل القدرة الإلهية، ترفع المسيح فوق المخلوقين أجمعين. **فالقرآن دعوة لله وللمسيح معه.**

تلك هي الخصائص الثلاث التي امتازت وانفردت بها رسالة المسيح.

*

٤ ــ للمسيح في بشريته **ثلاث صفات:** الزكي، المبارك، البتول.

١) قال الملاك لأمه، وهو يبشرها به: « إِنما أنا رسول ربك لأهب (ليهب) لك **غلاماً زكيّاً** » (مريم ١٨) أيْ « مزكًّى بالنبوة » (الجلالان)؛ « **طاهراً من الذنوب**، أو **نامياً على الخير** أيْ مترقياً من سنّ إلى سنّ على الخير والصّلاح » (البيضاوي). نلاحظ أن ابن مريم « طاهر من الذنوب » منذ البشاره بالحبل به، فقد **ولد على العصمة الأصلية**؛ وعاش أيضاً على **العصمة الفعلية** في ذاته وفي سيرته وفي رسالته؛ بينما تقتصر عصمة الأنبياء غيره على العصمة في الوحي والتنزيل، لا في الرسالة ولا في السيرة ولا في الشخصية، كما قيل في النبي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

العربي « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » (الفتح ٢). وتلكما العصمة الأصلية والفعلية في المسيح يؤكدها أيضاً في قوله: « وأعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » (آل عمران ٣٦)؛ « وفي الحديث: ما من مولود يولد إلاَّ مسّه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً، **إلاّ مريم وابنها**. رواه الشيخان » (الجلالان)؛ « ومعناه أن الشيطان يطمع في إغواء كل مولود بحيث يتأثر منه، إلاَّ مريم وابنها فإن الله تعالى **عصمهما** ببركة الاستعاذة » (الزمخشري والجلالان). فالكتاب والحديث يشهدان بعصمة المسيح منذ مولده.

٢) والمسيح يشهد لنفسه منذ مولده: « **وجعلني مباركاً أينما كنت** » (مريم ٣٠). فهو **المبارك** على الدوام، فبركة الله كلها تحل عليه، حتى صار « نفَّاعاً، وقيل معلماً للخير » (الزمخشري). ومن بركات الله عليه « أوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيّاً » (مريم ٣٠)؛ فهو رجل الصلاة، ورجل الزكاة من كل إثم مدى حياته. لذلك يعتبره الصوفيون « سيد الأولياء » بل « ختم الأولياء ».

٣) والمسيح **هو البتول**، ابن البتول. فقد ولد بتولاً، وعاش بتولاً، وارتفع إلى السماء بتولاً. والقرآن يسميه « ابن مريم » لأنه لا أب له؛ ولا يدعوه (أبا فلان) كعادة العرب، لأنه عاش بتولاً، أو كما يقول في سابقه المبشّر به، يحيى بن زكريا، « **حصوراً** » أيْ « مبالغاً في حبس النفس عن الشهوات والملاهي » (البيضاوي)؛ فقد ارتفع فوق حاجة الرجل إلى حواء، بحسب الحديث، « المرأة شرّ كلها وشرّ ما فيها أنّه لا بدّ منها ». وهذه خاصية انفرد بها وحده بين البشر.

فتلك صفات ثلاث للمسيح في بشريته، انفرد بها على العالمين وعلى المرسلين أجمعين.

*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

٥ ــ للمسيح في **رسـالته ثـلاث ميزات أيضاً:** إنه « المثل » الـذي أعطـاه الله؛ و« الوجيه في الدنيا والآخرة »، « ومن المقربين ».

١) المسيح هو **المثل في الحياة:** « ولما ضُرب ابـن مـريم مـثلاً، إذا قومـك منـه يصدون. وقالوا: أآلهتنا خير أم هو! ــ ما ضربوه لك إلاَّ جدلاً، بل هم قوم خصمون؛ انْ هـو إلاَّ عبد أَنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل » (الزخرف ٥٧ ــ ٥٩). فالقرآن يضرب ابـن مريم مثلاً للعرب، أيْ يدعو له ــ **فالقرآن دعوة للمسيح** ــ فضـجّوا وضـحكوا « وقـالوا: أآلهتنا خير أم هو »؛ يفسّره قوله: « لن يستنكف المسـيح أن يكـون عبـداً لله ولا الملائكـة المقربون » (النساء ١٧١). فآلهتهم التي يفاضلون بها دعوة القـرآن للمسـيح هـم الملائكـة المقربون. ولم يجعـل الله الملائكة مثلاً للبشر. إنمـا جُعل ابن مريم وحـده « مـثلاً لبنـي إسرائيل » ومن ورائهم للعالمين، كما يقدمه القرآن للعرب. ولا يصح مثلاً في الحياة للعـالمين إلاّ من جعله الله « مباركاً أينما كنت، وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيّاً ». بينما النبـي العربي كان « أسوة حسنة » في الجهاد.

٢) وكان المسيح « **وجيهاً في الدنيا والآخرة** ».

إن المسيح بشخصيته ورسالته « **وجه** » الدنيا والآخرة: « وجيهاً **ذا وجه** (في الـدنيا) بالنبوة، (والآخرة) **بالشفاعة والدرجات العلا** » (الجلالان)؛ « الوجاهة في الدنيا النبوة، وفـي الآخرة الشفاعة » (البيضاوي)؛ « الوجاهة في الدنيا النبوة **والتقدم على الناس**، وفي الآخـرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة » (الزمخشري)؛ « الوجاهة في الدنيا هي النبوة، أو اسـتجابة دعائه، أو براءته من العيوب! وفي الآخرة الشفاعة، أو علو درجته ومنزلته، أو كثرة ثوابـه » (الرازي).

فالمسيح في الدنيا وجه الناس بالنبوة والتقدم عليهم وبراءته من العيـوب، واسـتجابة دعائه فهو الشفيع المشفّع للأنام؛ وفي الآخرة هو وجهها، بالشفاعة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

في يوم الدين ــ وهذا بالاجماع ــ وهو دور لا يصرّح به القـرآن إلاّ للمسـيح وحـده، مـع الملائكة المقربين، لأنه في ذاته أحدهم (النساء ١٧٠ و١٧١)؛ وهو وجه بكثرة ثوابـه؛ وهـو أخيراً وجه الجنة لعلو درجته فيها، وجلوسه، في الدرجات العلا منها. فالوصف يرفع المسـيح فوق المخلوقين في الدنيا والآخرة، **وجهاً وجاهاً**.

٣) والمسيح « **من المقربين** » كذلك في الدنيا والآخرة. وقد يعني التعبير «المقربين» لدى الله على العموم. إنما يعني على الخصوص « الملائكة المقربين » بصفة كونه « كلمتـه وروحـاً منه » (النساء ١٧٠ ــ ١٧١). وبالتصريح بأنه « روح منه » تعالى، أي ملاك مـن « الملائكة المقربين » يرفعه القرآن فوق البشر والمرسلين أجمعين؛ وبما أنـه « وجيـه فـي الآخرة » فهو وجه « الملائكة المقربين » أنفسهم، وهذا يرفعه فـوق المخلـوقين أجمعـين، ويجعله في صلة خاصة مع الخالق، فوق المخلوقين.

فتلك ميزات ثلاث للمسيح في رسالته ومنزلته، ينفرد بها على المخلوقين أجمعين.

*

٦ ــ للمسيح في سيرته **ثلاثة مواقف** يشمله فيها سلام الله كله: « والسلام علـيَّ يـوم ولدت، ويوم أموت، ويوم أبعث حيّاً » (مريم ٣٢).

يقول في يحيى بن زكريا: « وسلام عليه يوم ولد، ويوم يموت ويـوم يبعـث حيّـاً » (مريم ١٤). والفروق بين يحيى وعيسى كثيرة. فيحيى يقول فيه « سلام عليه » على النكـرة التي تفيد التبعيض؛ أما المسيح « فالسلام » عليه، على المعرفة التي تقتضي الشمول والكمال: فسلام الله كله يحل عليه في تلك المواقف الثلاثة؛ وهذا برهان انفراده ومنزلته الوحيدة فيهـا. و« سلام عليه » خبر عن يحيى؛ أما المسيح فهو الذي يشهد لنفسه بمعجزة نطقه في مهـده إن سلام

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الله كله سيرافقه في سيرته ورسالته كلها؛ وهذا ما لا يشير القرآن بشيء منه إلى غيره. وقد اختص بالذكر تلك المواقف الثلاثة « لأنها أوحش المواطن » (الزمخشري)، وفي ذكرها كناية عن غيرها. فسلام الله كله يشمل المسيح في سيرته ورسالته وشخصيته جميعاً؛ ومعجزة نطقه بها في مهده برهان تحقيق الله لها.

١) « **والسلام عليّ يوم ولدت** »! هذا ختام قصة مولد المسيح المعجز. والإعجاز يكتنفه من كل جهة. جبريل، أحد المقربين يبشر به أمه؛ وهذا لم يحدث لرسول. وأمه وحدها في القرآن خاتمة الذرية المصطفاة على العالمين (آل عمران ٣٣)، ووحدها يقول فيها: « إن الله اصطفاك وطهّرك، واصطفاك على نساء العالمين » (آل عمران ٤١)، فقد اصطفاها، أولاً بمولدها في حال العصمة؛ ثم اصطفاها لمولدها المعجز للمسيح. ومولد المسيح المعجز لا مثيل له في أخبار القرآن كلها، انفرد به على العالمين والمرسلين، فاستحق سلام الله كله عليه.

٢) « **والسلام عليّ... يوم أموت** »: لقد استحق بعض هذا السلام سابقه والمبشر به يحيى بن زكريا؛ أما المسيح فيستحق سلام الله كله في يوم موته لأنه موت معجز، « إذ قال الله: يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليَّ » (آل عمران ٥٤) وهذا ما لم يحصل ليحيى ولا لغيره من الرسل، بل انفرد به المسيح وحده. وحده المسيح لم يخضع لسلطان الموت، بينما كل العالمين والمرسلين، بسلطان الموت مقهورون. وانتصار المسيح على سلطان الموت يستحق سلام الله كله.

٣) « **والسلام عليّ... يوم أبعث حيّاً** ». وهذا البعث حيّاً يتم للحال بعد وفاته: « إذ قال الله: يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ » (آل عمران ٤٢)، بينما جميع الرسل، ويحيى نفسه ينتظرون البعث في اليوم الآخر. فالمسيح وحده في العالمين والمرسلين مبعوث حيّاً منذ ألفي سنة. **وهذا البعث يقترن بالرفع إلى الله في السماء:** « بل رفعه الله إليه » (النساء ١٥٦). قال الرازي (على آل عمران ٥٥ ــ ٥٦): « واعترفوا بأن الله تعالى شرّف عيسى بهذه الآية بصفات:

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الأولى الوفاة المعجزة؛ الثانية الرفع إلى ملكوت الله، إلى محل كرامته تعالى، وجعل ذلك (رفعاً) إليه للتفخيم والتعظيم؛ الثالثة تطهيره من الذين كفروا، وكما عظّم شأنه بلفظ الرفع إليه، أخبر عن معنى تخليصه منهم بلفظ التطهير؛ والرابعة تفوّق المؤمنين بالمسيح على الكافرين به، بالقهر والسلطان والاستعلاء إلى يوم القيامة، وبالحجة والبرهان والفوقية بالرفعة والدرجة. إنه تعالى بشّر عيسى عليه السلام بأنه يعطيه في الدنيا تلك الخواص الشريفة والدرجات الرفيعة العالية؛ وأما في القيامة فإنه يحكم بين المؤمنين به وبين الجاحدين برسالته ». وهكذا يكون الإيمان أو الكفر بالمسيح من موازين يوم الدين؛ وهذا يرفع المسيح فوق المخلوق إلى الخالق، ملك يوم الدين.

فتلك مواقف ثلاثة للمسيح في سيرته ومصيره لا يطاله فيها أحد من العالمين.

*

٧ ـ للمسيح أخيراً **ثلاث حالات في شخصيته** ترفعه على المخلوقين: تأييده بروح القدس، واختصاصه بالقدرة الإلهية على الإحياء والخلق، وانفراده بالرفع إلى الله في السماء. ذكرناها بالنسبة لسيرته ورسالته؛ والآن نفصلها بالنسبة لشخصيته في ذاته.

١) « **وأيدناه بروح القدس** » (البقرة ٨٧ و٢٥٣ قابل المائدة ١١٣). قال البيضاوي: « أراد به جبريل، أو **روح عيسى**، ووصفها به لطهارته من مسّ الشيطان، أو لكرامته على الله تعالى ولذلك أضافها إلى نفسه تعالى؛ أو لأنّه لم تضمه الأصلاب ولا الأرحام الطوامث ». قال الزمخشري: « بروح القدس أيْ **بالروح المقدسة**، ووصفها (بالقدس) كما قال (وروح منه) فوصفه بالاختصاص والتقرب للكرامة ». وقال الرازي: فيه ثلاثة أقوال، منها قول أبي مسلم: « إن روح القدس الذي أيده به يجوز أنْ يكون الروح الطاهرة التي نفخها الله تعالى فيه وأبانه بها عن غيره ممن خلق من اجتماع نطفتي الذكر والأنثى ».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فمن معاني التعبير « أيدناه بروح القدس » أنه **روح عيسى**، وهي « روح الله » كما قال الحسن، « والاسم الأعظم الذي كان يُحيى يه عيسى عليه السلام الموتى » كما قال ابن عباس. والرازي يقابل التعبير بالصفة « روح منه » (النساء ١٧٠)، وفي الوجه الخامس من معانيه يقول: « روح منه، أدخل التنكير في لفظ (روح) ولذلك يفيد التعظيم؛ فكان المعنى: **روح من الأرواح الشريفة القدسية العالية**. وقوله (منه) إضافة لذلك الروح إلى نفسه تعالى لأجل التشريف والتعظيم ». **فروح القدس هو روح الله الذي تكوّن منه عيسى**؛ فليس روحاً إنسانية؛ إنما هي فوق الإنسان، بل فوق الملاك، لأنها « روح القدس » أي الله، « روح منه » أي صادرة منه تعالى (البيضاوي).

٢) « **وإذ تخلق بإذني... وإذ تحيي الموتى بإذني** » (المائدة ١١٣). فالقرآن ينسب للمسيح القدرة الإلهية على الإحياء وعلى الخلق، ولو قيدها « بإذني » أو « بإذن الله ». فهي قدرة ذاتية وصوفها « **بالاسم الأعظم** » الذي كان به عيسى يخلق ويحيي. فروح القدس، الاسم الأعظم، الذي به يخلق المسيح ويحيى، هو ذاته السامية التي ترفعه فوق المخلوق إلى صلة ذاتية خاصة بالخالق نفسه، سبحانه وتعالى.

٣) « **ورافعك إليّ** » (آل عمران ٥٥) « **بل رفعه الله إليه** » (النساء ١٥٧). قال الرازي: « **ورفع عيسى عليه السلام إلى السماء ثابت بهذه الآية**؛ ونظير هذه الآية قوله في آل عمران (إني متوفيك ورافعك إليّ). ودلّ ذلك على أن رفعه إليه أعظم في باب الثواب من الجنة ومن كل ما فيها من اللذات ». فقضية رفع المسيح حيّاً إلى الله نفسه في السماء ثابتة بنص القرآن القاطع، مهما تحذلق المفسرون المعاصرون الذين يحاولون عبثاً التقليل من هذه الحقيقة التي ترفع المسيح وحده ــ من دون العالمين ــ إلى جوار الله في سمائه وخلوده وحياته الصمدانية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فتلك الحالات الثلاث في شخصية المسيح، بحسب القرآن، تجعله أقرب إلى الخالق منه إلى المخلوق، كما سيتضح أيضاً من صفاته الذاتية.

*

ثانياً: ميزات المسيح الخاصة الذاتية

في التعريف بالمسيح يقول: « إنما المسيح... كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » (النساء ١٧٠). إنه « ابن مريم »؛ وإنه أيضاً مسيح الله، وكلمة الله، وروح منه تعالى. ففي تفسيرها كما فهموها سر شخصية المسيح في ذاته السامية.

١ ــ إنه مسيح الله

لقد أبدع المفسرون بإيضاح معنى هذا الاسم الكريم.

١) قال البيضاوي: « سُمّي كذلك لأنه مُسح بالبركة » ــ ولم يُمسح غيره من المخلوقين ببركة الله مسحاً؛ فكان هو مسيح الله.

« أو مُسح بما طهّره من الذنوب » ــ ولم ينلْ أحد هذه **العصمة الفعلية** من الذنوب، فهو مسيح الله المعصوم.

« أو مسحه جبريل صوناً له من مسّ الشيطان » ــ ولم ينلْ أحد من العالمين ولا من المرسلين هذه **العصمة الأصلية** من كلّ شر أو إثم. فهو مسيح الله المعصوم على الإطلاق.

« أو مسح الأرض ولم يقم في موضع » ــ وهذا عمل أقرب إلى فعل الخالق منه إلى عمل المخلوق. فهو المسيح على الإطلاق لدى الله.

٢) وقال الرازي، مستجمعاً جميع ما قيل في تفسيره:

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

« قال ابن عباس: إنما سُمّي (مسيحاً) لأنّه ما كان يمسح بيده ذا عاهة إلاّ بـرئ مـن مرضه » ـ وهذه قدرة إلهية فوق طاقة المخلوق.

« وقال أحمد بن يحيى: لأنه كان يمسح الأرض، أيْ يقطعها في المـدة القليلـة » ـ وهل يقوى بشر على ذلك؟

« لأنه كان يمسح رأس اليتامى لله تعالى » ـ فمسحته تقديس لله.

« لأنه مُسح من الأوزار والآثام » ـ فهو وحده المعصوم على الإطلاق كما يدل عليه اسمه، مسيح الله.

« لأنه مسحه جبريل بجناحه وقت ولادته ليكون له ذلك صوناً من مسّ الشيطان » ـ فهو وحده مسيح الله، لا سلطان للشيطان عليه، فهو فوق قدرة سلطان الظلمة.

« لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن » ـ فمسيح الله يمتاز عن كل مولود حتـى بالمحسوسات.

فالسيد المسيح يدل اسمه على العصمة، وعلى القدرة الإلهية، وعلى القداسـة الذاتيـة، التي تجعله في ذاته أقرب إلى الخالق منه إلى المخلوق؛ فهو وحده مسيح الله. فترى كما مسحة المسيح ترفعه بلا مقابلة فوق مسحة النبوة؛ وترفعه فوق المخلوق إلى صـلة خاصـة ذاتيـة بالخالق.

*

٢ ـ إنه « كلمة الله ».

قد استجمع الرازي تفاسيرهم بقوله (على آل عمران ٣٩):

١) « سمي عيسى (كلمة الله) من وجوه: إنه خُلق بكلمة الله وهو قوله (كن) من غيـر واسطة الأب، كما يُسمى المخلوق خلقاً، وهو باب مشهور في

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

اللغة » ـ لو صح ذلك لكان آدم أولى بالاسم؛ لكنه علمٌ مختص بالمسيح وحده دليلاً على ذاته.

٢) « إنه تكلّم في الطفولية، وآتاه الله الكتاب في زمن طفوليته فكان في كونه متكلماً بالغاً مبلغاً عظيماً؛ فسمي « كلمة » أي كاملاً في الكلام » ـ فالإعجاز فيه صفة ذاتية، لا في المنزل إليه فقط. وهذا الإعجاز الكامل في الكلام برهان ذاته.

٣) « إن الكلمة كما أنها تفيد المعاني والحقائق، كذلك كان عيسى **يرشد إلى الحقائق والأسرار الإلهية**، كما يُسمي القرآن روحاً » ـ لم يسمِّ القرآن روحاً، إنما التعبير « أوحينا إليك روحاً من أمرنا » (الشورى ٥٢) أيْ ملاكاً جاءه في رؤيا حراء، كما تدل الآية السابقة على طرق الوحي الثلاث. فالمسيح بصفة كونه (كلمة الله) كان « يرشد إلى الحقائق والأسرار الإلهية »، فهو يعرف غيب الله ويكشفه لعباده. وعلم الغيب صفة إلهية يتمتع بها المسيح لأنه « كلمة الله ».

٤) « لأنه حقق كلمة بشارة الأنبياء به، كما قال (وحقت كلمة ربك) » ـ وحده بشّر به الأنبياء، وهو وحده حقق بشارتهم به، فهو « كلمة ربك » في سيرته ورسالته، كما هو « كلمة الله » في ذاته.

٥) « إن الإنسان يُسمى (فضل الله) و(لطف الله)، فكذا عيسى عليه السلام كان اسمه العلم (كلمة الله) و(روح الله) » ـ ولكنه اسم علم من الله نفسه، لا من البشر: « إذْ قالت الملائكة: إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم » (آل عمران ٤٥). وعندما يُنزل الله اسماً على شخص فهو دليل على ذاته؛ وليس فقط على العلمية.

٦) أضاف الرازي (على آل عمران ٤٥): « سُمّي كلمة الله **كأنه صار**

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

عين كلمة الله الخالقة له بوجوده المعجز » ــ وهذا برهان إعجازه في ذاته: إنه كلمة الله عينها.

٧) « أو لأنه أبان كلمة الله أفضل بيان » ــ وهذا برهان إعجازه في كلامه، لا في التنزيل إليه فقط؛ وإعجاز غيره يقتصر على التنزيل.

لكن كل تلك التفاسير قاصرة، بسبب الترادف **بين** « **كلمته** » **وبين** « **روح منه** » أي « روح صدر منه » تعالى (البيضاوي). لذلك استدراك الرازي وقال: « اعلمْ أنّ كلمة الله هي كلامه. وكلامه على قول أهل السنة: **صفة قديمة قائمة بذاته** ». لكن الرازي يرفض هذه النتيجة الحتمية لأنها برهان إلهية « كلمة الله »؛ وكان عليه أنْ لا ينسى مرادفها: « روح منه ».

فالمسيح هو « كلمة الله »، أيْ « عين كلمة الله » وهي « صفة قديمة قائمة بذاته » تعالى. هذا منطوق الاسم الكريم، كما ورد في الإنجيل بحسب يوحنا (١: ١ ــ ٤)؛ والقرآن « تصديق الذي بين يديه (قبله) وتفصيل الكتاب » (يونس ٣٦). فإنْ تشابه الاسم في القرآن، « فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك ». لكن القرآن يرفع التشابه بالجزم أن « كلمة الله » هو « روح منه » تعالى.

*

٣ ــ إنه « روح منه » تعالى.

يبلغ التشابه ذروته، في القرآن، في تعبير « الروح ». نرى أولاً الواقع القرآني في تعابير الروح؛ ثم ندرس تفاسيرهم لقوله: « روح منه ».

١) تعابير « الروح » في القرآن متعددة متنوعة.

قد يأتي تعبير « روح » على أسلوب ما بين **المجاز** والحقيقة في موضعيْن: « أولئك كتب في قلوبهم الإيمان، وأيدهم بروح منه » (المجادلة ٢٢) أي « بنور »

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

(الجلالان). وقال يعقوب لبنيه: « يا بني اذهبوا فتجسّسوا من يوسف وأخيه، ولا تيأسوا من روح الله، إنّه لا ييأس من روح الله إلاَّ القوم الكافرون » (يوسف ٨٧)؛ هنا روح الله يعني « رحمته » (الجلالان). وقد يكون التعبير كناية عن الملائكة الحفظة الذي وكلهم الله بحراسة البشر.

ـ وقد يأتي التعبير كناية عن **روح الإنسان،** كما في قوله: « وإذ قال ربك للملائكة: إني خالق بشراً من صلصال، من حماٍ مسنون: فإِذا سويته ونفخت فيه من روحي، فقعوا له ساجدين » (الحجر ٣٨ و٣٩؛ ص ٧٢)؛ وقوله: « ونفخ فيه من روحه » (آلم السجدة ٩).

ـ وقد يأتي كناية عن **ملاك الوحي** الذي أوحى إلى النبي العربي في غار حراء: « قلْ: نزّله روح القدس » (النحل ١٠٢)؛ « نزل به الروح الأمين » (الشعراء ١٩٣)؛ « أوحينا إليك روحاً من أمرنا » (الشورى ٥٢). فالروح الأمين، روح القدس، هو روح من أمر الله أي مخلوق، هو جبريل نفسه بحسب تصريحه: « قلْ: من كان عدوّاً لجبريل، فإِنّه نزّله على قلبك بإِذن الله، مصدقاً لما بين يديه، وهدى وبشرى للمؤمنين » (البقرة ٩٧). وقد سمّى جبريل « روح القدس » على الإضافة إلى « القدس » أيْ الله، للتشريف؛ وهو غير قوله في عيسى: « وأيدناه بروح القدس » (البقرة ٨٧ و٢٥٣) كما سنرى. قيل إن « روحاً من أمرنا » (الشورى ٥٢) قد تعني القرآن بسبب القرينة « **أَوحينا** إليك روحاً من أَمرنا »، وهذا يتعارض مع الآية السابقة (الشورى ٥١) التي تفصّل طرق الوحي الثلاث: الوحي المباشر مع عيسى، والوحي من وراء حجاب مع موسى، والوحي بالواسطة، واسطة ملاك الوحي، فهو « روح من أمرنا ».

ـ والروح هو أيضاً **الملاك الذي بشّر مريم بالمسيح:** « فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويّاً » (مريم ١٦). وهذا الملاك نفخ في مريم فحملت بالمسيح: « ونفخنا فيها من روحنا » (الأنبياء ٩١)؛ فنفخنا فيه (فرجها) من روحنا »

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

(التحريم ١٢). فقوله « من روحنا » يعني على الفاعل الملاك النافخ في مريم؛ وعلى المفعول الروح المنفوخ في مريم، كما سنرى.

ــ ويأتي « **الروح** » **على العلمية** في صلة مع الملائكة؛ أوّلاً في الــوحي والتنزيــل: ينزّل الملائكة **بالروح** على مَن يشاء من عباده أن أنذروا أنّه لا إله إلاَّ أنا فاتقون » (النحل ٢) في هذا التعبير قد يكون « الروح » منزلاً الملائكة، على الفاعل؛ أو منزلاً بالملائكــة، علــى المفعول: فعلى المفعول يعني « الوحي » (الجلالان)، وعلى الفاعل يكون « الــروح » ســيد الملائكة، وهو الأصح. ثانياً في ليلة القدر « تنزّل **الملائكة والروح** فيها بإذن ربهم مــن كــل أمر » (القدر ٤) هنا يظهر « الروح » متميزاً عن الملائكة في قضاء أقدار الله من كل أَمــر: فمن هو؟ ثالثاً في يوم القيامة « تعرج الملائكة **والروح** إليه (الله ذي المعارج) في يــوم كــان مقداره خمسين ألف سنة » (المعارج ٤)؛ هنا أيضاً يتميز الروح عن الملائكة: فمن هو؟ رابعاً في يوم الــدين، يوم يقوم **الروح والملائكة** صفّاً لا يتكلمون إلاَّ من أذن لــه الرحمــان وقــال صواباً » (النبأ ٣٨). هنــا أيضاً يتميز الروح عن المــلائكة **ويتقدمهم** كأنه ســيدهم؛ ومثول « الروح » أمام الخالق الديان الرَّحمان لا يتكلّم بإذنه، قرينة ظــاهرة علــى أن « الــروح » مخلوق، مثل الملائكة. لكن من هو؟

ــ ويأتي « **الروح** » **أيضاً على العلمية** في صلة مع الوحي: « رفيــع الــدرجات ذو العرش يُلقي الروح من أمره على مَن يشاء من عباده، لينذر يوم التلاق » (غافر ــ المــؤمن ١٥) أي يوم القيــامة والحشر في (النحل ٢) « ينزّل الملائكة بالروح على مَــن يشــاء مــن عباده »، أمَّا في (غافر ١٥) فالروح وحده يُلقى على الأنبياء، فكأنه يتميز عن الملائكة: فمــن هو؟

ــ أخيراً يأتي « **الروح** » **كذات المسيح، في ثلاثة تعابير:**

التعبير الأول الصريح القاطع هو في التعريف المشهور بالمسيح: « إنما المسيح

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

عيسى ابن مريم، رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه... لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله، ولا الملائكة المقربون » (النساء ١٧٠ ـ ١٧١). نلاحظ أولاً أن قوله « روح منه » هو مرادف على البدلية من « كلمة الله »، وهذا الترادف يقطع يقطع بأن « كلمته » **ذات قائمة بنفسها،** لا مجرد كلام الله أو أمر الله؛ وثانياً أن التعبير « **روح منه** » وحيد فريد في القرآن لا يأتي فيه إلاَّ بحق المسيح، وسنرى تفاسيرهم لهذا التعبير، وجوهرها أن كلمة الله بمنزلة « روح منه » تعالى، أيْ بمنزلة ملاك؛ لذلك فهو يجعله مع الملائكة المقربين «عبداً» لله، لا ربّاً معبوداً؛ مع أن التعبير « روح منه » يدل على أكثر من ذلك، على **صدور خاص من الله؛** وثالثاً إن وصف المسيح بأنه « روح منه » يكشف معنى كامناً في التعبيريْن الآخريْن.

التعبير الثاني: « وأيدناه بروح القدس » (البقرة ٨٧ و٢٥٣)؛ « وإذا أيدتك بروح القدس » (المائدة ١١٣) له معنيان: الظاهر وهو أن « روح القدس » هو غير روح المسيح، وهو الذي يؤيد المسيح في فعله المعجز؛ ومعنى باطن وهو أن « **روح القدس** » في هذا التعبير يعني **ذات روح المسيح.** وفسّروه: « بروح القدس أي بالروح المقدسة، أَراد به جبريل، **أو روح عيسى** ــ ووصفها به لطهارته من الشيطان، أو لكرامته على الله تعالى ولذلك أضافها إلى نفسه تعالى، أو لأنه لم تضمه الأصلاب ولا الأرحام الطوامث ــ أو الإنجيل؛ أو **اسم الله الأعظم** الذي كان يحيى به الموتى » (البيضاوي) ــ « بروح القدس أي بالروح المقدسة؛ ووصفها « بالقدس » كما قال « وروح منه » فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة؛ وقيل: لأنه لم تضمه الأصلاب ولا الأرحام الطوامث؛ وقيل: بالإنجيل، كما قال في القرآن « روحاً من أمرنا »؛ وقيل **باسم الله الأعظم** الذي كان يُحيي الموتى بذكره (الزمخشري) ــ « في تفسيره أقوال: الأوّل قال الحسن: القدس هو الله تعالى، وروحه جبريل عليه السلام؛ والذي يدل على أن « روح القدس جبريل عليه السلام قوله تعالى « قلْ: نزّله روح القدس؛ والقول

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الثاني وهو المنقول عن ابن عباس: **إن روح القدس هو الاسم** الذي كان يُحيي به عيسى عليه السلام الموتى؛ والقول الثالث وهو قول أبي مسلم: إن روح القدس الذي أيده به يجوز أن يكون الروح الطاهرة التي نفخها الله تعالى فيه، **وأبانه بها عن غيره** ممن خلق من اجتماع نطفتيْ الذكر والأنثى » ــ وهذه الأقوال الثلاثة متواترة منذ الطبري. أمّا قولهم بأنّ « روح القدس » الذي تأيّد به المسيح هو جبريل، فقد جاء على المشاكلة مع « روح القدس » الذي جاءَ محمداً بالوحي. وأما قولهم بأنه الإنجيل، فهذا بعيد الاحتمال، لأن الإنجيل ليس « روحاً منه » تعالى. وأما القول بأنه « الاسم الأعظم » فهو يدل على قدرة إلهية في المسيح تقدر على الإحياء والخلق، وترفع المسيح فوق المخلوق. أخيراً يبقى أن « **روح القدس** » **في المسيح هو ذات المسيح**، ويدل عليه قوله « روح منه »، حيث ذات المسيح روح القدس أيْ روح الله الحالّ فيه، فهو روح قدس فوق البشر من عالم الأرواح الملائكية، مثل قوله « من المقربين » (آل عمران ٤٥) أيْ من « الملائكة المقربين » (النساء ١٧١)؛ فيكون ذات عيسى **ملاكاً في إِنسان.**

وهذا ما يعنيه التعبير الثالث: « نفخنا فيها من روحنا »، « نفخنا فيه من روحنا ». فعلى الفاعل يكون « روحنا » ملاك البشارة النافخ؛ وعلى المفعول يكون « روحنا » هو المنفوخ في المسيح. والنتيجة من التعابير الثلاثة أن المسيح « روح منه » تعالى أي ملاك « من المقربين » ألقاه إلى مريم فكان المسيح عيسى ابن مريم. فكلها تقود إلى **ثنائية في شخصية المسيح:** إنه ملاك ألقي إلى مريم. لكن تعبير « روح منه » يدل على أكثر من ذلك، على صلة مصدرية خاصة من الله تعالى، كما سنرى.

فتلك **التعابير السبعة** المتنوعة في « الروح » جعلت الناس يسألون النبي العربي عن ماهية الروح الذي يذكره: « ويسألونك عن الروح؟ ــ قلْ: الروح من أمر ربي، وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً » (الاسراء ٨٥). فالتعريف « **الروح من أَمر ربي** » أي « علمه لا تعلمونه » (الجلالان)؛ « قلْ: الروح من أمر ربي.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

١) من الإِبداعيّات الكائنة بكن، من غير مادة، وتولّد من أصل كأعضاء جسده؛ ٢) أو وُجد بأمره وحدث بتكوينه، على **أن السؤال عن قدمه وحدوثه؛** ٣) وقيل: **ممّا استأثر الله بعلمه... وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة؛** ٤) وقيل: الروح جبريل؛ ٥) وقيل: **خلق أعظم من الملاك؛** ٦) وقيل: القرآن. و« من أمر ربي » « **معناه من وحيه** » (البيضاوي). أما كون « الروح » جبريل أو القرآن فهذا غريب لأنه يتعارض مع النص « من أمر ربي » الذي استأثر بعلمه. وقول البيضاوي أنه « من الإبداعيات » أو « وُجد بأمره وحدث بتكوينه » فيتعارض مع الإبهام الذي « من أمر ربي، معناه من وحيه » كما يقول. بقي إن « الروح »: « **خلق أعظم من الملاك** » أو أنه « **مما استأثر الله بعلمه** »، والقولان متكاملان. **ونلاحظ أنه يستخدم العلمية في تسميته** « **الروح** »: فهو كائن فوق الملاك أقرب على الخالق منه إلى المخلوق.

والنتيجة الحاسمة أن القرآن **يجهل أمر** « **الروح** » **المطلق**، ويعلن ذلك بصراحة: « وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً ». وبما أن القرآن يصرّح بجهله في أمر « الروح » المطلق، فما علينا إلاَّ العمل بالأمر الذي فيه: فإنْ كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك » (يونس ٩٤). فإن « الروح » **على العلمية والمطلق** سر من ذات الله نفسه، سبحانه وتعالى.

قال الأستاذ دروزة[١]: « في الآية (٨٥) حكاية لسؤال أُورد على النبي ص عن الروح، وأمرٍ له بالإجابة بأن **الروح** من أمر الله تعالى واختصاصه وعلمه؛ وليس من شأن البشر إدراكه؛ وأن ما أوتيه الناس من العلم هو قليل بالنسبة إلى علم الله وآياته في كونه ». ليس فقط علم الناس قليلاً في سر « الروح » المطلق، وليس في الآية من مقابلة مع علم الله وآياته في كونه؛ إنما العلم المنزل في القرآن بشأن « الروح » هو القليل. وقال أحدهم: مضى محمد، ولمَّا يدرِ ما الروح!

*

(١) التفسير الحديث، ج ٣، ص ٢٦٢.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

٢) « روح منه » هو سر المسيح « كلمة الله » ــ تفاسيرهم له.

إن « الرَّوح » على العلمية والمطلق ذات غير ذات المسيح، « كلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه ».

قال الجلالان: « روح منه: (روح) أيْ ذي روح؛ (منه) أُضيف إليه تعالى تشريفاً له » ــ لكن التعبير (منه) لا يعني الإضافة، بل الصدور.

قال الزمخشري: « قيل له (روح الله) أو (روح منه) تعالى، لأنّه ذو روح وجسد، من غير جزء من ذي روح... وإنما اخترع اختراعاً من عند الله وقدرته الخالصة » ــ لكن التعبير لا يدل فقط على وجوده المعجز بقدرة الله، إنما على ذاته؛ وليس معنى المقابلة « كلمته وروح منه » أنه « ذو روح وجسد من غير جزء من ذي روح ». والزمخشري يكون عادة أقرب من غيره لفهم بيان القرآن؛ فكيف به هنا يقصّر عن مدلوله!

قال البيضاوي: « روح منه: **ذو روح صدر منه تعالى**، لا بتوسط ما يجري مجرى الأصل والمادة له. وقيل: سمي (روحاً) لأنه كان يحيي الأموات والقلوب ». وهذا هو التفسير الصحيح لحرف القرآن الوحيد فيه: « ذو روح صدر منه تعالى ». والمشكل الكلامي الذي اختلف عليه النصارى والمسيحيون، وانتقل إلى الإسلام والمسيحية، هو في **كيفية هذا الصدور عنه تعالى**. وقولهم: « سمي (روحاً) لأنه كان يحيي الأموات والقلوب » فيه إشارة إلى كيفية ذلك الصدور، عن طريق الانبثاق من ذاته تعالى، لا عن طريق الخلق والإبداع؛ فمن يحيي الأموات والقلوب فيه قدرة من قدرة الله تدل عليه.

قال الرازي مستجمعاً تفاسيرهم: « أما قوله (روح منه) ففيه وجوه:

ــ « إنه جرت عادة الناس إنهم إذا وصفوا شيئاً بغاية الطهارة والنظافة قالوا: إنه روح؛ فلما كان عيسى لم يتكون من نطفة الأب، وإنما تكون من

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

نفخة جبريل عليه السلام وُصف بأنه روح » ــ لكن التعريف يفسر « كلمته ألقاها إلى مريم » بأنه (روح منه) تعالى، على الترادف، فهو وصف ذاته، لا وصف تكوينه؛ فإنه كلمة الله قبل إلقائه إلى مريم، لذلك فهو « روح منه » تعالى.

ــ « إنه كان سبباً لحياة الخلق، في أديانهم؛ ومن كان كذلك وصف بأنه روح » ــ فالاسم الكريم يستوعب في ذاته معنى « السبب لحياة الخلق »، وفي ذلك إشارة إلى أن « روحاً منه » أقرب إلى الخالق منه إلى المخلوق في صدوره (منه) تعالى. والقول يشير إلى فاتحة الإنجيل بحسب يوحنا في تعريفه بكلمة الله: « فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس » (١: ٤).

ــ « روح منه أَي رحمة منه: فلما كان عيسى رحمةً من الله على الخلق من حيث أنه كان يرشدهم إلى مصالحهم في دينهم ودنياهم لا جرم أنه سمّي روحاً منه » ــ هذا القول يستند إلى قوله: « ولنجعله آية للناس ورحمة منا » (مريم ٢٠). هذا مفعول كونه « روحاً منه » تعالى، لا برهان ذاته بحسب الترادف « كلمته وروح منه ».

ــ « قوله (روح) أدخل التنكير ليفيد التعظيم. فكان المعنى: **روح من الأرواح الشريفة العالية القدسية**. وقوله (منه) إضافة ذلك الروح إلى نفسه تعالى لأجل التشريف والتعظيم » ــ نقول: إن تعريف المسيح بأنه « روح من الأرواح الشريفة العالية القدسية » يتفق مع وصفه « من المقربين » (آل عمران ٤٥) أي « الملائكة المقربين » (النساء ١٧١). وهذه هي صفة المسيح في القرآن: إنه « ملاك كلمة الله » أُلقي إلى مريم، بحسب عقيدة النصارى ــ لا المسيحيين ــ ولكن يبقى سر صدوره (منه) تعالى موضع حيرة وتساؤل.

فليس قوله « روح منه » فقط إضافة تشريف وتعظيم، بل « ذو روح صدر منه تعالى » كما يقول البيضاوي. وليس نسبة مصدرية كسائر المخلوقين، عن طريق

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الخلق والإبداع، فإنه « منه » تعالى. فقوله الفريد في القرآن بأن المسيح « روح منه » تعالى يعني **نسبة مصدرية ذاتية**. لذلك يظل التشابه قائماً في معرفة سر المسيح، « كلمته وروح منه ».

*

خاتمة:

العقيدة القرآنية في المسيح متشابهة

السيد المسيح هو « عيسى ابن مريم » لا شك في ذلك. لكن التعريف بشخصيته الذاتية السامية يقول بأنه « كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » تعالى. والترادف بين كلمة الله وبين « روح منه » يجعل ذات المسيح « **روحاً من الأرواح الشريفة العالية القدسية** » أي ملاكاً « من المقربين »، من « الملائكة المقربين ». **فهو ملاك سامٍ في إنسان.**

تلك هي **الثنائية الحتمية** في وصف القرآن للمسيح، من حيث كونه « عيسى ابن مريم » ومن حيث أنه « كلمته وروح منه » تعالى ألقاه إلى مريم.

والأمانة لحرف القرآن تجعل تفسير علماء المسيحية للقب الكريم على ضوء الإنجيل غير صحيح: فالمسيح، مع أنّه « كلمته وروح منه » « **لن يستنكف أن يكون عبداً لله**، ولا الملائكة المقربون » (النساء ١٧١) الذين هو منهم. فالقرآن يفسر اللقب الكريم بتفسير « النصرانية »: **إنه** « **ملاك كلمة الله** ».

هذا هو الواقع القرآني الحقّ ما بين تفريط المسلمين وإفراط المسيحيين في تفسيره، بحسب القرآن.

لكن التعبير الفريد في القرآن: « **روح منه** » أيْ « ذو روح صدر منه تعالى » يجعل مدخلاً لعلماء المسيحية بتفسير « كلمته وروح منه » على ضوء الإنجيل. ويظل المشكل الكلامي قائماً في كيفية صدور كلمة الله روحاً منه تعالى. وتظل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الثنائية في شخصية المسيح « ابن مريم » و« كلمته وروح منه » تعالى، قائمة تتحـدّى كـل كلام.

وبما أن « الروح » هو « من أَمر ربي » أيْ « ممَّا استأثر الله بعلمه » فـي الـوحي القرآني؛ فهل الأصح أن نقول: المسيح ملاك سام في إنسان، كما يتضح من تحليل القـرآن؛ أم المسيح هو كلمة الله ــ في الإنجيل: « لوغس » ــ أي **نطقه الذاتي** الذي ليس هو عين الذات ولا هو غيرها، في سر الله، عالم الروح المطلق؟ فأيُّ الثنائيتين في شخصية المسيح أقرب إلى منطق الإنجيل والقرآن، وإلى منطق العقل والكلام؟ ولا ننس أن كلمة الله أَو كلام الله الذاتي ــ على حدّ قول أَهل السنّة في الإسلام ــ « **صفة قديمة قائمة بذات الله** »، **لا هي عين الـذات ولا هي غيرها.** فإذا تشابه علينا القرآن، فعلينا أنْ نسأل « الذين يقرؤون الكتاب من قبلـك »، كما أَمر نبيه (يونس ٩٤).

ذاك هو سر شخصية المسيح في القرآن.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفصل التّاسع

هل من تثليث في القرآن

توطئة : الواقع القرآني ما بين الظاهر والباطن.

بحث أول : « الثلاثة » بحسب القرآن ليست من المسيحية في شيء.

بحث ثان : الله والكلمة والروح، بحسب القرآن.

خاتمة : في القرآن تثليث باطن غير « الثلاثة » الظاهرة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

توطئة

الواقع القرآني ما بين الظاهر والباطن

هذا السؤال: « هل من تثليث في القرآن »، يبدو لأول وهلة **من الكفر** بحق القرآن والإسلام. **هذا هو الظاهر**، من تصاريحه الثلاثة: « ولا تقولوا: (ثلاثة)؛ انتهوا خيراً لكم »! (النساء ١٧١)؛ « لقد كفر الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة » (المائدة ٧٦)؛ « إذ قال الله: يا عيسى ابن مريم، أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهيْن من دون الله »؟ (المائدة ١١٩).

لكن رأينا في القرآن، كما مرّ بنا، **إن الله والكلمة والروح**، بحسب تفاسير المفسرين، **تحمل في باطنها** تثليثاً لا شك فيه، حيث الكلمة والروح على المطلق هما كائنان أقرب إلى ذات الله منهما إلى المخلوق.

فنرى أولاً أن « الثلاثة » بحسب القرآن ليست من المسيحية في شيء؛ ثم شهادة القرآن بوجود الله والكلمة والروح، في تثليث كامن لا ريب فيه.

*

بحث أوّل

« الثلاثة » بحسب القرآن ليست من المسيحية في شيء

يستند أهل القرآن لتكفير التثليث المسيحي، إلى تصاريح القرآن في تكفير « الثلاثة ». فهل تطال تلك التكفيرات عقيدة التثليث المسيحي؟

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

١ ـ التكفير الأول: « ولا تقولوا: ثلاثة » (النساء ١٧٠).

إن تكفير القرآن للمقالة « بالثلاثة » يأتي بعد التعريف الوافي بالمسيح أنه « ابن مريم » وأنه « كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه »: « فآمنوا بالله ورسله، ولا تقولوا: (ثلاثة)! انتهوا، خيراً لكم! إنما الله إله واحد، سبحانه أن يكون له ولد... لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله، ولا الملائكة المقربون » (النساء ١٧٠ ـ ١٧١).

نلاحظ دقة التعبير: « **ثلاثة** ». وهذا **تعدّد** ينقضه التوحيد الخالص: « إنما الله إله واحد ». وينقضه اتخاذ الله ولداً من خلقه: « سبحانه أن يكون له ولد ». وينقضه كون المسيح « كلمته وروحاً منه » تعالى؛ فإنه يفسّر « كلمة الله » بروح من الله أي ملاك من منزلة الملائكة المقربين. لذلك فالمسيح، « كلمته وروح منه » **هو عبد** لن يستنكف عن عبادته تعالى.

وللقرآن الحق، كل الحق، أن يفسّر ماهية « كلمة الله » في المسيح بأنه **ملاك كلمة الله** ألقاه إلى مريم؛ فالقرآن دعوة « نصرانية » تختلف في التأويل للاسم الكريم عن المسيحية.

وعلى هذا الأساس كله فالمقالة « بالثلاثة » تجعل تعدّداً في وحدانية الله.

لكن تكفير القرآن لتلك المقالة « بالثلاثة » **لا تطال المسيحية في شيء**؛ لأن التثليث المسيحي تفسير منزل لحياة الحي القيوم في وحدانيته الصمدانية: فلا تعدّد في الجوهر الإلهي الفرد؛ ولا اتخاذ ولد لله من خلقه؛ إنما التثليث المسيحي هو تثليث صفاته الكيانية الوجودية، النطق الذاتي، والروح الذاتي، في ذات الله؛ صفات ذاتية لا هي عين الذات ولا هي غيرها. فالقول « **بالثلاثة** » تعدّد في الله الواحد الأحد، لا وجود له في التثليث المسيحي.

٢ ـ التكفير الثاني: « لقد كفر الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة » (المائدة ٧٦).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

هذا تفسير قرآني للمقالة بالثلاثة: « لقد كفر الذين قالوا: إن الله **ثالث ثلاثة!** وما من إله إلاّ واحد... ما المسيح **ابن مريم** إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل، **وأمه صديقة**: كانا يأكلان الطعام... قل: أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرّاً ولا نفعاً، والله هو السميع العليم. قل: يا أهل الكتاب، لا تغلّوا في دينكم غير الحق »! (المائدة ٧٦ ــ ٨٠).

إن القرآن يرى في تثليث أهل نجران « **ثلاثة** »، الله ثالثهم؛ والآخران هما « المسيح ابن مريم » « وأمه الصديقة ». وهو يرد هذه « الثلاثة » بعد تكفير أهل نجران في مقالتهم اليعقوبية: « لقد كفر الذين قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم » (المائدة ١٩ و٧٥).

نلاحظ أنه في التكفيرين (٧٥ و٧٦) ينظر إلى المسيح بصفة كونه « **ابن مريم** »، لا على أنه « كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ». فالمسيح، من حيث هو « ابن مريم » كان مثل أمه يأكل الطعام، وهذا برهان بشريته الذي لا يُردّ: « ومن كان كذلك (يأكل الطعام) لا يكون إلهاً لتركيبه وضعفه، وما ينشأ عنه من البول والغائط » (الجلالان). لذلك فهو « لا يملك لكم ضرّاً ولا نفعاً » كسائر البشر المخلوقين.

وثالث الثلاثة هو مريم أم المسيح. ومريم لا دخْل لها على الإطلاق في التثليث المسيحي.

فهذا التكفير لا يطال المسيحية في شيء: لأنه لم يقم في تاريخ المسيحية بدعة تدّعي أن مريم أم المسيح إلهة من التثليث الإلهي في شيء: فهي من عالم المخلوق، والتثليث من عالم الخالق الواحد الأحد. ولا تقول المسيحية على الإطلاق بأن المسيح، بصفة كونه « ابن مريم » (٧٥ و٧٦) هو من الله في شيء. إنما تقول بأن المسيح، من حيث هو « كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » أي نطقه الذاتي،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

هو من التثليث في الله الواحد الأحد، بصفة كونه نطقه الذاتي الصادر صدوراً روحيّاً « منه » تعالى.

٣ ــ **التكفير الثالث:** « أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهيْن من دون الله » (المائدة ١١٩).

هذا التكفير بأسلوب التورية يأتي في قصص استجواب المسيح في يوم الدين، « يوم يجمع الله الرسل » للمحاسبة. وقلنا مراراً بأن الاستفهام الانكاري له صيغتان، بحسب معنى « أمي » في هذا النص.

في صيغة أولى ــ وعليها جمهور المفسرين ــ إن القرآن يقصد بتعبير « أمي » في الآية مريم أم المسيح، كما هو ظاهر التعبير، وكما يشير إلى ذلك في مطلع الاستجواب: « اذكر نعمتي عليك **وعلى والدتك** » (المائدة ١١٣)، وكما صرّح في السورة عينها في التكفير السابق: « لقد كفر الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة... ما المسيح ابن مريم إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل، **وأمه صديقة**، كانا يأكلان الطعام » (٧٦ و٧٨). فيكون الاستجواب (١١٩) تفسيراً قصصيّاً للتكفير عينه. وفي هذه الحال لا يطال التكفير المسيحية في شيء لأن مريم أم المسيح ليست من التثليث في شيء؛ ولأن المسيح، من حيث هو « ابن مريم » أي بصفته البشرية التي بموجبها يأكل الطعام، ليس من التثليث الذاتي، بذات الله، في شيء: فليست إلهية المسيح بصفة كونه « كلمته وروحاً منه » تأليه بشر على الإطلاق، أو اتخاذ ولد للخالق من عالم المخلوق.

وعلى هذه الصيغة تقوم حملة مسيحية عنيفة تستنكر إقحام مريم أم المسيح في التثليث الإلهي الصحيح. إنما ذلك تثليث نصراني جاهلي تستنكره المسيحية؛ وهذا الاستنكار يطال الموقف القرآني على ظاهره.

لكن هناك **صيغة ثانية** ــ يجهلها جمهور المفسرين ــ تأتي من عقيدة القرآن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

« النصرانية » في المسيح. ففي (إنجيل النصارى) الذي كان يترجمه قس مكة، ورقة ابن نوفل، ومحمد بجواره، خير شاهد، يأتي تعبير « **أمي** » **على لسان المسيح كناية عن الروح القدس**. فيكون المعنى: ليس المسيح ولا روح القدس بإلهيْن من دون الله، لأنه يؤمن مع « النصارى » بأن المسيح هو « ملاك كلمة الله » وأن الروح « هو ملاك روح القدس »، فلا يكونان إِلهيْن من دون الله. وهذا تفسير « النصرانية » وردها على المسيحية في مقالة « الثلاثة ». وعلى اعتبار المسيح « ملاك كلمة الله »، والروح « ملاك روح القدس »، لا يطال التكفير القرآني المسيحية على الإطلاق، لاختلاف التأويل في العقيدة: فليس « كلمة الله » ولا « الروح القدس » بملاكيْن في المسيحية؛ **إنما هما نطقه الذاتي وروحه الذاتي،** صفتان كيانيتان وجوديتان في ذات الله، لا هما عين الذات، ولا هما غيرها.

ففي المسيحية « **تثليث** » كياني في ذات الله الواحد الأحد، لا « **ثلاثة** » كما تقول « النصرانية » ومعها القرآن. وهذا التثليث المسيحي تفسير منزل لحياة الحي القيوم في ذاته ونطقه وروحه.

***

بحث ثان

الله وكلمته وروحه، بحسب القرآن

إن القرآن يدعو **للتوحيد الخالص**؛ وكل ما يتنافى مع وحدانية الله في صمدانيته هو شرك وكفر، لأنه ليس لله من « كفوء ». هذا هو إعلانه الصارخ في سورة (الإخلاص) للتوحيد: « **قلْ: هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوءاً أحد** ».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لكن هذا الموقف الصريح الجازم لم يمنع **التشابه** في تعبيره عمَّا يتّصل بسر الله؛ حتى قال عنه أَهل الكلام: « **إِن البحث في ذات الله إشراك** »! وإذا سُئل القرآن عن « الروح » المطلق، عالم الله، « يسألونك عن الروح؟ ــ قلْ: الروح من أمر ربي! وما أوتيتم من العلم إلاَّ قليلاً » (الإسراء ٨٥).

والتثليث المسيحي ليس بحثاً في ذات الله؛ إنما هو كشف منزل عن حياة الله في ذاته وفي وحدانيته الصمدانية. ونجد له جذوراً في تعليم القرآن. وقد رأينا أن مقالة القرآن في « الثلاثة » ليست من التثليث المسيحي في شيء. إنما **مشكل القرآن** في تعابير الله والكلمة والروح على الإطلاق.

فما هي معطيات القرآن عن الله؟ وهل فيه من إشارات إلى تثليث صحيح في الله تعالى؟

*

١ ــ « إِن كان للرحمان ولد، فأنا أول العابدين »

نقدر أنْ نوجز موقف القرآن من كل **أبوّة في الله** بهذه التصاريح:

١) إن (الإخلاص) في التوحيد يشهد بأنه تعالى « لم يلد ولم يولد »!

وإذا اعتبر أهل مكة الملائكة بنات الله، صاح: « ألا أنهم من أفكهم ليقولون: ولد الله! وإنهم لكاذبون »! (الصافات ١٥١ ــ ١٥٢). ويطلب شهادة من كتاب: «أم لكم سلطان مبين؟ ــ **فأتوا بكتابكم إِن كنتم صادقين!** » (الصافات ١٥٦ ــ ١٥٧). ينتج عن ذلك أن مَن عنده في كتابه شهادة على أبوّةٍ في الله، فهو له سلطان مبين.

٢) لا ولد لله، لأن الكون كله خلقه: « سبحانه أن يكون له ولد: له ما

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

في السماوات وما في الأرض » ملكاً وعبيداً (النساء ١٧٠). وهذه الاستحالة تأتي عن سببيْن مستحيليْن: الاستيلاد من صاحبة، أو الاتخاذ.

٣) نسبة ولد لله تأتي **عن طريق الاستيلاد** من المخلوق: « أنى يكون له ولد، ولم تكن له صاحبة » (الأنعام ١٠١). والجن أنفسها تشهد: « ما اتخذ صاحبة ولا ولداً »! (الجن ٣). واستيلاد الخالق من مخلوقة كفر محض، لا يقول به إلاَّ عقل مريض.

٤) بقيت الطريقة الثانية، في نسبة ولد إلى الله، طريقة **الاتخاذ**، وهذه يمنع منها عدم الكفاءة بين الخالق والمخلوق: « ولم يكن له كفوءا أحد » (الإخلاص). لذلك تأتي تصاريحه في ذلك جازمة، خصوصاً في سورة (مريم): « ما كان لله أن يتّخذ **ولداً**، سبحانه! إذا قضى أمراً فإنما يقول له: كن! فيكون » (٣٥)، فإن الخلق يغنيه عن الاتخاذ؛ « وقالوا: اتخذ الرحمان ولداً! ــ لقد جئتم شيئاً إِدّاً! تكاد السماوات يتفطّرن منه، وتنشقّ الأرض، وتخرّ الجبال هدّاً: أن دعوا للرحمان ولداً! وما ينبغي للرحمان أن يتّخذ ولداً: إنْ كلُّ من في السماوات والأرض، إلاّ آتى الرحمان عبداً! » (٨٩ ــ ٩٤)، فعبودية المخلوق تمنع من اتخاذه ولداً لله! فالقول بولد لله على هذه الطريقة تستنكره الطبيعة نفسها. والملائكة أنفسهم له تعالى « عباد مكرمون؛ لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم » (الأنبياء ٢٦ ــ ٢٨). فسمة الخلق على المخلوق تمنع من مشاركته للخالق في ملكه: « الذي له ملك السماوات والأرض، ولم يتّخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، وخلق كل شيء فقدّره تقديراً »، سوّاه تسوية (الفرقان ٢).

٥) مع ذلك فهو لا يستبعد فكرة الاتخاذ استبعاداً مطلقاً: « **لو أراد الله أن يتّخذ ولداً** لاصطفى من خلقه ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهَّار » (الزمر ٤). فكيف إذا كانت الولادة روحية نطقية ذاتية، في ذات الله،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

من ذات الله، ولا صلة لها بالمخلوق؟ هذا سرّ الله لا يرتقي إليه « العلم القليل » في الوحي القرآني (الاسراء ٨٥).

٦) يستحيل الولد على الله من خلقه، لكن إنْ كان في ذات الله ما لم يوحِ به في القرآن، فالنبي هو أول العابدين: « **قلْ: إنْ كان للرحمان ولد، فأنا أول العابدين!** سبحان ربّ السماوات والأرض عمَّا يصفون.. وهو الذي في السماء إله، وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم! وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض، وما بينهما، وعنده علم الساعة، وإليه ترجعون » (الزخرف ٨١ ــ ٨٥). فكل استنكار القرآن ينصب على استحالة الولد لله من خلقه؛ أمَّا في سرّ ذاته، فوق المخلوق، وقبل الخلق، وبدون أيّ صلة مع الخلق والمخلوق، « قلْ: إن كان للرحمان ولد فأَنا أول العابدين ». فالقرآن لا يستنكر أبوة الله، في ذاته، من ذاته، لذاته، تليق بذاته، في وحدانيته الصمدانية.

٧) وبرهان ذلك هذا القسم: « لا! أقسم بهذا البلد ــ وأنت حلٌّ بهذا البلد ــ **ووالد وما ولد**، لقد خلقنا الإنسان في كبد!... » (البلد ١ ــ ٤). إنه يقسم بمكة، ثم « **بوالد وما ولد** »: فما معنى قسمه الثاني؟ لقد حاروا في ذلك، فقال الجلالان: « آدم وذريته » ــ وليس من إشارة في النص إلى ذلك. وقال البيضاوي: « والوالد: آدم أو إبراهيم (وما ولد) ذريته، أو محمد ص. والتنكير للتعظيم. **وايثار (ما) على (من) لمعنى التعجب** ــ ولا ذكر لآدم أو لإبراهيم في النص. والمقسم عليه « إنا خلقنا الإنسان في كبد »، يدلّ على أن المقسم به هو غير الإنسان. ويفسّر القسم قوله: « إنما أمرتُ أن أعبد ربّ هذه البلدة الذي حرّمها، وله كل شيء؛ وأُمرتُ أن أَكون من المسلمين » (النمل ٩١)؛ فالمسلمون موجودون قبله والنبي العربي يُؤمر بأن ينضم إليهم؛ ونعرف من اصطلاحاته المتواترة أنه يقصد بالمسلمين من قبله النصارى أولي العلم المقسطين الذين يشهدون مع الله وملائكته « إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ »

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

(آل عمران ١٨ ـ ١٩)؛ قرب مكة المحرّمة الذي يقسم به هو إله المسلمين النصارى. **فهو يقسم بالله الوالد من ولد.**

لذلك فقوله: « قلْ: إنْ كان للرحمان ولد، فأنا أول العابدين » ينتقل **من حيّز التقدير، إلى حيّز الواقع** في قسمه « ووالد وما ولد ».

والنتيجة الحاسمة لتحليل هذه الشهادة أن القرآن يكفّر القول بأبوة الله من خلقه، ولا يستبعد أبوّة الله من ذاته، في ذاته، فوق المخلوق. فإنْ جاءه أحد بسلطان مبين من كتاب منزل، بأن للرحمان ولداً، فنبي القرآن هو أول العابدين.

*

٢ ـ المسيح « كلمته وروح منه » تعالى.

رأينا أن التعريف الشامل، والجامع المانع، في المسيح، يقطع بثنائية في شخصيته: « إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » (النساء ١٧٠). فالمسيح هو « **عيسى ابن مريم** »؛ وهو أيضاً « **كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه** »، أي أنه كلمة الله وروح منه تعالى قبل إلقائه إلى مريم، وبعد إلقائه إليها.

فعيسى ابن مريم هو أيضاً مسيح الله، وكلمة الله، وروح من الله.

نسارع إلى القول بأن القرآن يعتبر « عيسى ابن مريم » من حيث هو « المسيح، كلمته وروح منه » **عبداً لله مثل الملائكة المقربين** (النساء ١٧١). هذا تفسير القرآن، على غرار « النصرانية » من قبله.

لكن استخدامه في وصف شخصية السيد المسيح **تعابير المسيحية** الثلاثة، جعله **متشابهاً، يحمل في باطنه أكثر مما في ظاهره**، كما نرى عند المفسرين.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

١) فهو **مسيح الله**. وقد نقلوا عن أحمد بن يحيى أنه سمّي المسيح « لأنه مسح **الأرض ولم يقم في موضع** » وهذا عمل أقرب إلى فعل الخالق منه إلى فعل المخلوق. ونقلوا عن ابن عباس، ترجمان القرآن « إنه ما كان يمسح بيده ذا عاهة إلاّ برئ من مرضه » ـ وهذا عمل قدرة إلهية، لا عمل مخلوق. ونقلوا عن غيرهما أنه المسيح « لأنه مُسح بما طهّره من الذنوب »، أو « مسحه جبريل صوناً له من مسّ الشيطان » ـ وهذه المسحة الذاتية فيه التي تعصمه في ذاته ثم في حياته من مسّ الشيطان، **دليل على شخصية فوق الإنسان وفوق الملاك**، لأن القرآن ينسب الأثم والذنب للملاك الذي صار إبليس وجنوده، ولآدم وذريته، حتى من الأنبياء المرسلين، فكان هناك « شياطين الأنس والجن »، إلاّ ما رحم ربك.

فلقبه **مسيح الله** يجعله أقرب إلى الخالق منه إلى المخلوق.

٢) « **كلمته ألقاها إلى مريم** ». حرف التعريف والتصريح يدل على أن المسيح كان « كلمة الله » قبل إلقائه إلى مريم. وبما أنه يرادف بين « كلمته وروح منه »، فكلمة الله **ذات قائمة** قبل إلقائه إلى مريم، بصفة كونه « روحاً منه » تعالى. وقوله « منه » تعبير فريد وحيد في القرآن، لا ينسبه إلى غيره، وهو يدل على أنه « **صدر منه** » (البيضاوي). والسرّ، كلّ السرّ، في هل صدر « كلمة الله » روحاً منه تعالى عن طريق الخلق، أم عن طريق الصدور الذاتي.

بعض التفاسير تشير إلى صدور ذاتي فوق المخلوق:

ـ « سمّي (كلمة) أي **كاملاً في الكلام** » وبرهان ذلك كلامه النبوي في طفولته مثل كلامه في كهولته، « يكلم الناس في المهد وكهلاً » من دون تفاوت. وهذا ليس إعجازاً في الوحي والتنزيل فقط، إنما هو إعجاز في الذات.

إنه إعجاز في الذات، فوق الوحي والتنزيل، « **لأنه أبان كلمة الله أفضل بيان** »، وكان « **يرشد إلى الحقائق والأسرار الإلهية** ». ولا يرشد إلى سرّ الله إِلاَّ مَن كان بذاته أقرب إلى الخالق منه إلى المخلوق.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بل إنه إعجاز في الذات فوق المخلوق. قال الرازي (على آل عمران ٤٥): « سمّي كلمة الله **كأنه صار عين كلمة الله** الخالقة له بوجود المعجز »؛ وعلى (آل عمران ٣٩) يختم بقوله: « واعلم أن (كلمة الله) هي كلامه؛ وكلامه، على قول أهل السنة: **صفة قديمة قائمة بذاته** ». وفي هذيْن القوليْن للرازي الشبهة القائمة في القرآن على لقب « كلمة الله »: « سمّي (كلمة الله) كأنه صار عين كلمة الله الخالقة له بوجود المعجز » ـ فكيف تصير الذات المخلوقة عين كلمة الله الخالقة؟ أليس لأن (كلمة الله) « صفة قديمة قائمة بذاته » تعالى؟

هذه هي النتيجة الحاسمة التي يقود إليها باطن القرآن؛ يشيرون إليها، ولا يتجرّؤون على الأخذ بها. مع ان هذا هو المعنى الناتج من الترادف « كلمته وروح منه »؛ فهو كلمة الله لأنه « منه » تعالى، يصدر « روحاً منه » لأنه « كلمته » في ذاته. فالتعبير القرآني يقود حتماً إلى المعنى الإنجيلي، في فاتحة الإنجيل بحسب يوحنا: إن « اللوغس » هو « **كلمة الله** » **أي نطقه الذاتي**، « صفة قديمة قائمة بذات الله »، لا هو عين الذات ولا هو غيرها، إنما هو نطقها الذاتي. ففي الله تعالى **ذاته ونطقه**.

٣ ـ وفي الله تعالى، مع ذاته ونطقه، روحه، **الروح المطلق**.

رأينا في بحث سابق، أن القرآن يذكر روح الإنسان، وروح الملاك الذي قد ينسبه إلى نفسه على التشريف: « روحنا ـ من روحنا ». ويذكر « روح القدس » جبريل، وروح القدس في المسيح.

لكن في القرآن يأتي تعبير « **الروح** » على المعرفة والعلمية، أي على المطلق، في أربعة أنواع من التعبير:

ـ في التنزيل، أولاً بصلة مع الملائكة: « ينزّل الملائكة بالروح على من يشاء من عباده » (النحل ٢)؛ ثانياً مستقلاً بذاته: « يلقي الروح من أمره على مَن يشاء من عباده » (غافر ٢٥). إن « الروح » غير الملائكة، ويظهر سيدهم، بواسطته يُنزل الله الملائكة على أنبيائه.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

في ليلة القــدر « تنزّل الملائكة والروح فيهــا بإذن ربهم من كل أمر » (القــدر ٤). « فالروح » مستقل بذاته عن الملائكة.

في يوم القيامة، تعرج الملائكة والروح إليه (الله ذي المعارج) في يوم كــان مقــداره خمسين ألف سنة » (المعارج ٤). فالروح يتميّز عن الملائكة.

ــ في يوم الدين، « يقوم الروح والملائكة صفاً » (النبأ ٣٨). فهو دائماً يميّز الــروح في ذاته عن الملائكة: فمن هو؟

هذا هو **السؤال الأكبر** الذي ينتج عن تعليم القرآن، وكان لا بدّ لأهل الحجــاز مــن أن يصلوا إليه، « ويسألونك عن الروح؟ قلْ: الروح من أمر ربي؛ وما أوتيتم من العلم إِلاّ قليلاً » (الإسراء ٨٥). هنا يأتي تعبير « **الروح** » **على المطلق**. وجــواب القــرآن أن « الــروح » المطلق « من أمر ربي » أيْ « ممَّا استأثر الله بعلمه » (الرازي)، أيْ « من أمــر الله تعــالى واختصاصه وعلمه » (دروزة). والقرآن لا يعرف منه إلاَّ « القليل ».

فالروح المطلق، الذي هو فوق الإنسان والملاك؛ والذي هو مــن ســرّ الله؛ « الــذي استأثر الله بعلمه » فوق إدراك المخلوق؛ إنما هو في صلة مع الخالق فوق المخلوق: إنه روح الله في ذاته القدوسة.

فليس هو « روح القدس » جبريل؛ وليس هو « روح القدس » الذي يؤيد المسيح فــي شخصيته. إنما هو **الروح القدس على المطلق**، فوق كل روح مخلوق.

فالروح على المطلق، بحسب الواقع القرآني، **هو روح الله في ذاتــه**. وروح الله فــي ذاته، مثل كلمة الله في ذاته، هو « صفة قديمة قائمة بذات الله، لا هي عين الــذات ولا هــي غيرها.

***

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

خاتمة

ففي القرآن تثليث باطن، هو غير « الثلاثة » الظاهرة

هذه هي النتيجة الحاسمة للواقع القرآني.

ففي القرآن **ثلاثية** قائمة في الله تعالى نفسه: ذاته، وكلمته أيْ نطقه الذاتي، والروح المطلق أي روحه تعالى الذاتي. **وهل يُعقل الله بدون نطق ذاتي وروح ذاتي؟** هذا هو سر **تثليثه** في وحدانيته الصمدانية.

وإذا أردنا أن نعبّر عن الحقيقة الإلهية كما تتضح من القرآن نفسه، بكلام الأشعرية وأهل السنّة، وجب أَن نقول: إن **نطق الله** في ذاته، **وروح الله** في ذاته، هما في صلة كيانية ذاتية مع **ذات الله،** لا هي عين الذات، ولا هي غيرها.

تلك هي **الثلاثية** الكامنة في باطن تعبير القرآن، لا تلك « **الثلاثة** » العددية الظاهرة التي يكفرها القرآن، كما كفرتها المسيحية، ويكفرها العقل.

ففي الله الواحد الأحد: ذاته، وكلمته أي نطقه الذاتي، وروحه الذاتي، هذا **هو التثليث الصحيح** في وحدانية الله الصمدانية. ففي القرآن تثليث باطن يقول به هو غير « الثلاثة » الظاهرة التي يكفّرها.

وهذا **التثليث الباطن** في القرآن هو **التثليث الظاهر** في الإنجيل. وما بسملة الاسلام « **باسم الله الرحمن الرحيم** »، سوى صدى لبسلمة المسيحية « **باسم الآب والابن والروح القدس** »، بتعبير شعبي لاصطلاح كلامي لعقيدة الإنجيل والقرآن في الله الواحد الأحد: **ذاته ونطقه الذاتي وروحه الذاتي**؛ أي « **الله والكلمة والروح** » على المطلق في الوحدانية الصمدانية. هذا هو التثليث الصحيح **الكامن** في القرآن، **والظاهر** في الإنجيل؛ وهو غير « الثلاثة » التي يكفّرها القرآن.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفصل العَاشر

القواعد القرآنيّة للحوار مع المسيحية

توطئة : « قلْ: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ».

القاعدة الأولى : الجدال بالحسنى بسبب وحدة الدين.

القاعدة الثانية : « وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً ».

القاعدة الثالثة : « فيه آيات محكمات... وأُخر متشابهات ».

القاعدة الرابعة : القرآن يجادل الناس « بالكتاب المنير ».

القاعدة الخامسة : « يعلمهم الكتاب والحكمة » أيْ التوراة والإنجيل.

القاعدة السادسة : « فاسألوا أهل الذكر إنْ كنتم لا تعلمون ».

القاعدة السابعة : « فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك ».

القاعدة الثامنة : « قلْ: كفى بالله شهيداً... ومَن عنده علم الكتاب ».

القاعدة التاسعة : « فبهداهم اقتدهْ ».

القاعدة العاشرة : « وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله ».

خاتمة : « أم لكم سلطان مبين: فأتوا بكتابكم إنْ كنتم صادقين ».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

توطئة:

« قلْ: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء »

إن الحوار الوحيد الذي قام بين القرآن وبعض المسيحيين، كان مع وفد نجران. وقد ختمه بهذا النداء: « قلْ: يا أَهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلاّ الله، ولا نشرك به شيئاً، ولا يتّخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله! فإنْ تولّوا، فقولوا: اشهدوا بأنا مسلمون » (آل عمران ٦٤).

هذا النداء ما برح القرآن يوجهه إلى المسيحية منذ نزوله. وفيه يعلن **هدف الحوار** مع المسيحية: « تعالوا إلى كلمة سواء ». وهي التوحيد الخالص.

فهو يرى شبهة على صحة التوحيد عند اليهود والمسيحيين: « وقالت اليهود: عزير ابن الله! وقالت النصارى: المسيح ابن الله » (براءة ٣١).

لكن اليهود يقولون: « عزير ابن الله » على سبيل المجاز، لا على سبيل الحقيقة والواقع. والشبهة فيه، كالشبهة في عبادة الملائكة والنبيين، لا تمنع من صحة إسلامهم: « ولا يأمركم أن تتّخذوا الملائكة والنبيين أرباباً! أيأمركم بالكفر **بعد إذْ أنتم مسلمون**؟ » (آل عمران ٨٠). فهو يندّد بشبهة، ويشهد بواقع إسلامهم. ومشهور أن اليهود يتلون كل يوم في فاتحة صلاتهم: « **يهوه أحد** » أي « هو الله أحد » كما في شرعة التوراة (التثنية ٦: ٤).

أما المسيحيون فما زالوا يقولون: « **المسيح ابن الله** » على الحقيقة، لا على المجاز. وهذا هو **الخلاف الأكبر** بين الإسلام والمسيحية القائم على **تأويل** سرّ شخصية المسيح. إنه « عيسى ابن مريم »؛ لكنه أيضاً « كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » (النساء ١٧٠). فهل كلمة الله، الذي هو « روح منه »، قبل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

إلقائه إلى مريم، هو « ملاك كلمة الله » أيْ « روح منه » تعالى، كما قالت « النصرانية » وتبنّى القرآن تأويلها؛ أم هو كلمة الله الذاتية أي **نطق الله الذاتي**، كما نقلت المسيحية عن فاتحة الإنجيل بحسب يوحنا؟ إذا اعتبرنا كلمة الله « روحاً منه » أيْ ملاكاً « من المقربين » ففي ذلك اتخاذ مخلوق ربّاً من دون الله، بلا شك؛ أَمَّا إذا كان « كلمته وروح منه » تعالى هو **نطقه الذاتي**، الذي لا هو عين الذات ولا هو غيرها، فليس في ذلك من شرك على الإطلاق، على الشرط الذي وضعه القرآن نفسه: « **أَم لكم سلطان مبين؟ فاتوا بكتابكم، إِنْ كنتم صادقين** » (الصافات ١٥٦ ـ ١٥٧).

هذه الجدلية تظهر من القواعد القرآنية للحوار مع المسيحية، للبلوغ في ذلك إلى « كلمة سواء ».

*

القاعدة الأولى: الجدال بالحسنى، بسبب وحدة الدين

ما بين الإسلام والمسيحية وحدة في الدين يبني عليها القرآن صحة الحوار: « ولا تجادلوا أهل الكتاب **إِلاّ بالتي هي أحسن** ـ إلاّ الذين ظلموا منهم ـ وقولوا: آمنا بالذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون » (العنكبوت ٤٦).

هذه هي **القاعدة الأساسية** في كل حوار بين الإسلام والمسيحية: الجدال بالتي هي أحسن، وهذا هو التعريف الأوفى للحوار.

فهو يقسم أهل الكتاب إلى فريقيْن: الظالمين منهم، وهم اليهود لكفرهم بالمسيح؛ والمقسطين منهم، المحسنين، وهم النصارى والمسيحيون. فمع اليهود يصح الجدال بغير الحسنى أي بالسيف. أَمَّا مع أهل الإنجيل فلا يصح جدال

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

معهم إلاّ بالحسنى. والجدال مع أهل الإنجيل « بالتي هي أحسن » هو الأمـــر لأهـــل القـــرآن بالتسليم مع أهل الإنجيل **بوحدة الإله، ووحدة التنزيل، ووحدة الإسلام.**

فما بين الإسلام والمسيحية **وحدة دينية**، منها ينطلق كل حوار. وبما أن القرآن يـــؤمن « بالذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكم »، فلا يصح اقتصار الحوار على القرآن وحـــده، بـــل **يجـــب الاعتماد فيه على الإنجيل أيضاً.**

والإنجيل الذي كان شائعاً على زمن النبي العربـــي، « فيـــه هـــدى ونـــور... **هـــدى وموعظة للمتقين** » من جمـــاعة محمد (المائدة ٤٩). فهو يشـــرع بـــأن الإنجيـــل « هـــدى وموعظة » للمسلمين، فلا يصح إسلامهم بدون إيمان بالإنجيل.

فالحوار بين الإسلام والمسيحية يُبنى على وحدة الإله ووحدة التنزيل ووحدة الإســـلام. تلك هي القاعدة الأولى.

*

القاعدة الثانية: « وما أوتيتم من العلم إِلاّ قليلا »

إن « العلم » في لغة القرآن هو اصطلاح يقتصر على العلم المنزل في الكتاب، لـــذلك يسمي أهل الكتاب « أولي العلم »، « الذين أوتوا العلم »، « الراسخين في العلـــم »؛ ويعتبـــر القرآن نفسه « آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم » (العنكبوت ٤٩).

ويصرّح بمقدار « العلم » المنزل بالقرآن في سرّ « الروح » المطلق الذي هو عـــالم الله: « ويسألونك عن الروح؟ ــ قلْ: الروح من أَمر ربي؛ **وما أوتيتم من العلـــم إلا قلـــيلاً** » (الإسراء ٨٥). فليس في القرآن العربي التنزيل كله الذي في « القرآن » الأصـــيل، بحســـب قوله: « وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

للمؤمنين » (الإسراء ٨٢). لاحظ حرف التبعيض « من »، الذي يؤيد معنى « العلم القليل » في القرآن العربي.

فالتصريح قاطع بأنه ليس في القرآن **إلاّ** « **القليل** » **من** « **العلم** » **المنزل**، خصوصاً في مسألة « الروح » المطلق، الذي هو عالم الله، في كامل التجريد والتنزيه عن المخلوق.

وهذا هو **الأساس الثاني** لقيام حوار صحيح في سرّ حياة الله، الحيّ القيوم، في ذاته الصمدانية. إنه **تصريح ضخم على كمية** « **العلم** » **المنزل في القرآن**.

*

القاعدة الثالثة: « فيه آيات محكمات... وأُخر متشابهات »

في القرآن **تصريح ضخم آخر على نوعية** « **العلم** » **المنزل فيه**: « هو الذي أنزل عليك الكتاب: منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب، وأُخر متشابهات... وما يعلم تأويله (المتشابه منه) إلاَّ الله، والراسخون في العلم يقولون: آمنا به، كلٌ من عند ربنا؛ وما يذكّر إلاَّ أولوا الألباب » (آل عمران ٧). هذا التصريح يقوم على حقيقتيْن: الأولى الإعلان عن « المتشابه » في القرآن، ويقول العلماء بأن المتشابه فيه هو أكثر القرآن، ويقتصر المحكم في القرآن على أحكامه المحكمة التي ليس فيها ناسخ ومنسوخ؛ والحقيقة الثانية إن متشابه القرآن « ما يعلم تأويله إلاَّ الله، والراسخون في العلم يقولون: آمنا به »، فيسلمون تسليماً بدون علم.

بحسب (الإتقان ٢: ٢ ــ ٣) « الآيات المحكمات » هي « أوامره الزاجرة ». وسائر القرآن هو من المتشابه أيْ تعليم القرآن كله. لذلك فشهادته في سر الله والكون والإنسان والآخرة **لا تقطع بعلم يقين**، يُبنى عليه حوار أمين.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يقول الأستاذ دروزة (القرآن المجيد، ص ١٩٧): « إن ما ورد في القرآن مما يتصل **بذات الله السامية** من تعابير اليد والقبضة، واليمين والشمال، والوجه والاستواء، والنزول والمجيء، وفوق وتحت وأمام، وطي وقبض ونفخ ـ إنما جاء بالأسلوب والتعابير والتسميات التي جاءت به من **قبيل التقريب لأذهان السامعين**... ولقد ورد في القرآن عبارات « ليس كمثله شيء » و« لا تدركه الأبصار » و« لا يحيطون بشيء من علمه » يصح أنْ تكون ضوابط حاسمة في صدد الذات الإلهية، وتنطوي على قرينة على صحة ما ذكرناه آنفاً في صدد الذات السامية من أفعال وصفات أخرى قد توهم مماثلة لأسماء وصفات وأفعال البشر أيضاً، حيث يصح أنْ يُقال: إن ورودها في القرآن إنما جاء كذلك على سبيل **التقريب والتشبيه** ». وأسلوب التشبيه والمتشابه يشمل أيضاً « ما يتصل بمشاهد **الكون والآخرة**، وأخبار الأمم السابقة وأنبيائهم، والجن والملائكة ».

فهذا الواقع القرآني لا يقطع بيقين في سر الله، وسر الكون، وسر الإنسان، وسر الآخرة. فلا يجوز أن يتغافل عن هذا الواقع القرآني أهل الحوار بين الإسلام والمسيحية.

وهكذا فالعلم « **القليل** » بسر الله وكلمته وروحه، تشوبه أيضاً شبهة **المتشابه**، في القرآن.

*

القاعدة الرابعة: القرآن يجادل الناس « بالكتاب المنير »

إن القرآن يشرع دين موسى وعيسى ديناً واحداً ـ فإن دين نوح وإبراهيم انتهى إلى التوراة (الشورى ١٣)؛ ويعلن إيمانه بأنبياء الكتاب، الذي يوجزه « بما أوتي موسى وعيسى » (البقرة ١٣٦)؛ ويدعو أهل الكتاب إلى إقامة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

« التوراة والإنجيل » شرعاً واحداً (المائدة ٨١). لذلك فهو يجادل الناس بالكتاب المنير، منبع العلم والهدى، متحدّياً به المشركين: « ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » (لقمان ٢٠). وبه يجادلهم في الله واليوم الآخر، والساعة، مكرّراً الآية نفسها (الحج ٨). ولا يستغرب تكذيب العرب لجداله لهم بالكتاب المنير، فقد كذّب به مَن سبقهم: « وإن يكذّبوك، فقد كذّب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر **وبالكتاب المنير** » (فاطر ٢٥) أي « **التوراة والإنجيل** » (الجلالان)، والتعبير قد يخص الإنجيل لأن « الزبر » هنا كناية عن زبور داود، و« البيّنات » عن التوراة. هذا ما يؤيده الأمر الصادر إليه بالاقتداء بهدى « الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة » (الأنعام ٩٠)، والتقرير بأنه بالقرآن العربي يعلمهم « الكتاب والحكمة » أيْ التوراة والإنجيل (٢: ١٢٩ و١٥١؛ ٣: ١٦٤؛ ٦٢: ٢)؛ وهذا موقف النصارى والمسيحيين، لا موقف اليهود. فالقرآن يجادل الناس في الدين، بجدال أهل « الكتاب المنير » من نصارى ومسيحيين. لذلك ففي حوار الإسلام والمسيحية، لنا في القرآن نفسه أسوة حسنة بالاعتماد على « الكتاب المنير » الذي كان القرآن نفسه يجادل الناس به.

*

القاعدة الخامسة: « ويعلمهم الكتاب والحكمة » أي التوراة والإنجيل

إن القرآن يصرّح عن موضوع دعوته وإسلامه بتصاريح متواترة فيها لنا ذكرى وعبرة في الحوار بين الإسلام والمسيحية. جاء القرآن يعلّم الناس « الكتاب والحكمة ». وهو في مثل هذا التعبير يأخذ « الحكمة » على الاصطلاح، كناية عن الإنجيل، كما في تصريح المسيح: « ولما جاء عيسى بالبينات

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

قال: قد جئتكم بالحكمة » (الزخرف ٦٣)، « وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور » (المائدة ٤٩). **فالإنجيل هو الحكمة بالنسبة للكتاب**، كما في قوله عن المسيح: « ويعلمه الكتاب والحكمة، والتوراة والإنجيل » (آل عمران ٤٧؛ قابل المائدة ١١٣).

فهدف القرآن أنْ يعلّمَ الناس « الكتاب والحكمة » أيْ التوراة والإنجيل، هذا ما سأله إبراهيم لأمته من إسماعيل (البقرة ١٢٦)؛ وهذا ما يمنّ به على العرب: « كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم، **ويعلمكم الكتاب والحكمة**، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » (البقرة ١٥١)؛ فبتلاوة آيات القرآن يعلّم العرب التوراة والإنجيل. هذا هو موضوع دعوته الذي به يستعلي عليهم: « لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، **ويعلمهم الكتاب والحكمة**، وإنْ كانوا من قبل لفي ضلال مبين » (آل عمران ١٦٤). يصرح بذلك للمؤمنين، كما يعلنه للأميّين المشركين: « هو الذي بعث في الأميّين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، **ويعلمهم الكتاب والحكمة**، وإنْ كانوا من قبل لفي ضلال مبين » (الجمعة ٢).

فالتركيز بتواتر على أنَّ القرآن هو تعليم الناس « الكتاب والحكمة » أيْ التوراة والإنجيل، قدوة لضرورة الاعتماد على التوراة والإنجيل في قيام حوار صحيح بين الإسلام والمسيحية. **فمن الخيانة للقرآن نفسه الاقتصار عليه** في فهم حقيقة الدين والإسلام، وفي صحة الحوار بين أهل القرآن وأهل الإنجيل.

قد يقول بعضهم: بما أنَّ القرآن « يعلمهم الكتاب والحكمة »، فيصح الاكتفاء به دون الرجوع إلى التوراة والإنجيل. والجواب على **هذه الشبهة** في أوامر القرآن للنبي وأمته، كما يتضح من القواعد التالية.

*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

القاعدة السادسة: « فاسألوا أهل الذكر، إنْ كنتم لا تعلمون »

في محاولة لتكذيب النبي في دعوته « أسرّوا النجوى الذين ظلموا » من اليهود للمشركين: « هل هذا إلاّ بشر مثلكم »، فأجاب: « وما أرسلنا قبلك إلاّ رجالاً نوحي إليهم: فاسألوا أهل الذكر إنْ كنتم لا تعلمون » (الأنبياء ٧)؛ وأهل الذكر مرادف لأهل الكتاب، أي « **العلماء بالتوراة والإنجيل** » (الجلالان). ففي **مسألة النبوة** يحتكم القرآن إلى أهل الكتاب المقسطين من نصارى ومسيحيين. كذلك في مسألة كتاب الله وما فيه من بيّنات وزبر: « وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالا نوحي إليهم، فاسألوا أهل الذكر، إنْ كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر! وأنزلنا إليك الذكر لتُبيّن للناس ما نزّل إليهم، ولعلّهم يتفكرون » (النحل ٤٣). فالقرآن نفسه يحتكم في كل ما يتعلّق بكتاب الله إلى أَهل الكتاب أنفسهم. وهذا تلقين ملزم في كل حوار. ويعتبر نفسه ذكراً من ذكرهم، « لتبيّن للناس ما نُزّل إليهم » في الذكر الأصيل. فمن الحكمة الرجوع دائماً إلى الأصل والمصدر، في كل بحث وحوار، كما يأمر القرآن نفسه.

والقرآن يأمر أهله بالرجوع في أمر الدين إلى أهل الكتاب، لأنّه ذكر من ذكرهم: « هذا ذكر مَن معي وذكر مَن قبلي » (الأنبياء ٢٤). وذلك لأن القرآن نفسه جاء للتذكير بالكتاب، كما يقسم به: « والقرآن ذي الذكر » (ص ١)، تلك هي مهمته وغايته: « ولقد يسّرنا القرآن للذكر » (القمر ١٧ و٢٢ و٣٢ و٤٠). **فالكتاب هو** « **الذكر الحكيم** » الذي منه يتلو قصص عيسى: « ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم » (آل عمران ٥٨). والصفة « الحكيم » إشارة إلى « الحكمة » أي الإنجيل بالنسبة للكتاب: « **فالذكر الحكيم** » **هو الإنجيل على التخصيص.**

ففي الحوار بين الإسلام والمسيحية، « اسألوا أهل الذكر » أي أهل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الإنجيل؛ وفي البحث بدين الله وكتاب الله، لا يصح الاعتماد على القرآن وحده، بل يجب الرجوع إلى « الذكر الحكيم » أي الإنجيل، الذي منه يتلو القرآن آياته.

*

القاعدة السابعة: « فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك »

إن الأمر بسؤال أهل الكتاب في كتاب الله ودين الله لا يقتصر على أمة محمد، بل **يطال النبي نفسه:** « فإن كنت في شك ممَّا أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك: لقد جاءك الحق من ربك، فلا تكوننّ من الممترين، ولا تكوننّ من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين » (يونس ٩٤ ـ ٩٥).

هذا التصريح يعلن حقيقتيْن: في قوله « فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك » **إعلان بأن القرآن قراءة عربية للكتاب من قبله؛** وهذا مثل قوله بأنه « تصديق الذي بين يديه (قبله) وتفصيل الكتاب » (يونس ٣٧) لذلك فهو ليس افتراء من دون الله. والحقيقة الأخرى أن النبي نفسه مأمور، حين « شك ممّا أنزلنا إليك » أَن يسأل الذين تعلموا قراءة الكتاب من قبله، فيعلم منهم أنّ الحقّ جاءه من ربه بواسطة قراءة الكتاب بالقرآن. هذا تصريحه بنصه القاطع، فلا فائدة من محاولات حمله على غير معناه.

فإذا كان النبي نفسه يُؤمر بالقرآن، عند الشك من الوحي والتنزيل، أنْ يسألَ أهل الكتاب في صحته وحقيقته، فكم بالأحرى سائر الناس! وبما أنه يعلن بأن القرآن ـ في ما عدا أحكامه المحكمة ـ آيات « متشابهات » (آل عمران ٧)، كان سؤال أهل الإنجيل أمراً محتوماً في مسائل الوحي والتنزيل.

*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

القاعدة الثامنة: « قلْ: كفى بالله شهيداً بيني وبينكم، ومَن عنده علم الكتاب »

إن المعجزة برهان النبوة. لذلك ظل المشركون، بدس اليهود، يطالبون محمداً بمعجزة « كما أُرسل الأولون » (الأنبياء ٧) دليلاً على صحة نبوته ودعوته. **فكان موقف القرآن من المعجزة المطلوبة سلبيّاً**، يقول الأستاذ دروزة (سيرة الرسول ص ٢١٧): « ولقد تكرّر طلب الآيات من جانب الجاحدين، أو بالأحرى زعمائهم، كثيراً حتى حكى القرآن المكي عنهم نحو **خمس وعشرين مرة صريحة**، عدا ما حكى عنهم من التحدي الضمني، ومن التحدي بالاتيان بالعذاب واستعجاله والتساؤل عن موعده. ولا نعدو الحق إذا قلنا إنَّ المستفاد من الآيات القرآنية المكية **أن الموقف تجاه هذا التحدي المتكرر كان سلبيّاً** ــ إذا ما استثنينا الإشارة إلى القرآن كآية كافية، أو إلى احتوائه ما في الكتب السماوية كآية على صحة وحي الله به؛ ثم آيات انشقاق القمر ». إن قصة انشقاق القمر آية من آيات يوم الدين، فلا دلالة لها. وإن « الإشارة إلى القرآن كآية كافية » هو إشارة عابرة (العنكبوت ٥٠ ــ ٥١). والإشارة « إلى احتوائه ما في الكتب السماوية » إشارة عابرة أيضاً (طه ١٣٣).

أما آية محمد على صحة نبوته ودعوته فكانت شهادة « **من عنده علم الكتاب** » له؛ لأن التحدّي بإعجاز القرآن لم يمنعهم من المطالبة بالمعجزة، **وهذا التحدي** « **بمثله** » (يونس ٣٨؛ هود ١٣؛ القصص ٤٩؛ الطور ٣٣ ــ ٣٤؛ البقرة ٢٣ ــ ٢٤) يسقط بتصريحه: « وقد شهد شاهد من بني إسرائيل **على مثله** » (الأحقاف ١٠)؛ يؤيد ذلك الاقرار بالنسخ في أحكامه (البقرة ١٠٦)، والإعلان « بالمتشابهات » في تعليمه (آل عمران ٧).

يبقى أن حجة القرآن على صحة النبوة والدعوة فيه شهادة « **من عنده علم الكتاب** » (الرعد ٤٥). وهو كقوله: « أولَمْ يكن لهم آية أن **يعلمه علماءُ بني إسرائيل** »

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

(الشعراء ١٩٧)، بني إسرائيل النصارى، لا اليهود « أول كافر بــه » (البقــرة ٤١). **فأهــل الإنجيل هم شهود محمد على صحة دعوته.** والقرآن يكتفي ــ بعد الله ــ بهذه الشهادة. وهــي قائمة على وحدة القرآن و« مثله » الذي عند بني إسرائيل النصارى، كما « شهد شــاهد مــن بني إسرائيل على مثله » (الأحقاف ١٠).

فإذا كان أهل الإنجيل **حجة محمد الأولى** على صحة دعوته، فهم أيضاً **أهــل الحجــة الفضلى** في الحوار بين الإسلام والمسيحية. وذلك ليس فقط لأن عنــدهم « علــم الكتــاب » (الرعد ٤٥)، بل لأن القرآن نفسه « هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » (العنكبوت ٤٩)، أي أهل الكتاب من النصارى والمسيحيين؛ كانوا شهود القرآن، وهم اليوم شهود الحوار.

*

القاعدة التاسعة: « فبهداهم اقتدِهْ »

شرعة نبي القرآن في دعوته هي: « أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ــ فإن يكفر بها هؤلاء (أهل مكة) فقد وكّلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين ــ أولئــك الــذين هــدى الله، **فبهداهم اقتدهْ** » (الأنعام ٨٩ ــ ٩٠). تعبير « **الحكم** » يعني « **الحكمة** » (الجلالان)، فهو قد ورد في القرآن بحرفه العبري والسرياني، كما كان متواتراً عند أهل الكتاب. فالكتــاب كنايــة عن توراة موسى، والحكم أيْ الحكمة كناية عن الإنجيل؛ والنبوة كنايــة عــن أســفار ســائر الأنبياء. وبما أن النبوة تفصيل لكتاب موسى، فالتعبير يقتصر على أهل « الكتاب والحكمــة » أيْ أهل التوراة والإنجيل؛ لا اليهود منهم، بل الــذين يؤمنــون بــالتوراة والإنجيــل معــاً أيْ النصارى والمسيحيون.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فعلى محمد أنْ يقتدي في الدعوة القرآنية **بهدى النصارى والمسيحيين**، « مـن عنـده علم الكتاب »، مهما كفر بذلك أهل مكة، بدس اليهود.

والنتيجة المذهلة لهذا الأمر القرآني أنه: إذا كان على نبي القرآن نفسه أن يقتدي بهدى أهل الإنجيل، في الدعوة القرآنية، فكم بالأحرى أمـة القـرآن، فـي الحـوار بـين الإسـلام والمسيحية!

*

القاعدة العاشرة: « وشهد شاهد من بني إسرائيل على « مثله »

إن القرآن يتحدى المشركين « بسورة مثله » (يونس ٣٨)، « بعشر سور مثله » (هود ١٣)، « بحديث مثله » (الطور ٣٤)، « بسورة من مثله » (البقرة ٢٣).

ونعرف أن ذلك التحدي كان للمشركين وحدهم، لا لأهل الكتاب، من قولـه: « قـلْ: فأتوا بكتاب من عند الله هو **أهدى منهما** أتبعه إنْ كنتم صادقين » (القصـص ٤٩) أيْ اهـدى من الكتاب والقرآن. فهو يجمع بينهما في الهدى والإعجاز.

لذلك فهو يتحدى المشركين: « قلْ: أرأيتم إنْ كان من عند الله وكفرتم بـه ــ **وشـهد شاهد من بني إسرائيل على مثله**، فـآمن واسـتكبرتم، إن الله لا يهـدي القـوم الظـالمين » (الأحقاف ١٠). يظن المفسرون أن هذا الشاهد كان يهودياً، « هـو عبـد الله بـن سـلام » (الجلالان). وهذا جهل بالقرآن شنيع. إن الشاهد فرد من جماعة يقومون مع محمـد بالـدعوة القرآنية، ويكتفي بشهادة « من عنده علم الكتاب » (الرعد ٤٥) على صحة الـدعوة؛ وهـؤلاء الجماعة يقول فيهم: « أولَم يكن لهم آية أن يعلمه **علماء بني إسـرائيل** » (الشعراء ١٩٧). فلم يؤمن من

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بني إسرائيل سوى عبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، لدسّ الإسرائيليّات على الدعوة؛ فتعبير « **علماء بني إسرائيل** » على إطلاقه وشموله، لا يعني اليهود « **أول كافر به** » (البقرة ٤١)، بل **النصارى من بني إسرائيل**، كقوله: « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الأعراف ١٥٨)، وهي « طائفة من بني إسرائيل » آمنت بالمسيح ويؤيدها القرآن على عدوها، الطائفة من بني إسرائيل التي كفرت بالمسيح (الصف ١٤) فالنصارى أهل الشهادة للقرآن، **وهم الذين عندهم « مثل » القرآن.**

تصريح ضخم يشهد شهادة قاطعة بأن « **مثل** » **القرآن موجود قبله**، والقرآن إنما هو تفصيل له بالعربية، « تفصيل الكتاب » (يونس ٣٦)، الكتاب المنير، وكتاب موسى؛ والقرآن « كتاب مصدّق **لساناً عربيّاً**، لينذر الذين ظلموا، وبشرى « للمحسنين » (الأحقاف ١٢) فالقرآن لا يختلف عن « مثله » إلاَّ باللسان العربيّ. وتعبير « الذين ظلموا » كناية عن اليهود، وتعبير « المحسنين » كناية عن النصارى من بني إسرائيل، كما هو متواتر. فالقرآن، كما هو دعوة للمشركين، هو أيضاً إنذار لليهود، وبشرى للنصارى المحسنين. فليس الشاهد الذي يشهد « بمثله » من بني إسرائيل يهوديّاً، بل « نصرانيّاً ».

وإذا كان « مثل » القرآن موجوداً قبله، فلا عجب أنْ يكون القرآن نفسه « آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » من قبله (العنكبوت ٤٩)، أيْ أهل الإنجيل، « يعرفونه كما يعرفون أبناءَهم » (الأنعام ٢٠؛ البقرة ١٤٦) معرفة أبوية مصدرية.

وهذه المنزلة التي يرفع إليها القرآن أهل الإنجيل، تجعلهم أهل الحوار الصحيح في الإسلام والمسيحية: فهم عندهم « مثل » القرآن، وعلى نبي القرآن أنْ يقتدي بهداهم (الأنعام ٩٠) لأنهم « من عنده علم الكتاب » الذين يكتفي بشهادتهم (الرعد ٤٥)؛ فكم بالأحرى أمة القرآن.

*

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

خاتمة

« أم لكم سلطان مبين: فأتوا بكتابكم إنْ كنتم صادقين »

تلك هي **القواعد العشر** التي وضعها القرآن للحوار مع المسيحية، يقبلها أهل الإنجيل، ولا يقدر أن يتنصّل منها أهل القرآن. إنها **شرعة الحوار** بين الإسلام والمسيحية.

وكلها تقودنا **من القرآن إلى الإنجيل**، في ما يتشابه علنيا من تعليم القرآن، بحسب أسلوبه المتواتر في الجدال والحوار: « الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتاهم، كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا! كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار » (المؤمن ــ غافر ٣٥ كذلك ٥٦). لذلك « قلْ: إنما حرّم ربي.. أن تشركوا بالله ما لم ينزّل به سلطاناً، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » (الأعراف ٣١)؛ « **ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً**، وما ليس لهم به علم » (الحج ٧١). وفي عبادة الملائكة يحكم: « أَلا أنهم من إفكهم ليقولون: **ولد الله**، وإنهم لكاذبون! اصطفى البنات على البنين: ما لكم كيف تحكمون، أفلا تتذكرون! **أم لكن سلطان مبين: فأتوا بكتابكم**، إنْ كنتم صادقين » (الصافات ١٤٩ ــ ١٥٦). **فالسلطان المبين على عقيدة دينية هو كتاب الله**. هذا هو منطق القرآن في جداله. لذلك فهو يجادل الناس « بعلم وهدى وكتاب منير » (لقمان ٢٠؛ الحج ٨). **فالسلطان المبين، في شرْع القرآن، هو الكتاب المنير**. لذلك « قلْ: فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما اتبعه إنْ كنتم صادقين » (القصص ٤٩).

فالحوار الصحيح بين الإسلام والمسيحية يُبنى على القرآن وعلى « الكتاب كله »، التوراة والإنجيل، وبالحري على « الكتاب المنير » أي الإنجيل.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وفي هذا الحوار، إذا تشابه علينا القرآن، يجب الرجوع إلى السلطان المبين الذي في « الكتاب المنير »، لأن « الإنجيل فيه هدى ونور »، وهو « هدى وموعظة للمتقين » من أمة محمد أنفسهم (المائدة ٤٩).

فالفصل في تأويل سر المسيح، « كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » يرجع إلى السلطان المبين في الإنجيل.

والفصل في تأويل سر الله، الحي القيوم، الذي تنادي به التوراة والإنجيل والقرآن (آل عمران ١ ـ ٣) يعود إلى السلطان المبين في الإنجيل، الكتاب المنير الذي به يجادل القرآن نفسه الناس أجمعين (لقمان ٢٠؛ الحج ٨).

والفصل في كل « علم » منزل، لا يقتصر على القرآن، حيث « ما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً » (الإسراء ٨٥)، خصوصاً في مسائل « الروح »، عالم الله المطلق، المنزه عن المخلوق؛ بل يرجع إلى « المثْل » **الذي** أتى عنه القرآن « لساناً عربياً » (الأحقاف ١٠ و١٢) وإلى هدى الذين أُمر نبي القرآن أنْ يقتدي بهداهم (الأنعام ٩٠)، **لأنّ لهم سلطاناً مبيناً في الكتاب المنير**؛ فهم على مثال النبي العربي « يجادلون في الله بهدى وعلم وكتاب منير ».

هذا هو الحوار الحقّ بين الإنجيل والقرآن.

وتلك هي القواعد القرآنيّة العشر في الحوار بين الإسلام والمسيحية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فصل الخطاب

موقف القرآن من المسيحية

في عام الوفود حاور القرآن مع وفد نجران بدعة مسيحية؛ لكن القرآن في عهوده كلها لم يحاور المسيحية الرسمية على الإطلاق. **هذا هو الواقع القرآني كله.**

١ ــ وموقف القرآن من المسيحية نوجزه في **عشرة بنود**، وهي خلاصة الأبحاث في الفصول السابقة:

البند الأول: للقرآن غايتان في دعوته. الأولى دعوة العرب إلى التوحيد الكتابي، على أساس الإيمان « **بالكتاب كله** » (آل عمران ١١٩)، أيْ **الإيمان بالله والمسيح** (الشورى ١٣). الثانية الحوار مع بني إسرائيل: « إِن هذا القرآن يقصّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل ٧٦)؛ وما اختلف بنو إسرائيل إلى يهود ونصارى إلاّ في المسيح، « **فآمنت طائفة من بني إسرائيل**؛ وكفرت طائفة: فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤). ففي عرْف القرآن إن « **النصارى** » هم حصراً من بني إسرائيل. والقرآن يقتصر حواره طوال عهده في مكة والمدينة على بني إسرائيل، فينتصر « للنصرانية » على اليهودية حق الظهور المبين في الحجاز والجزيرة. فلا دخْل على الإطلاق للمسيحية في حواره. وظلت المسيحية على الحياد الإيجابي في صراعه مع اليهودية، في سبيل « النصرانية »، حتى عام الوفود، بعد غزوة تبوك للمسيحيين العرب في الشمال، وجداله مع وفد نجران من الجنوب. حينئذٍ فقط دخل في حوار مع المسيحية، لكنه كان حواراً مع بدعة في المسيحية، لا مع

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المسيحية الرسمية. **هكذا ظلت المسيحية الرسمية في معزل مطلق عن حوار القرآن.**

البند الثاني: إن القرآن يدعو « الذين أوتوا الكتاب (من اليهود) والأميّين » إلى الإسلام (آل عمران ٢٠)؛ وهذا الإسلام القرآني هو الإسلام « النصراني » عينه الذي يشهد به، مع الله وملائكته، « أولوا العلم قائماً بالقسط » (آل عمران ١٨ ـ ١٩) أيْ النصارى من بني إسرائيل ومَن « تنصّر » معهم من العرب. لذلك جاء ذكر النصارى ـ سواء بمعنى النصارى من بني إسرائيل؛ أو بمعنى المسيحيين ـ **مقحماً في غير موضعه** من القرآن، قبل جداله مع وفد نجران، في آخر أمره. وهو إقحام ظاهر على **سبع آيات**، من زمن جمع القرآن إِبّان الفتوحات الإسلامية لديار المسيحية. وهذا الإقحام المكشوف هو الذي يحرّف موقف القرآن الحق من المسيحية التي لا يخاطبها، ومن « النصرانية » التي ينصرها.

البند الثالث: ظلم آخر بحق المسيحية، في إطلاق تعبير « أهل الكتاب » على المسيحيين، حيث يرد على التعميم في موطن التخصيص، فتذهب المسيحية ضحية اليهودية التي يكفرها في ذلك التعبير. فالقرآن يطلق تعبير « أهل الكتاب » أولاً على اليهود والنصارى من بني إسرائيل، ثم في جدال وفد نجران على أهل بدعتهم المسيحية. فيجعل اليهود « أول كافر به » (البقرة ٤١)، ويقرنهم في حملة واحدة مع المشركين (البيّنة ١؛ المائدة ٨٥)؛ بينما يعتبر نفسه « أمة واحدة » » مع « النصارى » (آل عمران ١٨؛ النحل ٢٨؛ النساء ١٦١؛ المجادلة ١١)؛ وينتهي في عام الوفود بنعت بدعة أهل نجران بالكفر (المائدة ١٩ و٧٥)، وهو يدعوهم إلى الكف عن « الغلو » في دينهم (النساء ١٧٠؛ المائدة ٨٠). **فكل حملة في القرآن على « أهل الكتاب » هي تكفير لليهود**، لكفرهم بالمسيح، ولكفرهم بالقرآن الذي يدعو للمسيح، كما يظهر من القرائن القريبة والبعيدة، ولو جاء التعبير على التعميم، وهو في موطن التخصيص.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

والنتيجة الحاسمة للواقع القرآني أن تعبير « أهل الكتاب »، وإنْ ورد بحق أهل نجران، لا يعني على الإطلاق المسيحيين، أهل المسيحية الرسمية، خارج الجزيرة العربية. فمن الخيانة للقرآن، والجناية بحق المسيحية الرسمية، التي كانت بمعزل عن خطاباته، إطلاق « أهل الكتاب » عليها في تكفيراته. والشبهة القتالة هي في تعميم التعبير، وهو في موطن التخصيص، بحسب الأسلوب القرآني المتواتر. وهكذا تذهب المسيحية الرسمية، من بروتستنت وأرثذكس وكاثوليك، ضحية تكفير القرآن لبدعة مسيحية، وضحية تعبير « أهل الكتاب » الوارد على التعميم في موطن التخصيص.

البند الرابع: إن القرآن في دعوته كلها ينتسب انتساباً مطلقاً إلى الكتاب وأهله في « أمة واحدة » (الأنبياء ٩٣: المؤمنون ٥٢)؛ فهو دعوة كتابية. وينتسب على الخصوص إلى الإنجيل وأهله، « الذين أوتوا الكتاب والحكم (الحكمة) والنبوة » أي التوراة والإنجيل، ويُؤمر أن « يقتدي بهداهم » (الأنعام ٩٠)؛ فهو **دعوة إنجيلية.** لكنه دعوة في « **أمة وسط** » بين اليهودية والمسيحية، هي نصرانية بين إسرائيل ومَن تنصّر معهم من العرب (الصف ١٤)، مثل ورقة بن نوفل، قسّ مكة؛ فالقرآن **دعوة** « **نصرانية** ». والقرآن **دين إنجيلي**؛ والإسلام والمسيحية **فرعان لدين واحد.**

البند الخامس: إن القرآن يجادل اليهودية، بجدال « النصرانية » لها في « الكتاب كله » وفي المسيح وأمه، وفي استشهاد المسيح. فهو عندما يكفر اليهود لكفرهم « وقولهم: إنَّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم » (النساء ١٥٦)، لا ينكر صلب المسيح وقتله ــ كما هو ظاهر التعبير ــ إنما يردّ على تبجّحهم بذلك، بالشهادة للمسيح أنه حيّ خالد عند الله في السماء، « وما قتلوه يقيناً، بل رفعه الله إليه » (١٥٧)؛ وهو أسلوب بياني مشهور **للإثبات في معرض النفي**، الذي هو أفحم للخصم. فالشبهة في ظاهر التعبير، لا في حقيقة العقيدة التي يؤكدها بتواتر في تعليمه (مريم ٣٣؛ آل عمران ٥٥؛ المائدة ١٢٠).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

البند السادس: الظاهرة الكبرى التي تفوت الناس إن القرآن **لم يخاطب المسيحية الرسمية القائمة في المسكونة، على الإطلاق**. إنما هو يجادل وفد نجران الذي كان على بدعة اليعقوبية؛ وقد وزعوا ذلك الجدال الشهير على سور (آل عمران ٣٣ ـ ٦٤؛ النساء ١٧٠ ـ ١٧١؛ المائدة ١٥ و١٩ و٧٥ ـ ٨٠ مع ١١٣ ـ ١٢٣)، في وسط ثلاث سلاسل من الجدال مع اليهود. وفي هذا التوزيع، من زمن الجمع والتدوين، تحريف لتاريخية التنزيل، إذ لم يدخل القرآن في جدال مع أهل نجران إلاَّ في عام الوفود. وذلك التوزيع المشبوه يلقي الشبهة بأن القرآن جادل المسيحية العربية طوال العهد بالمدينة؛ كما أن تأخير السلسلة الرابعة من جدال اليهود إلى سورة (المائدة) يلقي الشبهة بأن جدالهم دام إلى آخر عهده، مع أن تصفية اليهود من الحجاز قد تمت في العهد الأول بالمدينة كما تشهد سورة (الصف ١٤). والتنزيل القرآني براءٌ من تلكما الشبهتيْن. وكان وفد نجران على البدعة اليعقوبية؛ وهو الوفد المسيحي الوحيد الذي ينقل القرآن حواره. فلا يصح أبداً إطلاق تكفيرات القرآن لبدعة مسيحية، على المسيحية الرسمية جمعاء. ذلك خيانة للقرآن، وجناية بحق المسيحية العالمية.

البند السابع: إن القرآن و« النصرانية » أمة واحدة ودعوة واحدة (آل عمران ١٨). وكان موقف القرآن ونبيه من المسيحية موقف المودة إلى النهاية. ففي أول أمره احتمى جماعته عند النجاشي في الحبشة. وعند الهجرة إلى المدينة، كان زحف الروم على الفرس قد بدأ بنجاح باهر، فتضامن القرآن مع الروم بالوعد بالنصر: « غُلبت الروم في أدنى الأرض (من الجزيرة العربية)، وهم من بعد غلبهم سيغلبون، في بضع سنين؛ لله الأمر من قبل ومن بعد؛ ويومئذٍ يفرح المؤمنون، بنصر الله » (الروم ١ ـ ٥). وهذا الموقف في وحدة المصير، يفسّر موقف القرآن من غزوات النبي العربي لأهل الشمال من المسيحيين العرب. **فقد كانت لأسباب غير الدين**، كما يظهر من قوله بعد فشل غزوة مؤتة وفتح

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

مكة « لئلا (لكي) يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله، وأن الفضل بيد الله يؤتيه مَن يشاء، والله ذو الفضل العظيم » (الحديد ٢٩)؛ والفضل المذكور هو النصر في الحرب. وغزوة تبوك، عند مشارف الشام، كانت « حتى يدفعوا الجزية عن يد، وهم صاغرون » (٩ براءة ٣٠)، أي لإخضاعهم لسلطان المسلمين، لا للإسلام. ويدلّ، على أن القرآن لا يريد قتال المسيحية، موقفه من أهل نجران الذين بعد خلافه معهم في بنوة المسيح وإلهيته، وادعهم وعاهدهم، ولم يأمر بقتالهم. وبعد تصفية اليهود من الحجاز، كانت **شرعة القرآن الأخيرة** في قتال المشركين حتى الإسلام: « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » (براءة ٦)؛ « وقاتلوا المشركين كافة، كما يقاتلونكم كافة، واعلموا أن الله مع المتقين » (براءة ٣٧)، كما يقول في فاتحة الشرعة وفي خاتمتها. وفي شرعة قتال المشركين **فصل في قتال المسيحيين أسوة باليهود** (٣٠ ــ ٣٥). وهذا شبهة على صحته؛ وموجبات تشريع القتال فيه تتعارض كلها مع القرآن كله. لذلك نظن بأن هذا الفصل الصغير (براءَة ٣٠ ــ ٣٥) مقحم على السورة من زمن التدوين، حين الفتوحات الإسلامية للديار المسيحية، في محاولة لتبريرها. يشهد بذلك **وصية محمد الأخيرة**، وهو على فراش الموت: « لا يجتمعنَّ بجزيرة العرب دينان »[1]. فهب أن شرعة القرآن في قتال المسيحيين صحيحة، فهي تقتصر على جزيرة العرب، كما تشهد (أسباب النزول) لغزوة تبوك، وكما تشهد وصية محمد الأخيرة لأمته على فراش الموت؛ وليس في القرآن كله من مقابلة بين موقف القرآن من اليهودية وموقفه من المسيحية، كما في تلك الشرعة المقحمة المنكرة (براءة ٣٠ ــ ٣٥) التي تأمر بقتال أمة عيسى مثل أُمة موسى، « حتى يدفعوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ». فلا يوحي حرف الشرعة، ولا روحها أنها مستمرة التلقين، وتتخطى حدود الجزيرة، في المكان والزمان. فإذا صح أنّ القرآن

---

(١) صيغة أخرى للحديث: « لا يجتمعُ دينان في جزيرة العرب » ــ طبقات ابن سعد ج [؟]، ف ٢، ص ٤٤.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

جدال وقتال لليهودية، تأييداً « للنصرانية » (الصف ١٤)، فلا يصح بحال من الأحوال أنه جدال وقتال للمسيحية أيضاً أسوة باليهودية، لأن القرآن دعوة لله وللمسيح.

البند الثامن: إن القرآن **دعوة لله وللمسيح**، بحسب الهدى الذي أُمر أنْ يقتدي به (الأنعام ٩٠)، والإيمان الذي يعلنه بالتقفية بالمسيح على أنبياء التوراة. ففي عرْف القرآن لا يصح إسلامٍ بدون إيمان بالمسيح. وإذا كان الإنجيل « فيه هدى ونور » مثل التوراة « فيها هدى ونور »! **فإن الإنجيل وحده « هدى وموعظة للمتقين »** من العرب مع محمد. وإيمان القرآن بالمسيح أنه « عيسى ابن مريم »؛ لكنه أيضاً « كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » تعالى (النساء ١٧٠). **فشخصية المسيح في القرآن تقوم على ثنائية بيّنة.** إن « ابن مريم » هو أيضاً مسيح الله، وكلمة الله، وروح منه تعالى؛ وهذه الألقاب الفريدة، بحسب تفسير المفسرين، ترفع المسيح على المخلوقين أجمعين، وتجعله في ذاته السامية التي ألقاها إلى مريم، في صلة خاصة مع الله، أقرب إلى الخالق منها إلى المخلوق. وما تكفير القرآن: « لقد كفر الذين قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم » (المائدة ١٩ و٧٥)، **سوى تكفير لمقالة بدعة في المسيحية** لا يطال المسيحية الرسمية في شيء. كذلك إعلان: « وقالت اليهود: عزير ابن الله! وقالت النصارى (المسيحيون): المسيح ابن الله » (براءة ٣١)، إنما هو تنديد بالذين يفهمون بنوة المسيح على مثال بنوة عزيز؛ وهذا ليس من المسيحية الرسمية في شيء. فإيمان القرآن بالمسيح « أمة وسط » بين اليهودية التي تكفر به، وبين المسيحية التي « تغلو » في أَمره. ويظل **محور القرآن** دعوة كتابية، إنجيلية، « نصرانية » لله وللمسيح.

البند التاسع: إن « **الثلاثة** » التي يستنكرها القرآن: « ولا تقولوا: ثلاثة! انتهوا، خيراً لكم » (النساء ١٧٠)، ويكفّرها: « لقد كفر الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة » (المائدة ٧٦) ــــ ليست من **التثليث** المسيحي في شيء

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فإنّه لم يقم في المسيحية أحد **جعل** مريم مع المسيح « **إلهيْن** مــن دون الله » (المائــدة ١١٩)، هذا كفر محض لا يقول به مؤمن ولا عاقل. إنما التثليث المسيحي هــو الله وكلمتــه الــذاتي، وروحه الذاتي القدس، في وحدانيته الصمدانية، بدون صلة مــع المخلــوق علــى الإطــلاق. والقرآن الذي ينكر مقالة « الثلاثة »، يقول بوجود الله والكلمة المطلق، والروح المطلــق، أي بثلاثية في الله؛ ففي القرآن **تثليث باطن، هو التثليث الظاهر** في الإنجيــل « ويســألونك عــن الروح؟ قلْ: الــروح من أمر ربي، **وما أُوتيتم** من العــلم إلاّ قليلاً » (الإسراء ١٠٨). لــذلك « فاسألوا أَهل الذكر، إنْ كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر » (النحل ٤٤).

البند العاشر: إن النتيجة الحاسمة لاستقراء القرآن، وتلاوته حق تلاوته، أَنــه **جــادل بدعة مسيحية** مع وفد نجران، **ولا أثر فيه لحوار المسيحية الرسمية** على الإطــلاق. فمــن الخيانة بحق القرآن، ومن الجناية بحق المسيحية، تطبيق جدال القرآن مع بدعة مسيحية، علــى المسيحية الرسمية جمعاء.

ففي الحــوار بين الإسلام والمسيحية لا يصح الانطلاق من جدال بدعة مسيحية؛ بــل من كون القرآن دعوة « نصرانية »، في « أمة وسط » بين اليهودية والمسيحية. فهذا الكيــان « النصراني » للقرآن، موضوعاً وانتساباً صريحاً، يجعله ديناً إنجيليّاً، ويصح منطلقاً للحــوار الإسلامي المسيحي.

ذاك هو **موقف القرآن من المسيحية.**

*

٢ ــ هذا الموقف المبدئي **يؤيده الموقف العملي من « الروم ».**

إن حقيقة تعابير « النصارى » و« الروم » في القرآن تكشف أيضاً حقيقة موقفه مــن المسيحية الرسمية كما دولة الروم.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

كان العالم في عهد البعثة المحمدية والدعوة القرآنية مقسوماً إلى امبراطوريتيْن: الفرس شرقاً، والروم غرباً. ويحاول أهل الحجاز فيما بين الجباريْن أَن يبقوا على الحياد، كما يشهد قولهم للنبي العربي: « **إِنْ نتبع الهدى معك نُتخطّف من أرضنا** » (القصص ٥٧). هذا التصريح يعني أن الدعوة القرآنية **تؤيد مسيحية الروم** على وثنية الفرس، ممّا ينزع عن العرب الحجازيين صفة الحياد بين العملاقيْن، وينذر ببطش الفرس بهم، بدسّ من عملائهم اليهود القائمين بين ظهرانيهم.

والقرآن يعرف أن « الروم » على دين عيسى المسيح، فهم مسيحيون؛ وهو يثق بنصرهم في الحرب الطاحنة القائمة بينهم وبين الفرس: « آلم غُلبت الروم في أدنى الأرض (بلاد الشام)، وهم من بعد غَلَبِهم سيَغلبون، في بضعِ سنين، لله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذٍ يفرح المؤمنون (المسلمون) بنصر الله، ينصر مَن يشاء، وهو العزيز الرحيم، وَعْدَ الله، لا يُخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (٦١). فالقرآن يعلن فرح المسلمين بنصر الله للروم؛ ويؤكد بأنه وعد الله، ولا يخلف الله وعده. إنه يشهد بتضامنه مع الروم في العقيدة والجهاد ضد الوثنية الفارسية: « وحينئذٍ يفرح **المؤمنون** بنصر الله ». هذا هو الموقف القرآني الدائم تجاه الروم أي تجاه المسيحية الرسمية. فلا جدال ولا حوار ولا خطاب معهم سوى هذا التضامن المبدئي.

وإذا كان بعد سيطرة الإسلام على الحجاز، حارب المسيحيين في مؤتة ثم في تبوك، عند مشارف الشام، من دولة الروم؛ فهو لم يحارب الروم، ولا المسيحية؛ إنما أراد إخضاع العرب المسيحيين لسلطان الإسلام، كما قال في وصيته الأخيرة على فراش الموت لأمته: « لا يجتمعن في جزيرة العرب دينان »؛ فأمر بإجلاء مسيحي نجران.

هذا هو موقف القرآن كله من الروم: فهو موقف التضامن في الإيمان والجهاد، مع الحفاظ على استقلال العرب في دينهم وأرضهم. وكان الروم حينئذٍ في امبراطوريتهم يمثلون المسيحية الرسمية، كما نسميها في هذا الكتاب.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

من هــذا كله نرى أن **القرآن يميّز بين** « **النصارى** » « **والروم** » أي المسيحيين إن « **النصارى** » في عرْفه هم « **طائفة من بني إسرائيل** » آمنت بالمسيح، بينما كفرت به طائفة اليهود (الصف ١٤)، وهــذه « الطائفة من بني إسرائيل » التي آمنت بالمسيح، يسميها أيضــاً « من قــوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلــون » (الأعراف ١٥٨). فهو معهــم « أمــة واحدة » (الأنبياء ٩٣؛ المؤمنون ٥٢)، هي تلك « الأمة الوسط » بين المســيحية واليهوديــة (البقرة ١٤٣).

وجدال القرآن كله محصور بين هؤلاء النصارى من بني إسرائيل واليهود: « إن هــذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل ٧٦). وهم ما اختلفوا إلــى « نصارى » ويهود إِلاّ في المسيح، وفي إقامة التوراة والإنجيل معــاً (المائــدة ٧١) أي فــي الإيمان « بالكتاب كله » (آل عمران ١١٩) بدون تفريق بين موسى وعيسى (البقرة ١٣٦؛ آل عمران ٨٤؛ البقرة ٢٨٥). فكان القرآن مع النصارى من بني إسرائيل ومَن « تنصّر » معهــم من العرب « أمة واحدة » في العقيدة والجهاد: « فأيدنا الذين آمنوا علــى عــدوهم (اليهــود) فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤).

فهذه هي **الحقيقة الكبرى** في القرآن، والتي سها عنها الناس: إن **القرآن دعوة كتابيــة للعرب** (الشورى ١٣)؛ **ودعوة** « **نصرانية** » **لليهود**؛ وليس دعوة أو جدالاً أو حواراً للمسيحية الرسمية، كما في دولة الروم، على الإطلاق. وهو إنْ جادل وفد نجران، أو قاتل أهــل مؤتــة وتبوك وهم على مذهب اليعقوبية، فإنما جادل وقاتل بدعة مسيحية كفّرتها المسيحية، في دولــة الروم، مئتيْ سنة من قبله.

لذلك يصح إيجاز موقف القرآن بهذه **المبادئ الأربعة** تجاه أهل الكتاب:

١) **تكفير اليهودية**، لكفرها بالمسيح والإنجيل، ومن ثم بمحمد الذي يدعو

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بالقرآن للمسيح والإنجيل، بدعوته لإقامة التوراة والإنجيل معاً (المائدة ٧١)، « لا نفرّق بين أحد من رسله » (البقرة ٢٨٥).

٢) **إعلان الوحدة المطلقة**، في « أمة واحدة » بين أهل القرآن والنصارى من بني إسرائيل، ومن « تنصّر » معهم من العرب، مثل ورقة بن نوفل، قس مكة، والسيدة خديجة ابنة أخيه.

٣) **تكفير بدعة مسيحية** يمثلها وفد نجران إلى النبي في عام الوفود ــ وكان أهل مؤتة وتبوك عليها ــ ولذلك سارع وفد نجران اليعقوبي لمفاوضة النبي على الموادعة والجزية. وكل تكفيرات القرآن بحق المسيحية إنما هي بحق البدعة اليعقوبية، في حوار وفد نجران الذي وزعوه عند التدوين على سور (آل عمران والنساء والمائدة).

٤) فلا يخاطب القرآن **المسيحية الرسمية**، الممثلة « بالروم » على الإطلاق.

إنما يذكرها ذكراً عابراً يشهد بالتضامن معها في العقيدة والجهاد والمصير (آية الروم). وتلك هي المسيحية السائدة اليوم في العالم بمليار من البشر.

وأساس **سوء التفاهم** بين الإسلام والمسيحية، كان في سوء فهم معنى « **النصارى** » في القرآن، وإطلاقه بدون حق على « **المسيحيين** ». فاسم « النصارى » في القرآن محصور ببني إسرائيل المؤمنين بالمسيح (الصف ١٤؛ الأعراف ١٥٨)؛ بينما اسم المسيحيين يشمل المؤمنين بالمسيح من الأميين، وكان في زمن البعثة يرادف اسم « الروم » في إمبراطوريتهم؛ وقد أعلن القرآن تضامنه معهم في العقيدة والمصير (آية الروم).

وهذا هو **القول الفصل**: إن القرآن لم يخاطب ولم يحاور ولم يجادل المسيحية الرسمية على الإطلاق؛ إنما وقف منها **موقف الإخوة المستبشر بنصرها**، كما في

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

(آية الروم)؛ وإنْ اختلف معها بعقيدته « النصرانية » في المسيح ــ فهو اجتهاد في التأويل، لا اختلاف في حرف العقيدة: « لكلمته وروح منه ».

فحقيقة تعابير « النصارى » و« الروم » تكشف حقيقة موقف القرآن من المسيحية العالمية، كما كانت في زمانه، وكما هي اليوم: وحدة مع « النصارى » وتضامن مع «الروم» أي المسيحيين.

*

٣ ــ أما **موقف الإسلام والمسيحية**، بعضهما من بعض، عبر التاريخ، فقد كان مع الأسف موقف الجدال والقتال[١]، بعيداً عن روح الإنجيل وروح القرآن الظاهر في (آية الروم). وذلك لأنهما يجهلان أو يتجاهلان موقف القرآن الصحيح من المسيحية. فإذا عاد أهل القرآن وأهل الإنجيل إلى حقيقة القرآن والإنجيل تحول صراعهم الدموي التاريخي، إلى حوار أخوي يغيّر التاريخ والمصير. وآن لهم أنْ يفعلوا قبل أن يجرفهم جميعاً تيار الإلحاد والمادة.

فعلى أهل الإنجيل وأهل القرآن أن يعلموا علم اليقين أن الإسلام والمسيحية **فرعان لدين واحد**، في منزلة الشيعة من السنة.

لقد ثبت لنا في كتابنا (القرآن دعوة « نصرانية ») منزلة الإسلام من المسيحية، وحقيقة ماهيته. فبما أن القرآن **دعوة كتابية** ضدّ الشرك العربي، ودعوة « **نصرانية** » ضد اليهودية؛ وبما أن إيمان القرآن بالمسيح أنه « كلمته وروح منه »، في وحدة حرف العقيدة بين الإسلام والمسيحية، مع اختلاف في

(١) المبني على الموقف الوحيد الفريد الغريب في آيات براءَة (٣٠ ــ ٣٥)، وهو ينسخ موقف القرآن كله من المسيحية؛ لكنه يحمل في ألفاظه ومعانيه دلائل إقحامه في زمن التدوين، إبّان الفتح العربي للديار المسيحية. وذلك الفتح لم يكن مقصوداً لذاته، بل لتحويل العرب إلى الاشتغال به عن الردّة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

التأويل؛ وبما **أن القرآن في حقيقته دعوة إنجيلية « نصرانية » مستعربة**، يشهد للإسلام بشهادة «أولي العلم قائماً بالقسط » (آل عمران ١٨) أيْ أهل الكتاب، النصارى من بني إسرائيل ومَن « تنصّر » معهم من العرب ــ وشهادتهم عنده من شهادة الله وملائكته ــ **فالإسلام بمنزلة الشيعة من السنة المسيحية**، في فرقها القائمة البروتستنتية والأرثوذكسية والكاثوليكية. وليس من المستحيل الحوار الودّي بين سنّة وشيعة على دين واحد، كما هو واقع الحال بين المسيحية والإسلام.

ومحور الخلاف بين شيعة الإسلام وسنة المسيحية في **نبوة محمد وشخصية المسيح**. واقتصار البحث فيهما على القرآن يهدينا إلى صراط مستقيم فيهما. فمحمد هو « خاتم النبيين » في « **تصديق** الذي بين يديه **وتفصيل الكتاب** » (يونس ٣٧)؛ فكان القرآن « بلاغاً من الله ورسالاته » (الجن ٢٣) « وبينات من الهدى والفرقان » (البقرة ١٨٥) أيْ الكتاب وتفسيره، كما « **شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله** » (الأحقاف ١٠)؛ وهذا الشاهد، بل الشهود (الشعراء ١٩٧) كانوا علماء بني إسرائيل النصارى، لا اليهود « أول كافر به » وهذه الصورة القرآنية لنبوة محمد ورسالته قد لا يختلف فيها أهل القرآن وأهل الإنجيل. وشخصية المسيح بحسب القرآن، إنّه « عيسى ابن مريم » يجري عليه ما يجري على كل « رسول بشر »؛ ولكنه أيضاً « كلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه » (النساء ١٧٠): فحرف العقيدة في سر المسيح واحد، وإنْ اختلف التأويل إلى « نصرانية » ومسيحية، ثم إلى إسلام ومسيحية. ولصحة التأويل يأمر القرآن أهله: و« اسألوا أهل الذكر، إنْ كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر » (النحل ٤٤)؛ كما أمر نبيه: « وإن كنت في شك مما أنزلنا إليك، فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك » (يونس ٩٤). فلنقتد بهذا الهدى كما أمر نبيه: « فبهداهم اقتدهْ » (الأنعام ٩٠). هذه هي حقيقة الحوار الودّي.

وفي كتابنا هذا ثبت لنا إن **موقف القرآن من المسيحية هو غير ما يظن أكثر الناس** من المسلمين والمسيحيين. إن القرآن جادل بدعة مسيحية حُرمت

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

سنة ٤٥١؛ ولم يحاور المسيحية الرسمية على الإطلاق. وكل ما فيه بحق المسيحية الرسمية هو (آية الروم) التي بها يفرح الإسلام بوحدة المصير مع المسيحية. ومن نكد الدنيا على الحق والحقيقة أن أهل القرآن طبقوا جداله لبدعة مسيحية، على المسيحية العالمية جمعاء؛ فارتكبوا بذلك **خيانة للقرآن، وجناية بحقّ المسيحية**. فصدَّقهم أهل الإنجيل، فظلموا أنفسهم وظلموا علمهم بالقرآن.

فآن لأهل الإنجيل ولأهل القرآن جميعاً أنْ يعرفوا موقف القرآن الحق من المسيحية، كما ثبت لنا في هذا الكتاب. **إن القرآن دعوة كتابية، « نصرانية »، لله وللمسيح**: فلا يصح إسلام بدون إيمان بالمسيح والإنجيل. فليس القرآن وحده كتاب المسلمين؛ بل الإنجيل هو أيضاً « **هدى وموعظة للمتقين** » من العرب (المائدة ٤٩).

وفي ختام المطاف نعود دائماً إلى **الشهادة الواحدة** الجامعة بين الإسلام والمسيحية على دين واحد في أَصله: **أشهد أنْ لا إِله إِلاّ الله**، و« **إنما المسيح عيسى، ابن مريم، رسول الله ــ وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه** » (النساء ١٧٠). فحرف الشهادة لله والمسيح واحد، وإنْ اختلف التأويل. وعند الخلاف في التأويل يأمر القرآن أَمراً محكماً: « فاسألوا أَهل الذكر، إنْ كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر » (النحل ٤٤).

والخلاف في تأويل **الشهادة الواحدة الجامعة**، ذاك الخلاف الذي قسم أهل الدين الواحد إلى شيعة وسنة، إسلام ومسيحية، **لا يمنع أنهما فرعان لدين واحد**. وأهل الدين الواحد في أصله، مهما اختلفوا إلى سنّة وشيعة، مسيحية وإسلام،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يظل الجامع الموحّد بينهما **أصل واحد**، هو الإيمان بالله والمسيح، في دعوة القرآن كما في دعوة الإنجيل.

لذلك فإنّ الحوار الودّي البنّاء بين الإسلام والمسيحية واجب ديني يفرضه الإنجيل والقرآن، وتفرضه وحدة المصدر ووحدة المصير.

هذا هو فصل الخطاب في موقف القرآن من المسيحية.

نقلوا على لسان أفلاطون قوله[1]:

« مجانين، إذا لم نستطع أنْ نفكر.. »

« ومتعصبون، إذا لم نرد أنْ نفكر.. »

« وعبيد، إذا لم نجرأ أنْ نفكر.. »

(١) خالد محمد خالد: « من هنا.. نبدأ »، ص ١٧٨ ــ الطبعة الحادية عشرة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فهرس

تمهيد : ما هو موقف القرآن الحقيقي من المسيحية؟ ٣
ثلاث ظواهر قرآنية للشبهات ٣
شبهتان على تاريخ الحوار الإسلامي المسيحي ٦
الأسلوب الجديد للحوار الإسلامي المسيحي ٧

الفصل الأول : القرآن حوار مع بني إسرائيل من يهود ونصارى ٨
توطئة : الهدف الثاني للقرآن هو دعوة أهل الكتاب ٩
بحث أول : أهل الكتاب هم اليهود والنصارى على العموم ١٠
بحث ثان : القرآن يقصد بأهل الكتاب اليهود والنصارى من بني إسرائيل ١٣
بحث ثالث : تعبير أهل الكتاب، بالنسبة للمسيحيين، لا يعني إلاّ اليعقوبيين في حواره ١٥
خاتمة : يدور حوار القرآن على بني إسرائيل من يهود ونصارى ١٨

الفصل الثاني : إقحام اسم النصارى في غير موضعه ١٩
توطئة : واقع قرآني مذهل ٢٠
بحث أول : المبادئ الثابتة الشاهدة بصحة إسلام « النصارى » ٢٠

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بحث ثان : ملابسات جمع القرآن وتدوينه ٢٤

أولاً : الرّخص بقراءة القرآن مدى خمس عشرة سنة ٢٤
ثانياً : هل كان الجمع بتوقيف على النبي، أم بتوفيق من الصحابة؟ ٢٦
ثالثاً : قصة جمع القرآن ٢٨
رابعاً : هل تدخلت السياسة في جمع القرآن؟ ٣١
مغزى الجمع العثماني ٣٣
بعض المظاهر التي تعني المسيحية ٣٣

بحث ثالث : إقحام اسم النصارى في سبع آيات ٣٦

أولاً : إقحام ذكر النصارى في جدال اليهود بسورة البقرة ٣٧
ثانياً : إقحام ذكر النصارى في جدال اليهود بسورة آل عمران ٤٦
ثالثاً : إقحام ذكر النصارى في جدال اليهود بسورة المائدة ٤٨

خاتمة : تلك الإقحامات الطارئة لا تمس صحة القرآن ٥٤

الفصل الثالث : المسيحية ضحية تعبير « أهل الكتاب » في القرآن ٥٦

توطئة : « أهل الكتاب » تعبير يعني اليهود والنصارى والمسيحيين ٥٧

بحث أول : « أهل الكتاب » في القرآن المكي ٥٨

بحث ثان : « أهل الكتاب » في القرآن المدني ٦٥

١ ـ في سورة البقرة ٦٥
٢ ـ في سورة آل عمران ٦٧
٣ ـ في سورة النساء ٧٠

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

٤ ـ في سورة الحشر ٧٢
٥ ـ في سورة البيّنة ٧٢
٦ ـ في سورة الحديد ٧٤
٧ ـ في سورة المائدة ٧٥

خاتمة : تعبير « أهل الكتاب » لا يقصد في الواقع المسيحية الرسمية ٧٧

الفصل الرابع : القرآن ينتسب انتساباً مطلقاً إلى الإنجيل وأهله ٧٩

توطئة : انتساب القرآن إلى الكتاب والإنجيل ٧٩

بحث أول : انتساب القرآن إلى الكتاب وأهله على العموم ٨١

أولاً : القرآن هو « الكتاب مفصّلاً » إلى العربية ٨١

١ ـ تصاريح تبين ماهية القرآن ٨١
٢ ـ تصاريح تبين مصدر القرآن العربي ٨٢
٣ ـ معنى تعابير ثلاثة عن مصدر القرآن ٨٣
٤ ـ فالقرآن العربي هو « تفصيل الكتاب » أي تعريبه ٨٤

ثانياً : تنزيل القرآن هو تعريب التنزيل الكتابي ٨٥

١ ـ تعريف القرآن للتنزيل ٨٥
٢ ـ التنزيل محصور في الكتاب من قبله ٨٦
٣ ـ التنزيل على قلب النبي ٨٧
٤ ـ الشبهة الكبرى على تعبير « التنزيل » ٨٧

ثالثاً : إيمان القرآن هو إيمان الكتاب نفسه ٨٨

١ ـ هذا هو إيمان القرآن يعلنه مراراً ٨٨
٢ ـ وحدة الإيمان تقتضي وحدة الكتاب ٨٩

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

رابعاً : إسلام القرآن هو إسلام الكتاب نفسه ٨٩

١ ــ إسلام القرآن هو إسلام الكتاب ٨٩
٢ ــ القرآن يشهد للإسلام بشهادة « أولي العلم » ٩٠

خاتمة : الإسلام الكتابي الإنجيلي هو إسلام القرآن ٩١

بحث ثان : انتساب القرآن إلى الإنجيل وأهله على الخصوص ٩٢

توطئة : هدف الدعوة القرآنية ثنائي ٩٢

أولاً : كمال النبوة والكتاب بالإنجيل ٩٢
ثانياً : لا توحيد ولا إسلام بدون المسيح والإنجيل ٩٤
ثالثاً : موضوع الإيمان في القرآن هو الله والمسيح، كلمة الله ٩٥
رابعاً : فلا دين بدون الإيمان بالمسيح والإنجيل ٩٧
خامساً : ولا إسلام بدون الإيمان بالمسيح والإنجيل ٩٧
سادساً : « الأمة الواحدة » لا تقوم إلاّ بالإيمان بالمسيح والإنجيل ٩٨
سابعاً : القرآن نفسه هو تعليم « الكتاب والحكمة » للعرب ٩٩
ثامناً : الإنجيل كمال الوحي والتنزيل ١٠١
تاسعاً : الإنجيل « نور وهدى للمتقين » ١٠٢
عاشراً : جهاد القرآن كله في سبيل المسيح ١٠٤

خاتمة : فالإيمان بالمسيح هو محور الإسلام القرآني ١٠٥

بحث ثالث : انتساب القرآن إلى « النصرانية »، الأمة الوسط ١٠٦

توطئة : الظاهرة القرآنية الثالثة ١٠٦

١ ــ نعرف سر القرآن من جهاده ١٠٦
٢ ــ نعرف سر القرآن من إسلامه ١٠٧
٣ ــ « أولوا العلم » و« الأمة الوسط » ١٠٧

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

٤ ـــ نعرف سر القرآن من الدين الذي يشرعه ١٠٧
٥ ـــ نعرف سر القرآن من شريعته ١٠٨
٦ ـــ نعرف سرّ القرآن من إيمانه ١٠٨
٧ ـــ نعرف سر القرآن من عقيدته في المسيح ١٠٩

خاتمة : الإسلام دين إنجيلي مبني على الشهادة لله وللمسيح ١١٠

الفصل الخامس : جدال القرآن لليهود في المسيح وأمه ١١١

توطئة : يذكر القرآن آخرة المسيح بأسلوبيْن ١١٢

بحث أول : أسلوب القرآن بتعليمه في آخرة المسيح ١١٣

النص الأول: في سورة مريم ١١٣
النص الثاني: في سورة آل عمران ١١٥
النص الثالث: في سورة المائدة ١١٧

بحث ثانٍ : أسلوب جدال اليهود في آخرة المسيح ١١٩

توطئة : « وما قتلوه وما صلبوه » ١١٩

١ ـــ رد القرآن على تبجّح اليهود بقتل المسيح ١٢٠
٢ ـــ قصة الشبه ١٢١
٣ ـــ آية النساء تتعارض مع القرآن كله ١٢١
٤ ـــ قصة الشبه الحقيقية بحسب « النصرانية » ١٢٢
٥ ـــ دلائل على إيمان القرآن بقتل المسيح ١٢٣

خاتمة : إن القرآن لا ينكر قتل المسيح وصلبه، بل يؤيدهما ١٢٤

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفصل السادس	جدال القرآن لوفد نجران في المسيح وأمّه	١٢٥
توطئة	: جدال وفد نجران موزّع على سور	١٢٦
بحث أول	: الفصل الأوّل من جدال وفد نجران (في آل عمران)	١٣٠
بحث ثان	: الفصل الثاني من جدال وفد نجران (في النساء)	١٣٤
بحث ثالث	: الفصل الثالث من جدال وفد نجران (في المائدة)	١٣٩
	١ ــ التعليق الأول على مناظرة أهل نجران	١٤٠
	٢ ــ التعليق الثاني على مناظرة أهل نجران	١٤٢
خاتمة	: جدال القرآن لوفد نجران ليس جدالاً للمسيحية الرسمية	١٤٦
الفصل السابع	: تشريع القتال بحق المسيحيين العرب في تبوك	١٤٨
توطئة	: محاولة إخضاع المسيحيين العرب في الشمال للإسلام	١٤٩
بحث أول	: الواقع القرآني لشرعة جهاد المسيحيين	١٥١
بحث ثان	: الواقع التاريخي: (أسباب النزول) في غزوة تبوك	١٥٣
بحث ثالث	: الشبهة على صحة الفصل (براءة ٣٥ ــ ٣٦)	١٥٥
أولاً	: هل تشريع قتال المسيحيين محكم قائم أم منسوخ؟	١٥٥
ثانياً	: ظاهرة الإقحام بادية على شرعة قتال المسيحيين	١٥٦
ثالثاً	: مضامين شرعة قتال المسيحيين متشابهة مشبوهة	١٥٨

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

١ ــ ظاهرتان تتعارضان مع القرآن كله ١٥٨
٢ ــ موجبات التشريع تتعارض مع القرآن كله ١٥٩
النتيجة الحاسمة: شرعة قتال المسيحيين دخيلة على القرآن ١٦١

بحث رابع : المعنى الحق المحدود لشرعة قتال المسيحيين ١٦٢

أولاً : تفسير دروزة لشرعة القتال ١٦٢
ثانياً : ارتباط الشرعة بغزوة تبوك يحدّد معناها ومداها ١٦٣

خاتمة : الفصل تشريع لقتال المسيحيين العرب في تبوك ١٦٣

١ ــ شرعة قتال المسيحيين مقحمة دخيلة على القرآن ١٦٣
٢ ــ شرعة محدودة الزمان والمكان والأشخاص ١٦٤
٣ ــ شرعة تفسّرها وصية محمد الأخيرة ١٦٤

الفصل الثامن : شخصية السيد المسيح في القرآن ١٦٥

توطئة : الثنائية القرآنية في شخصية المسيح ١٦٦

بحث أول : الواقع القرآني في حقيقة المسيح ١٦٧

أولاً : المسيح بصفة كونه « ابن مريم » ١٦٧
ثانياً : المسيح هو أيضاً « كلمة الله » ١٧٠

بحث ثانٍ : التحليل الصحيح لعقيدة القرآن في المسيح ١٧٣

أولاً : ميزات المسيح العامة ١٧٤
١ ــ للمسيح ثلاثة أسماء ١٧٤

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

	٢ ـ للمسيح أيضاً ثلاثة أوصاف	١٧٦
	٣ ـ للمسيح ثلاث خصائص في رسالته	١٧٧
	٤ ـ للمسيح في بشريته ثلاث صفات	١٧٩
	٥ ـ للمسيح في رسالته ثلاث ميزات أيضاً	١٨١
	٦ ـ للمسيح في سيرته ثلاثة مواقف	١٨٢
	٧ ـ للمسيح ثلاث حالات في شخصيته	١٨٤
ثانياً	: ميزات المسيح الخاصة الذاتية	١٨٦
	١ ـ إنه مسيح الله	١٨٦
	٢ ـ إنه كلمة الله	١٨٧
	٣ ـ إنه « روح منه » تعالى	١٨٩
	١) تعابير « الروح » في القرآن متعددة متنوعة	١٨٩
	٢) « روح منه » هو سر المسيح، « كلمة الله »	١٩٥
خاتمة	: العقيدة القرآنية في المسيح متشابهة	١٩٧
الفصل التاسع	: هل من تثليث في القرآن؟	١٩٩
توطئة	: الواقع القرآني ما بين الظاهر والباطن	٢٠٠
بحث أول	: « الثلاثة » بحسب القرآن ليست من المسيحية في شيء	٢٠٠
	١ ـ التكفير الأول: « ولا تقولوا: ثلاثة »	٢٠١
	٢ ـ التكفير الثاني: « إن الله ثالث ثلاثة »	٢٠١

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

	٣ ــ التكفير الثالث: « اتخذوني وأمي إلهيْن »	٢٠٣
	١) صيغة أولى لمعناه	٢٠٣
	٢) صيغة ثانية مجهولة لمعناه	٢٠٣
بحث ثان	: الله وكلمته وروحه، بحسب القرآن	٢٠٤
	١ ــ « قل: إنْ كان للرحمان ولد فأنا أول العابدين »	٢٠٥
	٢ ــ المسيح، « كلمته وروح منه » تعالى	٢٠٨
	٣ ــ وفي الله تعالى، مع ذاته ونطقه: « روحه »، الروح المطلق	٢١٠
خاتمة	: ففي القرآن تثليث باطن، هو غير « الثلاثة » الظاهرة	٢١٢
الفصل العاشر	: القواعد القرآنية للحوار مع المسيحية	٢١٣
توطئة	: « قلْ: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء »	٢١٤
القاعدة الأولى	: الجدال بالحسنى بسبب وحدة الدين	٢١٥
القاعدة الثانية	: « وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً »	٢١٦
القاعدة الثالثة	: « فيه آيات محكمات... وأُخر متشابهات »	٢١٧
القاعدة الرابعة	: القرآن يجادل الناس « بالكتاب المنير »	٢١٨
القاعدة الخامسة	: « يعلمهم الكتاب والحكمة » أيْ التوراة والإنجيل	٢١٩
القاعدة السادسة	: « فاسألوا أهل الذكر إنْ كنتم لا تعلمون »	٢٢١

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

القاعدة السابعة : « فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك » ٢٢٢

القاعدة الثامنة : « قلْ: كفى بالله شهيداً... ومَن عنده علم الكتاب » ٢٢٣

القاعدة التاسعة : « فبهداهم اقتدهْ » ٢٢٤

القاعدة العاشرة : « وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله » ٢٢٥

خاتمة : « أم لكم سلطان مبين: فأتوا بكتابكم إنْ كنتم صادقين » ٢٢٧

فصل الخطاب : موقف القرآن من المسيحية ٢٢٩

١ ــ الموقف المبدئي من المسيحية ٢٢٩
٢ ــ الموقف العملي من « الروم » أيْ المسيحيين ٢٣٥
٣ ــ الإسلام والمسيحية فرعان لدين واحد ٢٣٩

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أغلاط مطبعية†

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥	٢٠	من موقفي	موقف
١٤	٣	بينات من الأم	من الأمر
١٦	١٦	لا تفعلوا في دينكم	لا تغلوا
٣١	١٨	للصحافة	للصحابة
٣٣	١٧	فموقعه	موقعه
٤٤	١٩	فيه معاضلة	معاظلة
٥٠	١٥	(١٤ و١٤)	(١٤ و٤٤)
٧٣	١	بأن محمد	بأن محمداً
٧٨	٨	كما سنرى	كما رأينا
٨٥	٢١	(فصلت ٣٠٢)	(٢ ــ ٣)
٨٦	٢٣	(الأنبياء ٩٠)	(الأنعام ٩٠)
٨٧	١	(النحيل الصادق)	التحليل
٨٧	٦	(الشورى ٥٢ ــ ١٥)	(٥٢ و١٥)
١٠٨	٧	ونعرف سر القرآن	٥ ــ ونعرف...
١٠٨	١٣	طغياناً وكفراً	طغياناً

[† تم تصحيح الأغلاط المطبعية المُشار إليها هنا.]

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢١	٥	مسند إلى فاذا؟	ماذا؟
١٤٥	١	وفي (إنجيل يوحنا) المنول	المنحول
١٤٥	٤	« الاهاً دون الله »	من دون
١٤٦	١٧	ذلك كفر التأويل	ذلك التأويل كفر
١٥٣	٤	السابقة والقائمة اللاحقة	واللاحقة
١٥٦	٢	اليهود الذين أشركوا	والذين
١٥٧	٩	عريان أو من	عريان! ومَن
١٧٥	١٦	أربع طرق أيضاً	ثلاث
١٨٢	١٤	ثلاث مواقف	ثلاثة

وهناك أغلاط مطبعية أخرى لا تخفى على القارئ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أنجزت المطبعة البولسية ـــ جونية (لبنان)
طبع هذا « الكتاب » في الثلاثين
من كانون الأول سنة ١٩٦٩

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

سلسلة ثالثة:

في سبيل الحوار الإسلامي المسيحي

١ ـــ مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي (ظهر)

٢ ـــ القرآن دعوة « نصرانية » (ظهر)

٣ ـــ القُرآنُ وَالمَسيحيَّة (ظهر)

٤ ـــ أسرار القرآن (قيد الطبع)

٥ ـــ المسيح ومحمد في عرْف القرآن (قيد الطبع)

٦ ـــ ما بين الإنجيل والقرآن (قيد الطبع)

٧ ـــ القرآن العربي خبر عن « القرآن » (في التحضير)

٨ ـــ المسيح في التوراة والإنجيل والقرآن (في التحضير)

٩ ـــ محمد في التوراة والإنجيل والقرآن (في التحضير)

١٠ ـــ إعجاز الإنجيل والقرآن (في التحضير)